ردمد ١٦٥٨-٣٥١٥
ISSN.١٦٥٨-٣٥١٥
رقم الإيداع ١٤٢٨/٢١٩٠


بسم الله الرحمن الرحيم

الهيئة الاستشارية

قواعد وشروط النشر

- أن يكون البحث متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.
- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.
- أن تتحقق له السلامة اللغوية.
- مراعاة علامات الترقيم.
- ألا يكون قد سبق نشره.
- ألا يكون مستلاًّ من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.
- توضع حواشي كل صفحة أسفلها على حدة ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلاً، وتضبط الحواشي آليا لا يدوياً .
- علامات الترقيم تعتبر جزء من الكلمة فلا يترك فراغ قبلها.
- وضع مسافة بداية كل فقرة لا تزيد على ١سم.
- العناوين الجانبية ١٧ **mylotus** أسود.
- العناوين الرئيسية ١٨ أسود
- المسافة بين السطور متعدد ٠.٩.
- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث.
- توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط الملحق في مكانها المناسب.
- ترفق جميع الصور والرسوم المتعلقة بالبحث واضحة جلية.
- ألا تزيد صفحات البحث عن ثمانين صفحة (**A٤**) ولا تقل عن عشرين صفحة.
- أن يكون خط الأصل (١٦) وخط الهامش (١٣)، ونوع الخط (**Mylotus**).
- أن تكون هوامش الصفحة من الأعلى والأسفل واليسار ٢.٥سم ومن اليمين ٣.٥سم.
- تكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بحجم ١٥ بلون غامق.
- يرفق الباحث ملخص باللغة العربية والإنجليزية لا يزيد على صفحة

واحدة وأن يكون الملخص الإنجليزي معتمد من معهد الملك عبد الله للترجمة والتعريب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أو من مركز الترجمة بجامعة الملك سعود .

- تُحكَّم البحوث والدراسات المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل.
- تُعاد البحوث معدلة على البريد الإلكتروني للمجلة.
- لا تعاد البحوث والدراسات إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- للمجلة الحق في نشر البحث على موقع الجمعية وغيره من أوعية النشر الإلكتروني بعد إجازته للنشر.
- أن تكون المراسلات عبر البريد الإلكتروني للمجلة .
- يُعطى الباحث نسختين من المجلة وخمس مستلات من بحثه.

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم
رئيس هيئة التحرير على النحو التالي:

المملكة العربية السعودية – الرياض

ص. ب: ١٧٩٩٩ الرياض: ١١٤٩٤

هاتف وناسوخ ٢٥٨٢٧٠٥

البريد الإلكتروني:

quranmag@gmail.com

الفيس بوك : **www.facebook.com/Quranmag**

تويتر : **https://twitter.com/quranmag١**

عنوان الجمعية

ص – ب: ١٧٩٩٩ – الرياض – ١١٤٩٤ هاتف: ٢٥٨٢٦٩٥ – ٠٥٤٦٦٦٧١٤١

موقع الجمعية

www.alquran.org.sa

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحرير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

تقدم الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه " تبيان " العدد السابع عشر من مجلتها العلمية المحكمة " مجلةتبيان " للدراسات القرآنية، في عدد جديد وعمل جاد للرقي بالمجلة إلى العالمية ، والأخذ بمعايير الاعتماد العالمي للمجلات ، كوجود أعضاء استشاريين للمجلة من خارج بلد الإصدار : المملكة العربية السعودية، ومن بلدان مختلفة تتيح الإفادة من اختلاف البيئات، وتنوع الثقافات في رقي المجلة وتقدمها، وكذلك وجود ملخصات للبحوث المنشورة باللغة الإنجليزية .

ويسر مجلة " تبيان " أن تقدم للقراء في هذا العدد جملة من البحوث المتنوعة في موضوعاتها ، فهناك موضوع عن التكوين العقدي للشخصية المسلمة وأبرز ملامحها من خلال ما ساقه القرآن الكريم من قصص إبراهيم عليه الصلاة والتسليم .

وحديث وجيز في بيان أحكام الكتاب العزيز يكشف مايتعلق بالقرآن الكريم من أحكام .

وموضع عن التصريف اللغوي في البيان القرآني يكشف عن وجوه من إعجاز القرآن الكريم .

وبالنظر لقيمة ومكانة صحيح البخاري فقد كان لأسماء السور عنده مجال للنظر والدراسة .

وللمهتمين بالقراءات تقدم المجلة بيان لما سكت عنه الإمام ابن الجزري من أصول النشر وطرقه، ويتناول موضوع آخر بيان حاجة الفقيه إلى معرفة نصيب كبير من علوم القرآن الكريم يحددها البحث ويبين الباحث مدى حاجة الفقيه لها .

والمجلة تشكر للباحثين ثقتهم، والعاملين جهدهم، والشكر والدعاء بالأجر لكل من أسهم في دعم المجلة والجمعية، دفعاً لتحقيق أهدافها وخدمة القرآن الكريم وعلومه وأهله .

رئيس تحرير مجلة تبيان للدراسات القرآنية

أ . د / محمد بن عبد الرحمن الشايع

المحتويات

ملامح من التكوين العقدي لشخصية المسلم
في ضوء تدبر بعض قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن
دراسة موضوعية

إعـداد

د. محمد عبد الدايم علي سليمان محمد الجندي

د. محمد عبدالدايم علي الجندي .

- **الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية -كلية الآداب - جامعة الملك فيصل بالأحساء .**
- **حصل على درجة الماجستير من كلية الدعوة الإسلامية -جامعة الأزهر بمصر بأطروحته:** (فطرة التدين بين الأصالة والمعاصرة في ضوء الوحي الإلهي والفكر البشري).
- **حصل على درجة الدكتوراه من كلية الدعوة الإسلامية -جامعة الأزهر بمصر بأطروحته:** (الشيخ صالح الجعفري حياته وجهوده في الحياة الروحية في ميزان الإسلام).

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

يعد قصص إبراهيم في القرآن أنموذجا متكاملا لتوجيه الأصول الداخلية لشخصية المسلم (الروحية ، القلبية ، العقلية) لله تعالى بالكلية ، فما أحوج شخصية المسلم إلى متابعة التكوين القرآني في ظل تزاحم الأخطار الفكرية الباردة ، والتحديات الأخلاقية التي تداهم كيانها .

وفي هذا البحث نصنف لهذه الأصول التي تتحكم في كيان شخصية المسلم عبر قنوات استشعارها بتوحيد ربها ، وصدق الإيواء إليه من خلال طريق إبراهيم عليه السلام ومنهجه ، وقد أخذ منهجه موضع اهتمام القرآن في عرض ما اشتملت عليه دعوته من أهداف العقيدة وضوابطها بأساليب نظرية وعملية، وطرق مجدية نافعة، رسم بها الطريق للقلوب التائهة لتهتدي إلى نور التوحيد .

وتظهر أهمية البحث وثمرته في موضوعه ومنهجه، وفي تطبيقه وصلته ببناء الشخصية المسلمة ، ومن ثم ببناء المجتمع كله وحاجته إليه من خلال عرض جوانب البناء والترسيخ في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن ، ومدى تحقيق الأهداف والمطامح والنتائج والغايات المرجوة من وراء ذلك، ومن هنا يتصدر البحث عنوان : (ملامح من التكوين العقدي لشخصية المسلم في ضوء تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن .. دراسة موضوعية) كموضوع من أهم الموضوعات التي نحن في أمس الحاجة إليها في بناء شخصيتنا على يقين عقدي لا سيما في زمن فسد فيه معتقد كثير

من الناس ، فما حصل أو يحصل من ضعف الوازع الديني أو خروج الناس على أحكام الله ، أو إهمالهم أوامر الله ونواهيه ، وتساهلهم في ارتكاب المحرمات ؛ إلا بسبب الخلل العقدي الذي أصاب شخصيتهم ، فانتشر الإلحاد والملحدون في المجتمعات البشرية ممن يزعمون العلم والفهم وهم في الحقيقة معاول لهدم الإنسانية وطمس معالم الحق في الناس.

Abstract

Prophet Ibrahim’s stories in the holy Qur'an represents an integrated model which dedicates the entire fundamental essence of the Muslim’s character - spiritually, emotionally, and mentally - to Allah. Indeed, the Muslim is in a dire need of adhering to the Qur'anic formation of personality, especially in the presence of external conceptual threats and ethical challenges that raid its entity.

In this research work, I classify these origins that control the entity of Muslim character through their channels which sense monotheism, and the sincerity in resorting to Allah by following Ibrahim’s approach (PBUH). His approach was focused on in the Qur'an by means of demonstrating how his ways contained the objectives and standards of faith through theory and practice and beneficial means; thus, paving the way for the hearts that went astray to find the way to monotheism.

The significance of this research is manifested in its subject, approach, application and relation to building the Muslim personality, and consequently, to building the whole society. That is attained by presenting the consolidation aspects in the stories of Ibrahim (PBUH) in Qur'an, and the achievement of the desired goals, aspirations and results.

These reasons prompted entitling this research as: “Features of the Doctrinal Composition in the Muslim Character in Light of Some of the Qur'anic Stories of Ibrahim – An Objective Study”, Is that it is one of the most important topics which we desperately need to build our character on the foundation of faith and notably, at a time where many a people are suffering from corruption in their creed. All negative grievous deeds that are happening, such as weakening of faith, ignoring the provisions of Allah, or neglecting Allah’s commands and prohibitions, can be

attributed to corruption of faith. These evils lead to spreading atheism in our societies. We now find atheists who claim knowledge when, in fact, they are just causing the destruction of humanity and distortion of the truth.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الواحد الأحد، الفرد الصمد، المتنزه عن الصاحبة والشريك والولد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، شهادة تقطع بها الظنون والأوهام، صلاة وسلاماً عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــــــد

فما أحوج شخصية المسلم إلى متابعة التكوين القرآني في ظل تزاحم الأخطار الفكرية الباردة، والتحديات الأخلاقية التي تداهم كيانها، وتهدد بقاءها عبر قنواتها ووسائلها المتنوعة كالإعلام المغرض وأنساقه المختلفة، وفي متابعة لقصة التدين في صعودها الشاهق، وانحدارها الساحق في ذاتية الإنسان، بين عقول قاصرة، وأهواء حائرة، وبين حلول غيوم التمدن، وأفول شمس التدين، تبحث شخصية المسلم عن التدين في أسمى معانيه، وفي أبهى صوره ومبانيه، لأنه فطرة في تكوينها، فيتسنم المسلم ذروة بحثه متدبرا في آي الله في القرآن ليجسد لعبره في شخصيته، ويرسم لها في ملامحه، وتعد قصص إبراهيم - من وابل عظيم مغمور بالعبر - في القرآن نموذجا لتوجيه الأصول الداخلية للشخصية(الروحية، القلبية، العقلية) لله تعالى بالكلية، فهذه الأصول في شخصية المسلم بمثابة جناحين يرتفع بهما ويرقى عن حمأة المادة المظلمة إلى مشرق العقيدة المضيئة، وقد دعا الإسلام هذه الأصول إلى التوجه لله تعالى بالكلية، وطالبها بتوحيده واليقين فيه عبر قنوات التأثير الوجدانية والتأملية والفطرية حتى تصير شخصية المسلم في

صلتها بربها نزيهة نقية خالية من معكرات الصفو ومكدرات النقاء.

وفي هذا البحث نصنف لهذه الأصول عبر قنوات استشعارها بتوحيد ربها، وصدق الإيواء إليه من خلال طريق إبراهيم عليه السلام ومنهجه، إذ يعد منهج " إبراهيم عليه السلام " نموذجا مهما في بناء شخصية المسلم على أساس متين من العقيدة الصحيحة، وقد أخذ منهجه موضع اهتمام القرآن في عرض ما اشتملت عليه دعوته من أهداف العقيدة وضوابطها بأساليب نظرية وعملية، وطرق مجدية نافعة، رسم بها الطريق للقلوب التائهة لتهتدي إلى نور التوحيد.

وتلك مهمة القرآن فـ " إطالة التأمل في القرآن وجمع الفكر من معاني آياته تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما ومآل أهلهما، وتثبت قواعد الإيمان في قلب المسلم، وتشيد بنيانه وتوطد أركانه وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتبصره مواقع العبر وتشهده عدل الله وفضله وتعرفه ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه وقواطع الطريق وآفاتها وتعرفه النفس وصفاتها ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه وافتراقهم فيما يفترقون فيه "(١).

(١)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي (ط.دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة ثانية، =

ولقد نوه القرآن الكريم بمواقف إبراهيم عليه السلام النبيلة الثابتة، وشهد لـه بعزيمـته القويــة الـصادقـة لا سيما مع أبيـه في سبيل دعوتـه إلى توحيـد الله تعالى، وقد كان من خصائص دعوته الشمول والواقعية، وذلـك لـيس بـدعا في الدين، فهو مـن طبيعـة المنهج الـذي يرسـمه هـذا الـدين، والـذي نـستمد نحن منه يقيننا الذي لا يتزعزع.

وإن البشرية لتحتاج إلى فهم منهج إبراهيم عليه السلام، وتحتاج إلى الاستفادة من قصصه التي تنبع من اليقين وتتدفق به، ومهما مضت البشرية في اعتساف تجارب متنوعة هنا وهناك- كما هي الآن ماضية في الشرق وفي الغرب سواء- فلا مناص من نهاية هذه التجارب، فهذه التجارب كلها تدور في حلقة مفرغة، وداخل هذه الحلقة لا تتعداها- حلقة التصور البشري المحدود، والتجربة البشرية الضيقة، والخبرة البشرية المشوبة بالنقص والضعف والهوى، بخلاف منهج إبراهيم عليه السلام وإخوانه من المرسلين، فهو منهج رباني صادر عن الكمال بدل النقص، والقدرة بدل الضعف، ومن الحكمة بدل الهوى، إنه منهج يدعو إلى تخليص البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وقد ضرب إبراهيم عليه السلام أروع مثال في بيان هذا المنهج الرباني، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا

= ١٣٩٣ – ١٩٧٣) جـ١، صـ ٤٥١.

جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٧٩) ﴾[1]، وقال تعالى أيضا عن إبراهيم ﷺ ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا (٤٢) يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا (٤٣) يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا (٤٥) ﴾[2].

فيال منهج إبراهيم ﷺ .. إنه منهج بنائي دقيق لشخصية المسلم؛ يؤصل للتوحيد بصورة عملية حوارية رائعة، تقوم على الحجة والبرهان والعقل وتربي القناعة وتزيل الشك، ومن صور ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ (٥٢) قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٥٦) وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥٩) قَالُوا۟ سَمِعْنَا

---

(١) سورة الأنعام: ٧٤ / ٧٩.

(٢) سورة مريم: ٤٢ / ٤٥.

فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (1).

ولما كان منهج إبراهيم عليه السلام دستورا في تقويم بناء شخصية المسلم؛ أصبح من الضرورة دراسة الآيات التي تحدثت عنه إثباتا للتوحيد كما عرضه القرآن الكريم من حيث أهميته وضرورته دراسة موضوعية يتبين من خلالها لكل مسلم عظمة العقيدة وضرورتها، وما يجب على كل مسلم تجاهها، فيجعلها نصب عينيه ويلتزمها في كل شئون حياته العلمية والعملية، حتى تكون همّ حياته ومصدر سعادته، مدركا أنه لا معنى لوجوده، ولا سبيل لنجاته إلا بها.

- **أهمية البحث:**

تظهر أهمية البحث وثمرته من حيث استمداده وموضوعه ومنهجه، ومن حيث تطبيقه وصلته ببناء الشخصية المسلمة، ومن ثم ببناء المجتمع كله وحاجته إليه من خلال عرض جوانب البناء والترسيخ في قصص

---

(1)سورة الأنبياء : ٥١ / ٧٠ .

إبراهيم عليه السلام في القرآن، ومدى تحقيق الأهداف والمطامح والنتائج والغايات المرجوة من وراء ذلك، ومن هنا يتصدر موضوع البحث (ملامح من التكوين العقدي لشخصية المسلم في ضوء تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن .. دراسة موضوعية) أهم الموضوعات التي نحن في أمس الحاجة إليها لبناء شخصيتنا على يقين عقدي لا يزول وإن زالت الشوامخ العوالي، لا سيما في زمن فسد فيه معتقد كثير من الناس، وتبلبلت أفكارهم تجاه دينهم وشريعتهم، فما حصل أو يحصل من ضعف الوازع الديني أو خروج الناس على أحكام الله، أو إهمالهم أوامر الله ونواهيه، وتساهلهم في ارتكاب المحرمات؛إلا بسبب الخلل العقدي الذي أصاب شخصيتهم، أو لعدم جدواهم في اتباع قواعدها المرسومة وفق شريعة الله تعالى، فانتشر الإلحاد والملحدون في المجتمعات البشرية ممن يزعمون العلم والفهم وهم في الحقيقة معاول لهدم الإنسانية وطمس معالم الحق في الناس.

- **الهدف من البحث:**

تهدف الدراسة إلى الوقوف على قصص القرآن المرتبطة بإبراهيم عليه السلام والتدبر والتفكر فيها والتعلم منها في كيفية غرس العقيدة كأساس في بناء وترسيخ ملامح النهوض التكويني في شخصية المسلم .

منهج الآيات في عرض الموضوع:

إنّ منهج الآيات بمجموعها وحسب تناولها للموضوع تدور حول محورين رئيسيين:

المحور الأول: بيان تكوين القصص الإبراهيمي للجوانب الأصيلة في شخصية المسلم.

المحور الثاني: بيان تناغم الموارد الأصيلة للكينونة الداخلية في المسلم ورسائل الحواس من خلال دعوة إبراهيم عليه السلام.

ـ أما منهجي في عرض الموضوع، فإنني ذكرت الآيات التي تناولت الأساليب النظرية والعلمية في بناء الشخصية المسلمة عل أصول الدين وما يتعلق بها، وتفسير الآيات وبيان ما بينها من الصلة والترابط، وذكرت ما فيها من الفوائد والآداب والإرشادات والتوجيهات الربانية الكريمة، مدعما ذلك بالآيات القرآنية وبالأحاديث النبوية الشريفة، وقد اعتمدت في منهجية الدراسة على المنهج الموضوعي.

خطة البحث:

اشتمل البحث على:مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع وأهدافه، ومنهج الآيات في عرض الموضوع، وخطة البحث .

التمهيد : حول المفاهيم .

المبحث الأول : تدبر قصص إبراهيم عليه السلام وتكوين الجانب الروحي في شخصية المسلم .

المبحث الثاني: أثر تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في ربط الميل القلبي بالله تعالى.

المبحث الثالث : أثر تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في توجيه العقل نحو تنزيه الله تعالى .

المبحث الرابع : تحريك الدوافع السلوكية والعملية للمسلم من خلال قصص إبراهيم عليه السلام .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

التمهيد

حول المفاهيم

عند البحث في معنى التدبر نجده من الكلمات الواردة في القرآن على أصل معناها اللغوي في أغلب استعمالاته، وفيما يلي بيان ذلك :

أولا : المراد بالتكوين العقدي :

التكوين :يقال" تكوَّنَ يتكوّن، تكوُّنًا، فهو مُتكوِّن، وتكوَّن الشَّخصُ: تدرَّب وتعَلَّم وظهَر والتكوين : التركيب، والبنية، والإنشاء " .

وأما العقدي:فمن مادة عقد وهي في اللغة مدارها اللزوم والتأكيد، تقول العرب:اعتقد الشيء: صلب واشتد [١]، وعقَد الحبْل عَقْداً من باب ضرب فَانْعَقَدَ، وهي:العُقدةِ ومنها:عُقْدة النِكاحِ والعُقْدَةُ ما يمسكه ويوثقه، ومنه قيل: عَقَدْت البيع ونحوه [٢]، فالعُقْدة:البيعة المعقودة لهم[٣]،

(١) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ص ٣٨٧ ج ٤، طبعة دار صادر، بيروت، طبعة أولى، بدون تاريخ.

(٢) المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (العلامة)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، د. ت، ج ٢ ص ٤٢١، وانظر: المغرب في ترتيب المعرب، المؤلف: أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، تحقيق: محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، الناشر: مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط/ أولى، سنة ١٩٧٩م، ج ٢ ص ٧٣ .

(٣) الزمخشري، محمود بن عمر (العلامة)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الفائق في غريب الحديث، ط: دار المعرفة، لبنان، ط/ ثانية، د.ت، ج ٣ ص ١٦.

من عُقْدةِ الحَبْل، وعَقَدْتُ اليمين وعَقَّدْتَهَا بالتشديد توكيد، وعَاقَدْتُهُ على كذا وعَقَدْتُهُ عليه بمعنى عاهدته، ومَعْقِدُ الشيء مثل مَجْلِس موضع عَقْدِهِ، وعُقْدَةُ النكاح وغيره:إحكامه وإبرامه، والعِقْدُ بالكسر: القلادة، والجمع:عُقُودٌ مثل حِمْل وحُمُول، واعْتَقَدْتُ كذا:عَقَدْتُ عليه القلب والضمير، حتى قيل: العَقِيدَةُ (ما يدين الإنسان به وله عقيدة: حسنة سالمة من الشك)[1] .

والعقيدة في الاصطلاح: الإدراك الجازم المطابق للواقع الناشئ عن دليل، وقولهم: المطابق للواقع قيد يخرج العقائد الفاسدة كاعتقادات النصارى في التثليث واعتقاد اليهود أن عزيزا ابن الله، وغير ذلك من العقائد الفاسدة[2] .

ـ والمراد بالتكوين العقدي هنا: البناء العقدي على أساس التوحيد الخالص بعيدا عن الشرك.

ثانيا : مفهوم التدبر :

جاء في لسان العرب" دبّر الأمر وتدبّره أي نظر في عاقبته وعرف الأمر تدبرا أي بآخره، فتدبر الكلام أي النظر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرة

---

(١) المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ج ٢ ص٤٢١ .

(٢) انظر: د/ حمدي عبد العال، منهج السلف في العقيدة، ص ٣١، دار القلم، الكويت، طبعة أولى، سنة ١٩٨٤م

بعد مرة.. والتدبر في الأمر: التفكر فيه" [١]، و" التدبر مأخوذ من النظر في أدبار الشيء وعواقبه ونهاياته" [٢].

وفي التعريفات:" التدبر: النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب " [٣].

وفي معجم مقاييس اللغة :"التدبر من: دَبَرَ ــ بفتح الدال والباء ــ وجُلُّه في قياس واحد، وهو : آخر الشيء، وخلفه؛خلاف قُبُله" [٤]، وقيل:"تَدَبَّرْتُهُ تَدَبُّرًا : نظرت في دبره وهو عاقبته وآخره " [٥].

المراد بتدبر القرآن :

دارت كلمة " التدبر " لآي الله في القرآن حول عدة معان منها (التأمل، التفكر، الاعتبار، التعقل، الامتثال، التفهم)، ونذكر فيما يلي بعضا من أمثلته:

يقول ابن القيم : تدبر القرآن"هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع

---

(١) لسان العرب، محمد بن منظور (ط. دار صادر، بيروت، د.ت)جـ ٤، صـ٢٦٨ .

(٢) نفس المصدر، جـ ٤، صـ٢٧٣ .

(٣) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، (ط. دار الشروق، ط. ثالثة، سنة ١٣٩٩هـ) صـ ١٦٧ .

(٤)معجم مقايسس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين تحقيق عبد السلام هارون (ط. اتحاد الكتاب العربي، سنة ١٤٢٣هـ) جـ٢، صـ٢٦٦.

(٥) المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد (ط. المكتبة العصرية، د. ت) صـ ١٠٠ .

الفكر على تدبره وتعقله وهو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[4]"[5].

وقال:" وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره، ثم يعيد نظره مرة بعد مرة ولهذا جاء على بناء التفعل كالتجرع والتفهم والتبين"[6].

وجاء في أضواء البيان:" تدبر آيات هذا القرآن العظيم أي: تصفحها، و تفهمها، وإدراك معانيها، و العمل بها "[7]، وقيل:" التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة "[8]، إذن " تدبر القرآن

---

(١) سورة ص: ٢٩ .

(٢) سورة محمد: ٢٤ .

(٣) سورة المؤمنون: ٦٨ .

(٤) سورة الزخرف: ٣ .

(٥)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي (ط.دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة ثانية، ١٣٩٣ – ١٩٧٣) جـ١، صـ ٤٥١ .

(٦)مفتاح دار السعادة، ابن القيم الجوزية (ط. دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت)جـ ١، صـ١٨٣.

(٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧/ ٤٢٩ .

(٨)قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله تعالى، عبدالرحمن حسن حبنكة (ط. دار القلم –دمشق =

هو تفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة، وما دخل في ضمنها، وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك ؛بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه" [١].

وفي الإتقان:"وتسن القراءة بالتدبر والتفهم، وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذّ أو تنزيه نزّه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب."[٢].

= – ط. ثانية – سنة ١٤٠٩هـ) صـ١٠ .

(١) تدبر القرآن، سليمان السنيدي، (ط. المنتدى الإسلامي، ط. أولى، ١٤٢٢هـ) صـ١١ .

(٢)الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ط. دار التراث، القاهرة، د. ت) جـ ١، صـ ١٢٧.

المبحث الأول

تدبر قصص إبراهيم عليه السلام

وتكوين الجانب الروحي في شخصية المسلم

إن توجهات الإنسان في ذاتها مجردة–بلا عقيدة دافعة – مجرد مسالك خاوية ومهاو سحيقة؛ عديمة الحياة؛ فقيدة الروح، والذي يمنحها الحياة هي حرارة الإيمان المشرقة من روح الإيمان المكونة لروحية الإنسان، والروح نفسها بلا إيمان لن تشرق، إنها تكون عديمة مقفرة، ولا تنبت نبتة الإيمان في روح باردة لأنها لا تنتج، ولا يعدو صاحبها كونه كائنا يدب على وجه الأرض في صورة بشر، ومن دعائم روحية الإنسان ومكونات إيمانه تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن، وقبل أن نطوف في ظلال ذلك نعرف بالجانب الروحي:

حول مفهوم الجانب الروحي :

إن الجانب الروحي مبعثه الروح، والروح في اللغة :" ما يقابل المادة، والروحية تقابل المادية، وتقوم على إثبات الروح وسموها على المادة"[1]، على اعتبار أن "الإنسان مركب من روح وجسد، والروح هو الأول في الوجود، ثم تألف الجسد من عناصر الأرض وطبيعتها ليكون مقراً لهذه الروح ومظهراً لها، والروح نورانية لطيفة، والجسم مظلم كثيف، وهي قوة

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، باب الراء، مادة (روح) ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥ .

فعالة، وهو متغير ضعيف، ولما أراد الله خلق الكائنات، خلق خلقاً نورانياً عظيماً جداً في خلقه، قوياً جداً فى تأثيره، وهذا المخلوق هو الروح"[١].

إذن الروحية هي الأصل والمادية طرأت عليها، فالروح أولاً، وهى طرف الحوار الذي أشهد الله فيه الإنسانية على ربوبيته وصدق ألوهيته، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[٢]، وفي ذلك يقول الإمام العز بن عبد السلام :" أخرج ـ الله ـ الأرواح قبل الأجساد في الجنة، أو بعد هبوط آدم إلى الأرض، وخلق فيها المعرفة فعرفت من خاطبها"[٣].

وهذا الموطن هو الذي يحمل معنى الروحية في الإنسان، لأنه يقابل المادية فيه، والتي يحملها الجسد بتكوينه الأرضي، أما باقي ما ورد من كلمة "الروح"في الكتاب العزيز فهو يحمل معانٍ متباينة "ولفظ الروح تكرر في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة"[٤].

---

(١)الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، محمد السيد أرناؤوط، (مكتبة مدبولى، د.ت) صـ ٣٨٧ .

(٢) الأعراف : ١٧٢ .

(٣)تفسير العز بن عبد السلام (تفسير القرآن)، الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، بتحقيق : تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي (ط.دار ابن حزم ـ بيروت، طبعة أولى سنة ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م) جـ ١، صـ ٣٧٠ .

(٤)العقيدة والأخلاق، محمد سيد طنطاوى، (طبعة دار السعادة، طبعة أولى، سنة ١٤١٨هـ، =

ومبني كلامي هنا على أساس أن الروح هي وجدان الإنسان الداخلي، وضميره المستتر الذي يستشعر ويرهف ويتذوق، وذلك لا يعد كشفاً لحقيقة الروح، فهي أكبر من أن نعرفها ونطلع على حقيقتها نحن البشر حيث قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[1].

وما ورودنا عليها إلا لدرك فهمها، ومعرفة لحركتها من خلال مظاهرها وإشاراتها المستمرة، فالروح في اصطلاحنا الذي نسير عليه هي الكيان الداخلي للإنسان.

تدبر قصص إبراهيم عليه السلام وتحريك الجانب الروحي نحو الإيمان :

إن قصص إبراهيم مع قومه في القرآن يعد تحريكا فاعلا لقوة الروح المتحكمة في توجيه العزائم والهمم نحو توحيد الله تعالى في الشخصية المسلمة، وتحريك الهمم لا شك أنه يبدأ من قوة العقيدة الصحيحة، فالعقيدة لها الحاكمية المطلقة على تصرفاتنا ومدى دقتها وإتقانها، ومن خلالها ينفذ الطابع الأخلاقي "والحياة الروحية في الإسلام تجرى على سنن القصد الصالح للحياة البشرية، لا استغراق في الجسد، ولا انقطاع عن سبيل الآخرة"[2]، يقول ابن القيم رحمه الله:

= سنة ١٩٩٨م)صـ ٢٠٠ .

(١)الإسراء: آية ٨٥ .

(٢)الفلسفة القرآنية، كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية والاجتماعية التي ورد موضوعها في آيات الكتاب الكريم، عباس محمود العقاد، (طبعة دار نهضة مصر، د.ت) صـ ١٥١ .

"فالله سبحانه شبَّه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علوًا، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة في كل وقت بحسب ثباتها في القلب وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله، وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربها ذللا غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلا"[١] .

وقال :"ولا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلا، فلا ريب أن هذه الكلمة ـ يقصد كلمة التوحيد ـ من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت؛فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى، وهذه الكلمة الطيبة تثمر كَلِمًا كثيراً طيباً يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال تعالى ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾ [٢]، فأخبر

---

(١)إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق:محمد عبد السلام إبراهيم، (ط. دار الكتب العلمية – بيروت، ط. أولى، ١٤١١هـ -١٩٩١م)جـ١، صـ ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٢)سورة فاطر : جزء من آية ١٠.

سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملا صالحا كل وقت.." [1].

وقصص إبراهيم في القرآن تبني في كيان شخصية المسلم معالم الحياة الروحية بقوة على أعمق صور الإيمان بالله، فمثلا في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [2] وكأن إبراهيم عليه السلام يريد أن يقول: كما إنه ـ تعالى ـ هو المتفرد بخلقي دون سواه فهو المتفرد بهدايتي وصلاحي وجميع أمري، ونجد إبراهيم عليه السلام "يقصر الهداية إلى الحق على الله تعالى دون آلهتهم، وهذا مما لا ينبغي أن يختلف فيه أهل العقول بأن الذي يهدي إلى الحق يوصل إلى الكمال الروحاني وهو الكمال الباقي إلى الأبد، فإن خلق الأجساد مقصود لأجل الأرواح، والأرواح مراد منها الاهتداء، فالمقصود الأعلى هو الهداية، وإذ قد كانت العقول عرضة للاضطراب والخطأ احتاجت النفوس إلى هدي الله تعالى، فلذلك كان الذي يهدي إلى الحق أحق أن يتبع لأنه مصلح النفوس ومصلح نظام العالم البشري، فاتباعه واجب عقلا واتباع غيره لا مصحح له، إذ لا غاية ترجى من اتباعه" [3].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية جـ ١، صـ ١٣٢ ـ ١٣٣ .

(٢) سورة الشعراء : آية ٧٨ .

(٣) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، طبعة أولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) جـ ١١، صـ ٧٧ .

قصص إبراهيم عليه السلام وتوجيه الأرواح لتوحيد ربها :

ما إن تتكون في شخصية المسلم حياة روحية إيمانية قوية إلا ويصدح بما صدح به إبراهيم من حين عبر عن تجرد روحه من المؤثرات الشركية وعوارضها، منتسبة إلى بارئها بكليتها، قال تعالى في ذلك :

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) ﴾[١] .

إن نبي الله إبراهيم عليه السلام من خلال ما ذكره الله على لسانه يكوّن في شخصيتنا ينبوعا وجدانيا، يناجي ضميره ويناغيه في صميم معناه، ويناقشه في سويداء قلبه، ويبين له قيمة عنصره ورقي جوهره إذا أحسن الوجهة لله تعالى، ويكاشفه بجمال ذاته إذا أفرد مولاه بالتوحيد ونبذ الشرك، ويفصح له من سوءات الدنيا قصر مدتها، وتزاحم آلامها وشدة محنتها، ويهون في عينه كل شديد ويلتذ بكل عذاب، ويستلفته إلى الذين وقفوا قواهم في حبها وعبدوها واستنفذوا طاقتهم في إرضائها، ولم تزل كلمات إبراهيم عليه السلام بالمسلم كلما تدبر معانيها في القرآن؛ ينبوعا صافيا يوقظه من سكرته، ويبعثه من غفلته، ويستولى عليه بكُليته ثم يفتح له من جانب روحه نافذة تطل به على كنوز معناه من ذخائر الصفاء المعنوي، ولطائف مكنون النعيم

(١) سورة الأنعام : ٧٩ـ ٨٠ .

الروحي، وحقائق السعادة الأبدية، وما إن يصل إلى هذه الحياة المليئة بالإيمان إلا ويحياها أو يهلك دونها، فتصبح حياته روحية صافية.

إن إبراهيم عليه السلام عاش هذا الشعور بكله، ووصى به بنيه من بعدة لئلا يحرموا لذائذه المنبعثة من العقيدة الصحيحة، فلذائذه تفوق لذائذ الهوى والشهوة "وليس في الأحياء أشقى من هذا الإنسان الذي يعيش لمطالب نفسه وجسده دون أن يجد فى نفسه القدرة على الاستعلاء عليها والتحكم فيها، إنه حينئذ يفقد وجوده، ويتحول إلى أداة مسخرة، ومطية ذلول لشهوات جسده وأهوائه، تلك الشهوات والأهواء التي لا تسعف الحياة بإشباعها أبداً، إن الحياة الإنسانية في هذا التصور تبدو كئيبة تطل بوجه بغيض كالح يتهدد الناس بالشر، وينذرهم بالبلاء"(١)، ومن هنا كان لتدبر تجرد إبراهيم عليه السلام لله أثر في تكوين شخصية المسلم الذي يريد بناء نفسه بناءا لا تنازعه فيه نفسه، وهو الامتداد الذي سار عليه إبراهيم عليه السلام ويعقوب من بعده في تكوين أبنائه من خلال وصيته، قال تعالى :

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾(٢) .

---

(١) الله والإنسان، عبد الكريم الخطيب، (ط. دار الفكر العربى، د.ت) صـ ٦ .

(٢) البقرة : ١٣٢-١٣٤.

وهـذا الـذوق الروحـي للإيـمان هـو الـذي جعـل إبـراهيم عليه السلام لا يأبـه بحجاج قومه في الله حين " خاصموه في التوحيد، فقـال لهـم: ﴿ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ ﴾[(١)] أي:في وحدانيته، أو في الإيمان به، وقد هداني إلى توحيده وأرشدني إلى معرفته، فلا ألتفت إلى غيره، ولا أعبأ بمن خاصمني فيه "[(٢)] وكيف يعبأ بهم وقد ذاقت روحه حلاوة الإيـمان وتـشربت مـن منابعـه الـصافية ؟ !! إن هذا لشيء عجاب حين يُنتظر من إبراهيم عليه السلام تسليما للشرك، ما سـمعنا بـه في عالم النبوة وقصص الأنبياء .

ومـا إن تتكـون في شخـصية المـسلم هـذه الدرجـة العاليـة مـن الرسـوخ الروحي الإيماني إلا ويتجرد " عقله عن جميع الإدراكات، وتتعطـل حواسـه عن أحكامهـا، ثـم تنـسلخ نفسه عـن الهيكـل الجـسماني ومطالبتـه الـشهوانية الملحة، وبعد ذلك يتوجه بقلبه ويزداد معرفة بربه تعـالى فيتجـرد بعـدها مـن المواد الجسمانية ولواحقهـا، ولا يبقـى فيـه إلا الانجـلاء الروحـي غـير المقيـد بشيء من الأجسام وعوارضها، ولا يرى حقيقة قلبه في تلك الحالة إلا نـوراً بسيطاً محتوياً بجميع ما كان وما يكون، منتسبة إلى بارئها لأن جهل النفـوس بذواتهـا وبارئها إنما نشأ مـن الشواغل البدنية " [(٣)].

وعليه فالجانب الروحـي في الإنسان هـو الـذي يأخـذ بيـده ليمـسح عـن

(١) سورة الأنعام : ٨٠ .

(٢) البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهـدي بـن عجيبـة، (ط. دار الكتـب العلميـة ـ بـيروت، طبعة ثانية، ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ) جـ ٢، صـ ٣٨٢ .

(٣) الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، محمد السيد أرناؤوط، صـ ٤٣٢، مرجع سابق .

جبينه آثار المادة، ولينفض عن كاهله أثقالها وأحمالها، ويمزق قيودها ويحطم أغلالها التي تسوقه إلى التدني والانحلال والشرك بكل أشكاله

ضبط الروح على نسق الفطرة النقية بتوحيد قصدها وتعلقها بربها :

يتجلى ضبط روح المسلم على منوال فطرته السليمة بثباتها على الإيمان وصيانتها من الانحراف من خلال المعرفة بالله تعالى وتوحيده، وفي حكاية القرآن عن حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه حين تبرأ من شركهم ؛ ملمح روحي عميق يبني في شخصية المسلم شعورا فطريا بالتوحيد يتناغم مع عقيدته على نسق قول إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١).

وفي تدبر تبرؤ إبراهيم عليه السلام من الشرك في الآية عروج بشخصيتنا إلى الأفق الأعلى لعقيدتنا الإسلامية والتمسك بتوحيد الله تعالى الذي هو الوجه الأكمل لآدابنا، والشعلة المتوهجة في قلوبنا، والمعراج الذي نصعد به إلى سيادتنا على تلك المادة المسعورة التي تريد أن تجعل من نفسها غاية للوجود ونهاية للآمال وسبيلا إلى الشرك بمدافعة الفطر نحو الأهواء حتى عبدتها، وقد قال الله في ذلك :

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢).

---

(١) سورة الزخرف : ٢٦ ـ ٢٨ .

(٢) سورة الجاثية : ٢٣ .

وهو تعبير قرآني يستهدف المعنى الحقيقي في الإنسان والغاية المثلى التي تبرزه على غيره من المخلوقات بالتكليف، على أساس ارتباطه بخالقه توحيدا وتنزيها وإجلالا، وذلك جوهر الإسلام وأفقه الأعلى، ومنبع أخلاق دعوة الأنبياء والمرسلين، وروح الكتاب المبين، وفطرة التوحيد في المسلم هي الصانعة للعزائم والهمم نحو الإيمان بالله تعالى، وهى الدرع الحصين الذي يصون عقائدنا، ويحول بيننا وبين أهوائنا وشهواتنا، إذ بها تغرس في قلوبنا المثل العليا التي تُعَدُّ معراجاً ربانياً، ومنهجاً إنسانياً يصنع الإنسان الكامل، ويصوغ المؤمن القوى الزاهد التقى، وإذا تحققت مطالب الفطرة السليمة في شخصية المسلم على النسق الإبراهيمي في القرآن ؛ تحرر من كل عبودية إلا من عبوديته لفاطر السماوات والأرض .

وهذا ما أمر الله به في القرآن حين قال :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

وهذه الآية لها صلة مباشرة بإبراهيم في مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾[2] "فالمعنى: فأقم وجهك للدين والمؤمنون معك، وإقامة الوجه: تقويمه وتعديله باتجاهه قبالة نظره غير ملتفت يمينا ولا شمالا. وهو تمثيل لحالة الإقبال على الشيء والتمحض للشغل به بحال قصر النظر إلى صوب قبالته غير ملتفت يمنة ولا يسرة، وهذا كقوله تعالى

(١) سورة الروم : ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران: ٢٠

على لسان إبراهيم ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ (٢)، أي أعطيته لله، وذلك معنى التمحيص لعبادة الله وأن لا يلتفت إلى معبود غيره، والدِّينِ هو دين الإسلام، وحَنِيفاً خلوه من شوائب الشرك، كما كان في وصف إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠)﴾ (٣)، وحنيف: صيغة مبالغة في الاتصاف بالحنف وهو الميل، وغلب استعمال هذا الوصف في الميل عن الباطل، أي العدول عنه بالتوجه إلى الحق، أي عادلا ومنقطعا عن الشرك كقوله تعالى:

﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥)﴾ (٤)، و (فِطْرَتَ اللَّهِ) أي الدين الذي هو فطرة الله لأن التوحيد هو الفطرة، والإشراك تبديل للفطرة "(٥).

وبمتابعة هذه الآيات وصلتها ببعضها يصل المسلم لقاعدة تنطلق منها عقيدته على أساس الفطرة النقية بعيدا عن الشرك واتباع الهوى .

---

(١) سورة الأنعام: ٧٩ .

(٢) سورة آل عمران: ٢٠ .

(٣) سورة النحل: ١٢٠ .

(٤) سورة البقرة :١٣٥.

(٥) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، (ط.مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، طبعة أولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) جـ ٢١، صـ ٤٧ .

المبحث الثاني

أثر تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في ربط الميل القلبي بالله تعالى

إن في قصص إبراهيم عليه السلام رسالة لصاحب القلب الحائر،وإلى من يشتكي من القلق والحيرة، وإلى الباحث عن الأمان والطمأنينة، وحقيق بهذا القلب وحريٌّ به أن يطمئن بشارات وعبارات هذا القصص، فله قوة حاكمة في محركات القلوب التي هي مدار تحريك الشخصية نحو ربها، وقبل بيان ذلك نعرف بالقلب، وذلك في التالي:

مفهوم القلب :

القلب هو:" لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان"[(١)]، والخطاب القرآني في ذكره للقلب لم يرد ذلك الجزء العضوي المودع في الجانب الأيسر، ولكنه يرمي إلى أحواله، ويطلق القلب في القرآن"اسما لشيء معنوي وهو النفس الإنسانية التي تعقل وتدرك وتفقه، وتؤمن وتكفر، وتتقي وتزيغ وتطمئن، وتلين وتقسو وتخشى وتخاف، وقد نسبت إليه كل هذه المعاني في القرآن، والأصل في هذا أن أسماء الأشياء

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري (ط. دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة أولى، ١٤٠٥ هـ) صـ ٢٢٩ .

المعنوية مأخوذة من أسماء الأشياء الحسية، وقد أطلق على الشيء الذي يحيا به الإنسان ويدرك العقليات والوجدانيات كالحب والبغض والخوف والرجاء، عدة أسماء منها القلب، فلفظ القلب يطلق في القرآن بمعنى النفس المدركة والروح العاقلة؛لا هذه المضغ اللحمية التي لا تنتقل من مكانها "[1]، وهذا ما ترنو إليه بغيتنا من معنى القلب .

قيمة القلب في بناء عقيدة المسلم وتكوين شخصيته :

إن القلب هو مركز بناء شخصية المسلم الذي عليه مدار معرفة حقيقته في الوجود الكوني وغاية وجوده، ويحدد من خلاله منهج حياته، فهو مستقر ومستودع هذا المنهج، وقد " ذكر الله تعالى القلوب في القرآن الكريم في مواضع كثيرة- في اثنين وثلاثين ومائة موضع، في ثلاث وأربعين سورة، في أربع وعشرين ومائة آية منها "[2]، كلها تتصل بالتدبر والاعتبار والخشوع والفقه، فللتدبر منفذ للقلب السليم ؛ يصل إليه ويرقى به، والقلب هو المعول عليه للتدبر، فإذا أغلق عليه حجب عن التدبر، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[3] والأقفال على القلوب من أعظم موانع التدبر، فمن قرأ القرآن، ولم يجد في قلبه إقبالاً على

(١)إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (ط.دار ابن كثير - دمشق -بيروت، طبعة رابعة، ١٤١٥ هـ) جـ ٧، صـ ٥٩٨ .

(٢)المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (قلب)، (ط.دار الفكر، بيروت، ط. أولى، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م) ، صـ٥٤٩-٥٥١ .

(٣)سورة محمد: ٢٤ .

الطاعة، فليعلم أن على قلبه أقفالاً ورانا، وليتفقد نفسه، وليراجع واقعه، وليتفكر ما هي الأقفال التي حالت بينه وبين تدبر القرآن والعمل بما فيه.

بخلاف القلوب السليمة فهي تنفتح على نور الذكر وتأوي إليه وتطمئن به وتزداد به إيمانا، ولها هيمنة على كل عناصر الكينونة الإنسانية، تلبي كل حاجاتها على مفهومها الإنساني، وتتعامل مع كل مقوماتها على دعائمها المنضبطة، قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [(١)]، فالحاكمية على سائر الجوارح مبدؤها القلب، وكينونة الشخصية وتراكيبها محكومة به، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : إِنَّ اللهَّ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) [(٢)]، إذن فالقلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، قال النبي ﷺ:(أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) [(٣)] .

والحديث"فيه إشارةٌ إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه، بحسب

---

(١)سورة الأنفال : ٢ .

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت) جـ ٤، صـ ١٩٨٧ .

(٣) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، جـ ٣، صـ ١٣١٩ .

صلاح حركة قلبه، فإن كان قلبه سليماً، ليس فيه إلا محبة اللهَّ ومحبة ما يحبه اللهَّ وخشية اللهَّ، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتنابُ المحرّمات كلها، وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات، وإن كان القلب فاسداً، قد استولى عليه اتباع هواه، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كلّ المعاصي والمشتبهات بحسب إتباع هوى القلب"[1] .

وبتدبر مخاطبات إبراهيم عليه السلام في القرآن يجد القارئ رسائل مباشرة تكوّن القلب وتزيد في إيمانه ويقينه في توحيد الله تعالى، فهذا الجوهر أو الكيان الإنساني هو الجامع لكل الأوصاف والخصائص، والمميزات والصفات والقدرات المعنوية التي تحكم وجهة الإنسان، والآيات التي تدل على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[2] وقوله أيضا:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[3]، فالمطمئن حقيقة ليس هو عضو القلب، وإنما الحال فيه أو المتعلق به، وقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ

(١)جامع العلوم والحكم، للحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، (ط. مؤسسة الرسالة - بيروت، ط. خامسة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م) جـ ١، صـ ٢١٠.

(٢) سورة الحج : ٤٦.

(٣)سورة الرعد : ٢٨ .

زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[١]،وفي ظلال تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن؛ تنبعث في شخصية المسلم لذة الذوق الإيماني وهي على غرار ما رواه الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:

"ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا"[٢] وبهذا الذوق القلبي المستمد مباشرة من القرآن، تتكيف شخصية المسلم تكيفا فريدا يمنحها الصلاحية لقيادة البشرية قيادة فريدة، لم تعرف لها البشرية– من قبل ولا من بعد- نظيراً - سواء في عالم الإنسانية والشعور، أو في عالم الواقع والحضارة – وقصص القرآن على النسق الإبراهيمي وغيره بما فيه من تكوين عقدي دقيق هو المرجع الأول لتلك الشخصية الفريدة، وهذا ما سنعرض له في التالي :

أولا: تكوين السلامة القلبية من واقع حرص إبراهيم عليه السلام:

تتجلى مواقع تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في خلال إدراك مدلولاتها وإيحاءاتها، وليس فقط في فهم ألفاظها وعباراتها، ونبي الله إبراهيم عليه السلام يعول بسلامة القلب للوصول إلى بر الأمان ويمنح استعداد النفس رصيدا من المشاعر والمدركات والمواجد والتجارب التي توقد مجامر القلوب

---

(١)سورة الأنفال : ٢ .

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِي بِالله رَبًّا، (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت) جـ ١، صـ ٦٢

بالسلامة اقتداءا واقتفاءا، وحين يتدبر المسلم عمق مؤهلات القلب السليم في منطق إبراهيم عليه السلام يشعر كأنه يتلقاه من فيه في خضم المعترك؛ معترك جهاد النفس وجهاد الشهوات وهو يتقلب بين الخوف والرجاء، والضعف والقوة، والعثرة والنهوض، وقد حكى القرآن عن إبراهيم عليه السلام دعاءه حين قال:

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [١] و" أظهر ما قيل في القلب السليم:أنه السالم من الشكوك والأوهام، والخواطر الردية، ومن الأمراض القلبية" [٢].

وقوله تعالى " بقلب سليم "(" فيه خمسة أوجه :

أحدها:سليم من الشك.

الثاني:سليم من الشرك.

الثالث: من المعاصي، لأنه إذا سلم القلب سلمت الجوارح.

الرابع: أنه الخالص.

الخامس: أنه الناصح في خلقه.

ويحتمل سادساً:سليم القلب من الخوف في القيامة لما تقدم من البشرى عند

---

(١) سورة الشعراء : ٨٣ / ٨٩ .

(٢)البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، (دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة ثانية / ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ)جـ ٥، صـ ٢٦٥ .

المعاينة " [١].

وفي الآيات يشير إبراهيم عليه السلام إلى أن آلة التحكم في جسد الإنسان وركيزة الأمان فيه تكمن في سلامة قلبه، فهو آلة تحريك الهمم والطاقات والقوى المستوطنة داخل الفرد نحو تطبيقات العقيدة على واقع حياته، قوى تؤثر في واقع الضمير والوجدان وتنعكس على قدرة الإنسان في التعبير عن مواهبه وإبداعاته العقلية والعملية، فعندما يكون ذلك الإنسان على درجة من الإيمان بمبادئ الخير والصلاح يكون على استعداد للتعبير عن ذلك الإيمان بمختلف الطرق والوسائل بها في ذلك التضحية والاستشهاد من أجلها، وإذا لم يرض الفرد مطالب ضميره، عاش عذاب تأنيب الضمير .

"وبطبيعة الحال تبدو على الشخص السوي صاحب الضمير اليقظ فاعلية عمله وإتقانه فيه، وحسن الأداء، والشعور بالمسئولية الأدبية نحو نفسه وأسرته ومجتمعه، وهو يرى في أدائه لعمله بمهارة وإتقان تعبيراً صادقاً عن طموحه في التقدم والرقي والكمال النفسي، وعن رغبته الصادقة في القيام بدور فعال في خدمة المجتمع والإسهام بإخلاص في نموه وتقدمه" [٢] .

(١) تفسير الماوردى (النكت والعيون) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (ط.دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، د.ت) جـ ٤، صـ ١٧٦ .

(٢)الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، (ط.دار الشروق، طبعة أولى، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م)صـ ٢٩٨، مرجع سابق .

ولا ينبغي لصاحب طلبة السلامة القلبية أن يكتفي بمجرد التماس حقائق مضامين مقال إبراهيم كمجرد معرفة ثقافية، بل يجب عليه أن يستجيش قلبه بالذوق الإيماني لتحقيق غاية وجوده الإنساني، كما يرسمها التوجيه الرباني، فهو السبيل الوحيد لرجوع القلوب لربها، وإذا رجعت سلمت وانصلحت، وبدت عزائمها، وعبرت الأعضاء عن مرادها وبغيتها، فـ:" القلب هو الأصل الجامع للأعضاء، وهو كالملك وجميع الأعضاء تبع له، وإذا رأيت عضواً فاسداً فاعلم أن سبب فساده خلل في القلب فينبغي إصلاحه، ولهذا المعنى كان صلاح القلب أشد أنواع الجهاد، ويؤيد هذا القول قول النبي ﷺ :

"ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كـ له ألا وهى القلب"[1]، ولم لا..؟! و" عماد ملة إبراهيم عليه السلام هو المتفرع عن قوله:"بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" وذلك جماع مكارم الأخلاق"[2].

---

(١) جزء من حديث أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد أستبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لك ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب، انظر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للحافظ زين الدين أبى الفرج ابن رجب الحنبلي، كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم ٥٢، (ط.مكتبة الغرباء الأثرية، طبعة أولى، سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م) جـ ١ صـ ٢٢٤ .

(٢)التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن =

وقد استجاب الله لإبراهيم عليه السلام، قال تعالى﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[(١)].

والآيات" تخلص إلى حكاية موقف إبراهيم عليه السلام من قومه في دعوتهم إلى التوحيد وما لاقاه منهم وكيف أيده الله ونجاه، وقع هذا التخلص إليه بوصفه من شيعة نوح عليه السلام ليفيد بهذا الأسلوب الواحد تأكيد الثناء على نوح عليه السلام، وابتداء الثناء على إبراهيم عليه السلام، وتخليد منقبة لنوح عليه السلام إن كان إبراهيم الرسول العظيم من شيعته وناهيك به، وكذلك جمع محامد إبراهيم عليه السلام في كلمة كونه من شيعة نوح عليه السلام المقتضي مشاركته له في صفاته، وكان إبراهيم عليه السلام من ذرية نوح عليه السلام، وكان دينه موافقا لدين نوح عليه السلام في أصله وهو نبذ الشرك"[(٢)].

فقد قامت دعوة كلا النبيين إلى التوحيد، فدعوة نوح تجلت في وسط وثني صنمي، وكانت ملامح دعوة إبراهيم عليه السلام مع دعوة نوح عليه السلام حيث نفس الجو المشحون بالأساطير الوثنية، فانطلقت دعوتهما لتكسر أوثان الشرك، وتدعو إلى الطهر ونبذ الخرافة على أساس"التوحيد"المطلق العميق التجريد.

= عاشور التونسي (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، طبعة أولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) جـ ٢٣، صـ ٥٢ .

(١) سورة الشعراء : ٨٩ .

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، جـ ٢٣، صـ ٥١ .

وهذه هي الحقيقة المسلمة الباقية، التي تجعل لتصور الواقع العقدي السليم بقيمته الفريدة في بناء سلامة القلب على نزاهة الإيمان، ونقض خرافة الشرك بمعاول التوحيد أساساً رصيناً في بناء بنيان العقل.

ثانيا : تكوين اليقين القلبي في الله تعالى :

يستدعي قصص إبراهيم أن نستلهم القرآن الكريم مباشرة، وأن نستحضر اليقين في شخصيتنا استحضارا طبيعيا لا تكلف فيه ولا عناء، فالجو الملبد بغيوم سطوة الباطل الذي زاحم دعوة إبراهيم، والملابسات الاعتقادية والاجتماعية التي كان القوم يتخبطون فيها وقت أن جاءهم الهدى، ثم التيه الذي أسهبوا فيه بعد تمسكهم بانحرافهم وعدائهم للحق، كل ذلك يدعونا إلى التدبر، سيما في وقت تحتاج فيه القلوب لذلك بشغف في ظل تحديات التشكيك التي تهوي بشخصية المسلم من منفذ عقيدته في مكان سحيق إن لم يحصن نفسه، وتدفعه إلى حافة الهاوية، وتلقي به في موضع التهديد بالإفلاس المعلق على رأسه، وأي إفلاس؟!!! إنه إفلاس في عالم الإيمان يعطل نمو الشخصية المسلمة نموًا سليمًا ويمنعها من أن تترقى ترقيًا صحيحًا يمكن للفرد أن يقنع ضميره من خلاله باستحقاقه للوجود، ومن محصلات تدبر قصص إبراهيم عليه السلام على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

١ . **اليقين في البعث** : إن اليقين في البعث هو الوشيجة الحية بين الإنسان ووجوده وآخرته أو بين الإنسان وخالق الوجود، وقد ضمن الله هذه الحقائق في حكايته قول إبراهيم :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن

لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [(١)].

إن الآيات تشير إلى قلب إبراهيم عليه السلام الذي جاش باليقين والإيمان، حين راح يناجي ربه وينفث زفرات قلبه ليعاين حقيقة يؤمن بها فتحقق مراده فأرضاه ربه، وكانت المعاينة التي سرى بها نور اليقين في الوجود خالدا خلود القرآن، ويحكي القرآن ذلك عن إبراهيم عليه السلام حين قال طلبته:"رب أرني كيف تحيى الموتى"، " ويلاحَظ تأدب إبراهيم عليه السلام مع مولاه تأدبا يليق به، حيث بدأ سؤاله بـ (رب) الذي يشعر بالعناية والتربية لخلقه، قال- تعالى- له وهو أعلم به : ألم يوح إليك أولم تؤمن بذلك ؟ قال إبراهيم عليه السلام مجيبا : يا رب قد أوحيت إليّ وآمنت بذلك، ولكن تاقت نفسي وتطلعت لأن تقف على كيفية الإحياء للموتى ليطمئن قلبي بمشاهدة العيان مع الوثوق والإيمان، ولا غرابة في ذلك فكلنا يؤمن بالأثير وعمله في نقل الأخبار والصور، وكثير منا لا يعرف كيفية ذلك وتتوق نفسه للمعرفة، وفي رد الله عليه بقوله:(أو لم تؤمن ؟) إشارة إلى أن الإنسان لا يكلف بأكثر من الإيمان بأخبار الغيب الصادرة عن المولى - جل شأنه - في ذاته وصفاته ويوم القيامة وغيره، قال تعالى : فخذ يا إبراهيم أربعة من الطير وقطعهن قطعا ثم اجعل عل كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك ساعيات كما كانت، وهكذا يحيى الله الموتى، واعلم أن الله عزيز حكيم " [(٢)].

---

(١) سورة البقرة : ٢٦٠ .

(٢) التفسير الواضح، محمد محمود حجازى، (ط. دار الجيل الجديد، د. ت) جـ ١، صـ ١٧٥ .

وقد اختلف العلماء في سبب سؤال إبراهيم عليه السلام ربه :"رب أرني كيف تحيي الموتى"، وهو على قولين :

"أحدهما:أنه رأى جيفة تمزقها السباع فقال ذلك، وهذا قول الحسن، وقتادة، والضحاك.

والثاني:لمنازعة النمرود له في الإحياء، قاله ابن إسحاق، ولأي الأمرين كان، فإنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن علم الاستدلال"(١).

وأما سؤال الله لإبراهيم عليه السلام: (أَوَلَمْ تُؤْمِن ؟) وجواب إبراهيم بقوله (بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) "ففيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني ليزداد يقيناً إلى يقينه، هكذا قال الحسن، وقتادة، وسعيد بن جبير، والربيع، ولا يجوز ليطمئن قلبي بالعلم بعد الشك، لأن الشك في ذلك كفر لا يجوز على نبي .

والثاني : أراد ليطمئن قلبي أنك أجبت مسألتي، واتخذتني خليلاً كما وعدتني، وهذا قول ابن السائب .

والثالث:أنه لم يرد رؤية القلب، وإنما أراد رؤية العين" (٢).

وأيا كان الأمر .. فالمهم أن الحسم القرآني جاء لينشئ تصورات يقينية صحيحة في أمر البعث وإمكانه عقلا، بعيدا عن تصورات البشر

---

(١)تفسير الماوردى ..النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان – د. ت) جـ ١، صـ ٣٣٣ .

(٢) نفس المصدر، صـ ٣٣٤ .

المجردة القاحلة، وهذه الرعاية من الله لإبراهيم والاستجابة لطلبته ليست موقوته، بل هي رعاية للبشرية كلها، رعاية تنتشلها من الحيرة والشك، رعاية تفرغ القلوب والعقول من كل غبش مزعج دخيل، ليقوم تصورها نقيا صافيا نظيفا من رواسب الجاهليات على طول امتدادها في عقد التاريخ وتجدد أيامه وسنينه، تصورا يقينيا حقيقا بالحقائق الغيبية، مستمداً من وحي الله وحده، لا من اجتهاد وظنون البشر ونتاج عقولهم الذي لا يغني من الحق شيئاً .

٢ . اليقين في دفاع الله عن المؤمنين ونصر الله لهم:ما أحوج الشخصية المسلمة عند ملاقاة المحن والأزمات إلى اليقين في نصر الله ونصفتة الحق، بعيدا عن الانفعالات التي هي" أظهر الحالات النفسية التي يتجلى فيها الوجدان، كالخوف والفرح، والحزن والقلق، والأسف والندم، والحقد والحسد، والأمل والضجر"[(١)].

وإبراهيم عليه السلام بعقيدته الصحيحة وبوارداتها اليقينية كان مثالا في ضبط الانفعالات حين واجه أمواج الاضطهاد العاتية من قبل عباد الوثن حين واجههم بالحقيقة وكشف زيغهم وضلالهم ببيان خصائص الألوهية، وإبطال اشتراك ما عدا الله ومن عداه في العبودية، وتجريدهم من خصائص الألوهية، ومقتضى هذا معناه أنه لم يتوجه بالخضوع والتوكل إلا على الله،

(١) الرجل والمرأة في الإسلام، محمد وصفى، تقديم: محمد عبد الله السمان، تخريج: محمد صديق المنشاوى، ص ١٢١، طبعة دار الفضيلة، بدون تاريخ .

توحيداً لسلطانه الذي هو أخص خصائص الألوهية، والذي لا ينازع الله فيه مؤمن، ولا يجترئ عليه إلا كافر، ومن هنا تمسك إبراهيم عليه السلام بتوحيد ربه، ولم يبال بتهديد قومه، وصابر في مواجهة تنكيلهم به، لأنه على يقين في أن الله سيدافع عنه دفاعه الذي وعد به المؤمنين.

وقد قَالَ تعالى في حكاية ذلك على لسان إبراهيم عليه السلام حين صدح بتهكم إبراهيم وتنكيله بأهل الشرك : ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [1]، فَلَمَّا أَفْحَمَهُمْ بِهَذِهِ الْحُجَّةِ لَجَئُوا إِلَى الْقُوَّةِ، ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [2] "وتلك عادة الكفار المتعصبين لأصنامهم، كلما أفحموا بالحجة القاطعة لجئوا إلى استعمال القوة، ولكن الله أنجى إبراهيم من النار، وكذا ينجي من يدافع عنه، وقوله"(أُفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله)"معناه "قبحاً لكم ولتلك التماثيل التي تعبدون من دون الله الخالق الرازق الضار النافع، وقوله (أفلا تعقلون) أي:قبح عبادتها وباطل تأليهها وير جماد لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ولا تضر" [3] .

وفي قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ [4]،

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٦٧ .

(٢) سورة الأنبياء: آية ٦٨ .

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، .خامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) جـ٣، صـ ٤٢٤ .

(٤) سورة الأنبياء: آية ٦٨ .

" ذَكَر - جَلَّ وَعَلَا - أَنَّ نَبِيَّهُ إِبْرَاهِيمَ - عليه السلام - لَمَّا أَفْحَمَ قَوْمَهُ الْكَفَرَةَ بِالْبَرَاهِينِ وَالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ لَجَئُوا إِلَى اسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ، فَقَالُوا :

﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[(١)] أَيْ : بِقَتْلِكُمْ عَدُوَّهَا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام شَرَّ قِتْلَةٍ، وَهِيَ الْإِحْرَاقُ بِالنَّارِ، وَلَمْ يَذْكُرْ هُنَا أَنَّهُمْ أَرَادُوا قَتْلَهُ بِغَيْرِ التَّحْرِيقِ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ فِي سُورَةِ "الْعَنْكَبُوتِ" أَنَّهُمْ قَالُوا : (اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ) وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾[(٢)] وَقَدْ جَرَتِ الْعَادَةُ بِأَنَّ الْمُبْطِلَ إِذَا أُفْحِمَ بِالدَّلِيلِ لَجَأَ إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقُوَّةِ لِيَسْتَعْمِلَهَا ضِدَّ الْحَقِّ "[(٣)].

ورغم ما عاناه إبراهيم عليه السلام من أعتى صور التنكيل إلا أنه صمد وثبت لأنه على الحق، وذلك يرسم في شخصية المسلم تكوينا فريدا من الثبات عند المحن وثوقا في نصر الله تعالى، وهذا ما دفع إبراهيم عليه السلام إلى عدم الخنوع لأمر أهل الكفر" حيث أصر على موقف الهدى الذي هداه الله إليه، وعلى عبادة الله الواحد الذي هداه إلى حقيقة الإيمان، عند لجوئهم إلى تخويفه بانتقام الآلهة من تجديفه في حقها وكفره بها، وتوعدهم بأن هذه الآلهة المزعومة ستناله بالأذى لا محالة، وحينها ردّ عليهم في اطمئنان الواثق :

---

(١)سورة الأنبياء: آية ٦٨ .

(٢) سورة العنكبوت : آية ٢٤ .

(٣)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)جـ ٤، صـ ١٦٢ .

(وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ) ولكنه من أدبه مع ربه لم يقطع بأمر هو بعد في طيات الغيب، فقد يكون الله سبحانه وتعالى قد قدر له أن يصيبه شيء من الأذى فيقول:(وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) ثم يعود إليهم فيجابههم بحقيقة موقفهم:كيف تخوّفونني بتلك الآلهة المزعومة التي تشركون بها، وهي عديمة السلطان لا تملك ضراً ولا نفعاً، ولا تخافون أنتم من الله الحق الذي يملك الضر والنفع، وأنتم تشركون به وتعصون أمره ؟! فأيّنا أحق بالأمن ؟ الذي يلجأ إلى الإله الحق ويدخل في حماه، أم الذي يحتمي بغير حمى سوى الأوهام ؟"[1].

وجاء نصر الله له ليثبت دفاعه عن أنصاره بقوله :

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2]، ولا شك أن ذلك يؤسس في شخصية المسلم رسوخ اليقين في دفاع الله عن عباده المؤمنين، " وقد أظهر الله معجزة لإبراهيم عليه السلام إذ وجه إلى النار أمره بأن تكون بردا وسلاما؛فكانت، وأما كونها سلاما فهو حقيقة لا محالة، وذكر (سَلاماً) بعد ذكر البرد كالاحتراس لأن البرد مؤذ بدوامه ربما إذا اشتد، فعقب ذكره بذكر السلام لذلك، وعن ابن عباس: لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها، وإنما ذكر (بَرْداً) ثم أتبع بـ (سَلاماً) ولم يقتصر على (بَرْداً) لإظهار عجيب صنع القدرة إذ صير النار بردا، و(عَلَى إِبْرَاهِيمْ) يتنازعه (بَرْداً وَسَلاماً)،

(١)رَكائزُ الإيمانِ، محمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود (دار المعمور، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م) صـ ٢٧٧ .

(٢)سورة الأنبياء : آية ٦٩ .

وهو أشد مبالغة في حصول نفعها له"[١].

ويأتي بناء اليقين في شخصية المسلم من هذه الخلال التي دلت على تحقيق ما وعد الله به من دفاعه عن أوليائه، وذلك في قوله:

﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾[٢]، " وتسمية عزمهم على إحراقه كيدا؛ يقتضي أنهم دبروا ذلك خفية منه، ولعل قصدهم من ذلك أن لا يفر من البلد فلا يتم الانتصار لآلهتهم، والأخسر: مبالغة في الخاسر، وهو اسم تفضيل مسلوب المفاضلة، وكأن خسارتهم لا تدانيها خسارة، وكأنهم انفردوا بوصف الأخسرين فلا يصدق هذا الوصف على غيرهم، والمراد بالخسارة : الخيبة، وسميت خيبتهم خسارة لخيبة قصدهم إحراقه بخيبة التاجر في تجارته، كما دل عليه قوله تعالى: "وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً"، أي فخابوا خيبة عظيمة، وذلك أن خيبتهم في سلامة إبراهيم من أثر عقابهم وإن صار ما أعدوه للعقاب معجزة وتأييدا لإبراهيم عليه السلام، وأما شدة الخسارة التي اقتضاها اسم التفضيل فهي بما لحقهم عقب ذلك من العذاب إذ سلط الله عليهم عذابا كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾[٣] وقد عد فيهم قوم إبراهيم "[٤].

(١) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، طبعة أولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) جـ ١٧، صـ ٧٧ بتصرف يسير .

(٢)سورة الأنبياء : آية ٧٠ .

(٣)سورة الحج : ٤٤ .

(٤) المصدر السابق، جـ ١٧، صـ ٧٨ .

إذن إبراهيم كان في عناية ربه، والله يدخل في عنايته من آمن به، فهو القائل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ (١)، وما حدث مع إبراهيم عليه السلام تجربة واقعية عملية تزيل وهم الواهمين في عدم نفاذ دفاع الله عن عباده الصادقين، وجاء التعبير بقوله (يُدَافِعُ) بصيغة المفاعلة، للمبالغة في الدفاع والدفع، فالله – تعالى – بفضله وكرمه يدافع عن المؤمنين أعداءهم وخصومه، فيرد كيدهم في نحورهم، وقوله"إن الله يدافع عن الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أن الله تعالى ناصرهم" (٢) .

ويبدو تقويم شخصية المسلم في موقف إبراهيم عليه السلام الحالم وردة فعله الهادئة الحانية، فعلى الرغم من تهديهم إياه بالقتل والإحراق إلا أنه صمد على الحمق ولم ينفعل أو يغضب، وذلك يلفت ناظر المسلم ليكوّن شخصيته على عدم امتلاك الانفعالات له وامتلاكه لها وتحكمه فيها، وعدم تحكمها فيه، وذلك يسوق يقينا إلى الأمن النفسي طالما سلم ورضي بقسم الله، وإذا تحقق ذلك"يستشعر الفرد سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور، وطيب النفس وسكونها في كل حال، وطمأنينة القلب عند كل مفزع من أمور الدنيا، وقناعة العبد بكل شيء، واغتباطه بقسمة ربه، وفرحه بقيام مولاه عليه، واستسلام العبد للمولى في كل شيء ورضاه بأدنى شيء، وتسليمه له

(١)سورة الحج : ٣٨ .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل (ط.دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت) جـ ١٧، صـ ١٦١ .

الأحكام والقضايا باعتقاد حسن التدبير وكمال التقدير فيها"[١]، وكل ذلك حاصل في واقع ما آل إليه من كيد الكافرين لإبراهيم عليه السلام ونجاته بإذن ربه، وهو يعكس في شخصية المسلم إن اقتفى أثره تكامل الشخصية، ويصحب ذلك علامات تكوينية تبدو في ملامح شخصيته منها:

"١ ـ النضج الانفعالي، ويقصد به: اعتماد الفرد على نفسه، وثقته بها، مما يجعله واقعياً في مواجهة مشاكل الحياة.

٢ ـ قدرة الفرد على الثبات والصمود حيال الأزمات والشدائد، وذلك يعني تحكم الفرد في انفعالاته واتزان نفسيته، وذلك عين التنمية للشخصية.

٣ ـ شعور الفرد بالسعادة والطمأنينة وراحة البال، وانسياب حياته النفسية، وقلة الشعور بالإحباط.

٤ ـ قدرة الفرد على تبني مقاييس من القيم والمثل العليا، وترجمتها إلى خطة عملية تعينه على مواجهة مشكلاته"[٢] تلك مواد البناء هي من أبرز الثمار التي يحصلها المسلم في شخصيته من خلال تدبر واقتفاء صمود إبراهيم وثباته على الحق .

ويتكون من خلال تلك المواقف التي وردت عن إبراهيم عليه السلام مجموعة عدد من المظاهر التي تعد ثمارا للتكوين العقدي؛ أهمها:

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي، (طبعة البابي الحلبي، سنة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٧م) جـ٢ صـ ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، (طبعة أولى، دار الشروق، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م) صـ ٢٧٣.

أ_ إثبات توحيده جل وعلا، وهو ظاهر في مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]؛ أي وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا إله إلا الله، كلمة باقية في عقبه أي في ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى، ويدعو إلى توحيده"[2].

ب _ اليقين في استحقاق الله -عزوجل- للعبادة، وكذلك اليقين بعدم استحقاق أحد العبادة معه، ومن شواهد ذلك وأمثلته قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾[3].

وفي مواطن كثيرة"أراد إبراهيم أن يصرف قومه عما هم فيه من الشرك إلى الإيمان بالله الواحد الذي لا شريك له، فاستدرجهم إلى التفكير في شأن الأصنام التي يعبدونها حين قال لأبيه وقومه:(أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً)؟بهذا السؤال الإنكاري الذي يهز الغافلين، وذلك في قوله: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾

(١)سورة الزخرف : ٢٨ .

(٢)معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين البغوي الشافعي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي (ط. دار إحياء التراث العربي –بيروت، طبعة أولى، ١٤٢٠ هـ) جـ ٤، صـ ١٥٧ .

(٣)سورة الأنبياء : ٦٨ / ٧٠ .

قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[1]"[2].

ج _ التسليم والإيمان بالقضاء والقدر، ومن أبرز المشاهد التي تأخذ المؤمن إلى الاعتبار بها في هذا المقام ما جاء في حكاية القرآن عن قومه حين قال: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[3]، كما يتجلى تسليم إبراهيم عليه السلام للقضاء والقدر، وجاء ذلك في قوله تعالى في حكاية حال إبراهيم حين دعا ربه قائلا: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾[4]، ثم كانت نتيجة التسليم المطلق لأمر الله في قوله:"وفديناه بذبح عظيم "[5]، وهذا يغرس فينا الإيمان والتسليم لقضاء الله وقدره .

---

(١)الشعراء : ٦٩ - ٧٤ .

(٢)رَكائزُ الإيمانِ، محمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود (دار المعمور، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م) صـ ٢٧٤ .

(٣)سورة الأنبياء: آية ٦٨ .

(٤)سورة الصافات : ١٠٠ / ١٠٨ .

(٥)بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: محمود مطرجي، (ط. دار الفكر – بيروت، د.ت) جـ ٢، صـ ١٤١ .

ثم كانت نتيجة التسليم المطلق لأمر الله في قوله :"وفـديناه بذبح عظيم "يعني بكبش عظيم والذبح بكسر الذال اسم لما يذبح وبالنصب مصدر "[1].

وقد استسلم إبراهيم عليه السلام لقضاء الله وقدره فأنجاه الله من مكرهم فقال : ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2] "، ولا شك أن ذلك يؤسس في شخصية المسلم رسوخ اليقين في دفاع الله عن عباده المؤمنين "وقد أظهر الله معجزة لإبراهيم عليه السلام إذ وجه إلى النار أمره بأن تكون بردا وسلاما؛ فكانت" [3].

ثالثا : توجيه القلب نحو الولاء والبراء من واقع قصص إبراهيم:

لقد وضع القرآن أنموذجاً يحتذى في سلوك إبراهيم عليه السلام مع قومه؛ أنموذجا يسوق القلب سوقا إلى الولاء لله والبراء من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم، وهو الكفر بهم والإيمان بالله، وهي العداوة والبغضاء لا تنقطع حتى يؤمن القوم بالله وحده، وهي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئا من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة

---

(١) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: محمود مطرجي، (ط. دار الفكر – بيروت، د.ت) جـ ٢، صـ ١٤١ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٦٩ .

(٣) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، طبعة أولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) جـ ١٧، صـ ٧٧ بتصرف يسير .

العقيدة وآصرة الإيمان، وفي هذا فصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمر بها المؤمن في أي جيل، وفي قرار إبراهيم والذين معه أسوة لخلفائهم من المسلمين إلى يوم الدين وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) ﴾ (١) .

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى :" لما نهى الله عز وجل عن موالاة الكفار ذكر قصة إبراهيم عليه السلام وأن من سيرته التبرؤ من الكفار؛ أي فاقتدوا به وأْتمُّوا إلا في استغفاره لأبيه، وهذه القصة التي أمرنا الله تعالى بالاقتداء بنبيه وأتباعه المؤمنين فيها يجب تدبرها جيداً لعزة معانيها وحسن تقريرها، وكأن سياق الآيات ينبه المسلمين : أليس هؤلاء الذين ألقيتم إليهم بالمودة أعداء الله عز وجل الذين كفروا به وأعداؤكم الذين أخرجوكم من دياركم وأهليكم وأموالكم لا لشيء إلا لإيمانكم بالله عز وجل، ولو أنهم تمكنوا منكم لأثخنوا فيكم ولاستطالوا عليكم بالقول واليد، وهؤلاء هم هم الذين عادوا الله من قبل وعادوا رسله وأنبياءه ومنهم إبراهيم عليه السلام وقومه إذ دعاهم إلى التوحيد فقابلوه بالسخرية والتهديد بالرجم ثم

(١)سورة الممتحنة : ٤ _ ٦ .

التحريق بالنار وهو يدعوهم ويستغفر لمن ظن أنه يؤمن منهم فلما استقر حال عداوتهم لله تبرأ منهم لِحَق ربه لا لحظ نفسه فكيف توالون هؤلاء بميل قلب أو بقول لسان أو بفعل جارحة، ألا فلتلزموا سنة أبيكم إبراهيم ولتعلنوها براءة من الكفار كما أعلنتموها براءة من الكفر.

ويتجلى الولاء والبراء في هذه الآيات مع ما عرضته من الاستثناء في الأمر بالتأسي، فقد اجتمع في إبراهيم عليه السلام أمران؛أحدهما أقره عليه الوحي وأثنى عليه وهو تبرؤه من الكفار، والثاني موعدة إبراهيم أبيه بالاستغفار وهو ما أنكره الوحي واستثناه من التأسي، والنكتة في الأمر أن تلبس إبراهيم عليه السلام بهذا الفعل الذي أنكره الوحي لم يمنع من الثناء على فعله الآخر المحمود والأمر بالاقتداء به، ومن هنا يتقرر مبدأ الولاء والبراء، وهو عماد في التكوين العقدي في شخصية المسلم يحتاج إليه المسلم أشد الاحتياج .

ثالثا : موقف إبراهيم عليه السلام مع الذبيح إسماعيل عليه السلام وأثره في تكوين التسليم القلبي لله تعالى:

لابد من مؤهل لقيادة القلب عند ابتلائه، ولن يكون هذا المؤهل سوى " العقيدة " التي تسمح له بأن يحتفظ بدعائمه تحت إشراف تسليم وجهته لله وحده، ولا أدل على ذلك من اختبار الله لإبراهيم وولده الوحيد إسماعيل عليه السلام، وإلينا البيان في حكاية القرآن، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن

شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [1] وهو قمة التلطف في البلاغ لولده، وترك الأمر لينظر فيه الابن بالطاعة .

والأمر مقضي في نظر إبراهيم عليه السلام لأنه وحي من ربه، وفي قول إبراهيم عليه السلام لولده (فانظُرْ ماذا تَرَى) "ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه قاله إخباراً بما أمره الله تعالى به ليكون أطوع له .

الثاني : أنه قاله امتحاناً لصبره على أمر الله تعالى .

الثالث : أي ماذا تريني من صبرك أو جزعك، قال يا أبت افْعَلْ ما تؤمرُ، فوجده في الامتحان صادق الطاعة سريع الإجابة قوي الدين، فلما أسْلَما أي: سلما لله تعالى الأمر، قال قتادة :سلم إسماعيل نفسه لله، وسلم إبراهيم ابنه لله تعالى، وقوله :(وتله للجبين) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها: معناه صرعه على جبينه، قاله ابن عباس، والجبين ما عن يمين الجبهة وشمالها .

الثاني:أنه أكبَّه لوجهه.

الثالث:أنه وضع جبينه على تل، وحكى مجاهد عن إسحاق أنه قال: يا أبت اذبحني وأنا ساجد، ولا تنظر إلى وجهي فعسى أن ترحمني فلا تذبحني، "وناديناه أن يا إبراهيم قد صَدَّقْتَ الرؤيا" أي عملت ما رأيته في المنام"[2].

---

(١)سورة الصافات : ١٠٠ / ١٠٨ .

(٢)تفسير الماوردى ..النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، =

أي ابتلاء هذا ؟! إنه ابتلاء لأب في ولده ووحيده الذي رزقه على الكبر، ابتلاء جدير بقول الله عز وجل عنه" إن هذا لهو البلاء المبين" "يعني الاختبار البين، ثم كانت نتيجة التسليم المطلق لأمر الله في قوله :"وفديناه بذبح عظيم"يعني بكبش عظيم والذبح بكسر الذال اسم لما يذبح وبالنصب مصدر"[1].

وتلك نتيجة حتمية لصدق التسليم المطلق لله تعالى، فالتسليم لله من أصول الاعتقاد، فهو"الجذر الأول في بناء شخصية المسلم، وهو العنصر الأساسي المحرك لعواطفه، والموجِّه لإرادته، ومتى صحت عناصر الإيمان في الإنسان استقامت الأساسيات الكبرى لديه، وكان أطوع للاستقامة على طريق الحق والخير والرشاد، وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه، وضبطها فيما يدفع عنه الضر والألم والمفسدة، العاجل من كل ذلك والآجل، وفيما يجلب له النفع واللذة والمصلحة، العاجل من كل ذلك والآجل، وهذا ما يطلبه منا الإسلام، وقد أدرك حديثاً الباحثون من غير المسلمين قيمة العقائد في توجيه سلوك الإنسان، فبدؤوا يتحدثون عنها تحت عنوان: (أيديولوجيات) ولكنهم ما استطاعوا أن يصلوا إلى المستوى الذي وصل إليه الإسلام، إذ هو يبني في الفرد المسلم إيماناً لا يضارعه ولا يشابهه أي عنصر اعتقادي (أيديولوجي) يحاولون غرسه في نفس الفرد من

= تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، جـ ٥، صـ ٦٠ .

(١)بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: محمود مطرجي، (ط. دار الفكر – بيروت، د.ت) جـ ٢، صـ ١٤١ .

أفرادهم" (١) .

إن مشهد إبراهيم عليه السلام مع ولده الوحيد يربي في شخصيتنا أسمى درجات التسليم القلبي لله ولأوامره، وبإسقاط تسليم إبراهيم عليه السلام لأمر ربه وتتابع قصته؛ يرسخ في القلب تجريد مطلق عن كل شيء سوى الله تعالى وطاعته، وهو ما يأخذ بالشخصية إلى المثالية والكفاءة العليا والنجاة والقوة والنصر.

رابعا : البشارة بإسحاق عليه السلام وتكوين اليقين في صفة القدرة :

تتناغم الآيات في نسج مكونات شخصية المسلم من خلال قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن، وعبر إطلالة على ما تضمنه هذا القصص من كنوز؛ نرصد لكنز عظيم يأخذ القلب واللب إلى تكوين اليقين في قدرة الله تعالى وعدم اليأس وصرف القنوط، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (ط. دار القلم ـ دمشق، ط. ثانية، ١٩٧٩م صـ ٣٤ .

وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [(١)].

وواضح تعجب سارة عليها السلام لما بشرتها الملائكة عليهم السلام، حتى إنها قالت"يا ويلتاه أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب فقالت الملائكة ترد على سارة أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد"[(٢)]وفي الآيات ترسيخ لليقين في قدرة الله، فلا عجب من أمر يقضيه؛لأنه على كل شيء قدير، وتلك الصورة تغرس في شخصية المسلم معالم الأمل في رحمة الله كاملة غير منقوصة، وتضع قدميه على طريق الاستقامة والفأل عند الرجاء، وتذب عن طريقه عوائق القنوط واليأس.

ثمرة تدبر قصص إبراهيم عليه السلام في تهيئة اتصال القلب بالله :

يتكون في شخصية المسلم من خلال الاعتبار بمدار ما جاء في قصص إبراهيم عليه السلام من مؤثرات في حركة القلب وسكونه وتقلبه بين منازل الاتصال بالله تعالى عدة محركات قلبيه قال عنها الشيخ ابن تيمية رحمه الله: "اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة:المحبة، والخوف، والرجاء، وأقواها المحبة، وهى مقصودة تراد لذاتها؛ لأنها تراد فى الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإنه يزول فى الآخرة، قال الله تعالى:

---

(١)سورة هود : ٦٩ _ ٧٦ .

(٢)الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ط. دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣ م) جـ ٤، صـ ٤٥٢ .

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[١]،
والخوف المقصود منه: الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقى العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده، فهذا أصل عظيم، يجب على كل عبد أن ينتبه له، فإنه لا تحصل له العبودية بدونه، وكل أحد يجب أن يكون عبداً لله لا لغيره"[٢].

هذا غيض من فيض مما ينسج قلب المؤمن على وشائج الإيمان من خلال تذاكر مواقف إبراهيم وأحواله التي مر بها بين القبض حينا والبسط أحيانا كثيرة .

---

(١)سورة يونس : ٦٢ .

(٢)مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق : أنور الباز - عامر الجزار (ط. دار الوفاء، طبعة ثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) جـ ١، صـ ٩٥ .

المبحث الثالث

أثر تدبر قصص إبراهيم عليه السلام

في توجيه العقل نحو تنزيه الله تعالى

إن في قصص إبراهيم عليه السلام عبرة للعقل، ومن اعتباره تنضبط كينونة الشخصية المسلمة بكل جوانبها وتوجهاتها، وبكل أشواقها ورغباتها، وبكل حاجاتها ومطالبها، فاعتبار العقل يردها إلى جهة واحدة تتعامل معها، جهة واحدة تأوي إليها في كل شيء، جهة واحدة ترجوها وتخنع إليها وتخضع لها وتخشاها، وتتقي غضبها وتبغي رحمتها وترجو رضاها، جهة واحدة تملك لها كل شيء، جهة نزيهة مفادها التوحيد والتنزيه والجلال والجمال، وجهة الله العلي الكبير، وفي قصص إبراهيم عليه السلام فيض من الجمل والعبارات التي توجه العقل نحو تنزيه الله تعالى، والتي من خلالها يستلهم الباحثون والمفكرون والعلماء حجم المكانة التي نالها العقل من بين سائر أعضاء الإنسان،ونظرة القرآن الشاملة من خلال هذا القصص لعمل العقل،وحثه على النظر والتأمل،والفكر والتفكر،وإطلاق العنان له في ربوع المعرفة والعلم وفق ضوابط ومحددات ذكرها القرآن في ثنايا ما جاء في واردات إبراهيم وحواراته مع قومه، وأوضحها بالحجة في المسائل والدلائل التشريعية الضخمة التي لا ينكرها عاقل، وقبل الخوض في غمار مدارات ضبط توجيه العقل نحو تنزيه الله تعالى، يجدر بنا أن نعرف بالعقل كتقدمة ينسجم من خلالها السياق:

تطواف حول مفهوم العقل في القرآن :

بالنظر إلى المعاني اللغوية المستمدة من القرآن الكريم نجد أن مادة "عقل"وردت تحمل العديد من المعاني، منها:الـ"(عقل) هو الحابس عن ذميم القول والفعل"[١]، و" العقل: نقيض الجهل: يقال عقل يعقل عقلا، إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله، وجمعه عقول "[٢]، "والعقل :الحجر والنهي،وهو ضد الحمق والجمع عقول"[٣] .

وقد وردت مادة عقل في القرآن الكريم " ٤٩ مرة معظمها بصيغة المضارع، ففعل " تعقلون" تكرر ٢٤مرة، وفعل " يعقلون" تكرر ٢٢مرة، وفعل "عقل" و" نعقل" و"يعقل" جاء كل واحدٍ منها مرة واحدة ولم يرد لفظ العقل معرفاً "[٤].

وبهذا فإن مفهوم العقل في القرآن يأخذ مناحي متعددة، مجملها تشير إلى أنه أداة العلم والمعرفة، والتمييز بين الأشياء،والحبس والحجر عن الوقوع في المهالك والمضار، وذميم القول والفعل لأن العاقل يعرف به الضار من النافع والخير من الشر .

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) جـ٤، صـ٦٩ .

(٢) نفس المصدر، جـ٤، صـ٦٩ .

(٣) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، (بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى) جـ١١، ص٤٥٨..

(٤) العقل والعلم في القرآن الكريم، القرضاوي، يوسف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) ص١٣ بتصرف يسير.

وحين أتناول العقل في تدبر قصص إبراهيم ﷺ في القرآن، فإنني أقصد بالعقل ذلك الجهاز الذي يتبنى عملية التفكير وصناعة المفاهيم وتحليل المعاني، والتمييز بين سليمها وسقيمها، فلا شك أن "منهج الله هو الأساس في بناء عقل الفرد المسلم السوي بإعداده الإنساني في تعامله، المميز في خصائصه، المؤثر في مجتمعه، القادر على القيام بمسئولياته في المجتمع، ومهامه في الحياة، الواعي لأهداف أمته، العامل على تحقيقها في واقع الممارسات اليومية، القادر على التفكير السليم، المستقل في شخصيته، المعتز بذاتيته، الملتزم في انتمائه، المتوازن في شخصيته وتصرفاته وتفكيره، وهذا لا يتم إلا إذا غذي بلبان هذا الدين في مدارج نموه، ومعارج ارتقائه، ومراحل عمره"(١).

وفيما يلي نبرز لأهم تطبيقات المنهج القرآني في قصص إبراهيم ﷺ - كنموذج - على منافذ العقل وتصاريفه:

الحجة في الحوار وحصر العقل في دائرة التسليم :

إن المتدبر في حوار إبراهيم ﷺ العقدي في القرآن ؛ يجد أنه اعتمد على الحجة والبرهان وإعمال العقل عبر منافذ متعددة ؛ كالنظر والتفكر، والاستفهام والسؤال، والاستنتاج والاستنباط، والحوار والنقاش، وإثبات الحقائق وإبرازها، والتفكر والتدبر فيها، والدعوة إلى النظر في الآيات

(١) من أهداف الإسلام، عبد الله بن محمد العجلان، بحث بمجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد (١٢)، صـ٢٩٤ - ٢٩٥.

المعنوية والحسية ومدى نفعها للخلق وقدر فائدتها والمحصول منها، وتأتي دعوة إبراهيم عليه السلام خالصة ناصعة شاملة متكاملة تواجه الوثنية مواجهة حاسمة كما صورها القرآن الكريم، ووصى بها إبراهيم عليه السلام بنيه كما وصى بها يعقوب عليه السلام بنيه قبل أن يموت:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) ﴾[(١)].

ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) ﴾[(٢)].

والمتأمل في قوله تعالى (واذكر) يجد أن الله يصنع شخصية نبيه على عينه، فقد " أَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : أَنْ يَذْكُرَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الْمُنَزَّلُ إِلَيْهِ مِنَ اللهِ

(١) سورة الشعراء ٦٩-٨٢ .

(٢)سورة مريم :٤١ / ٤٥ .

إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَتْلُو عَلَى النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ نَبَأَهُ مَعَ قَوْمِهِ وَدَعْوَتَهُ لَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهَّ وَحْدَهُ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ "[1].

وعلى نفس هذا السياق الإقناعي تكرر هذا المعنى المذكور في هذه الآية في آية أخرى في القرآن الكريم، ونجد صلة قوية تربط بين هذا الأمر الإلهي التكويني للنبي صلى الله عليه وسلم وبين آيات سورة الشعراء - السابقة - " فَقَوْلُهُ هُنَا : وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ، هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ : "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ "، وَزَادَ فِي الشُّعَرَاءِ أَنَّ هَذَا الَّذِي قَالَهُ لِأَبِيهِ مِنَ النَّهْيِ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ قَالَهُ أَيْضًا لِسَائِرِ قَوْمِهِ "[2] .

والعبر تترى في قصص إبراهيم عليه السلام، وكلها تخاطب العقل، وتضعه على مدارج اليقين والإقناع، فالإقناع لا يفرض فرضا، ولكن يعرض بالحجة والبرهان، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾[3]، وَقَال تَعَالَى:

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا

(١)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، جـ ٢، صـ ٤٢٣ .

(٢)نفس المصدر والصفحة .

(٣)سورة الأنعام : ٧٤ .

كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٧) ﴾[1]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ (٥٢) قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٥٦) ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ (٢٧) ﴾[3]، وقال: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ (٤٧) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾[4]، وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ (٥٢) قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٥٦) ﴾[5]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ

---

(١)سورة الشعراء: ٧٠ / ٧٧.

(٢)سورة الأنبياء: الآيات: ٥١ / ٥٦.

(٣)سورة الزخرف: الآيتان ٢٦ / ٢٧.

(٤)سورة الأنبياء: الآيات: ٤٧ – ٤٩.

(٥)سورة الأنبياء: الآيات: ٥١ –٥٦.

مِنَ الْآيَاتِ، وهي تدعو العقل ليتخلص من عبادة غير الله مما لا ينفع ولا يضر على نسق قوله تعالى ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾(١).

وقد أثنى الله تعالى على محاجة إبراهيم عليه السلام قومه ورفع قدره بالحجة التي من الله عليه بها، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾(٢)، وَقَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾(٣)، وأصل المحاجة في الآيات في شيء واحد؛هو توحيد الله تعالى، وإقامة الحجة القاطعة على أنه لا معبود إلا هو وحده جل وعلا، وكانوا من قبل قد أفحموا بالحجة القاطعة في مثل قوله تَعَالَىٰ في حكاية رد الْكُفَّارُ على إبراهيم عليه السلام بعد أن كسر أصنامهم:

﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾(٤)، وواضح توبيخهم بمداهمتهم بالتعجب والإنكار عليهم رغم أن لهم عقولا، ولكنهم لا يعقلون بها.

وبذلك "ناظر أهل الشرك وأدحض حججهم، وبين بطلان عبادتهم،

(١)سورة الأنبياء: الآيتان ٦٦-٦٧ .

(٢)سورة الأنعام: آية ٨٣ .

(٣)سورة الأنعام: آية ٨٠ .

(٤)سورة الأنبياء: آية ٦٥ .

وسوء معتقدهم، فلما بهتوا وقامت الحجة عليهم لجئوا إلى الشدة والقوة، وألقوه في النار ظنًّا منهم أن ذلك هو طريق الخلاص منه، ولكن الله أنقذه منها، ورد كيدهم في نحورهم وجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ﷺ، فأخرجوه من أرضهم، وتبرؤوا من دعوته"[١].

ونرى في خطابات إبراهيم جامعية بين العقل والعاطفة الوجدانية الفطرية، وذلك لتأهيل شخصية السامع والقارئ تأهيلا شاملا، فمن المنقصة التكوينية للذات المؤمنة تجفيف الحجة عن المؤثرات الوجدانية التي تنزع التسليم من العقل، فتجاهل الدافع الروحي الشعوري سبب رئيس في تفاقم الإشكالات في التفكير وفهم القيم.

إقناع العقل بعجزه وإثبات صفة القدرة لله تعالى :

من بلاغة الحجة التي منّ الله بها على إبراهيم ﷺ في محاجته لقومه، سرعة البديهة والتي تتجلى في موقف"النمرود"وهو الطاغية الجبار الذي كان يحكم الأرض التي يعيش فيها إبراهيم ﷺ، حين حاج إبراهيم ﷺ في شأن الله الواحد الأحد سبحانه، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

(١)التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، عبد المجيد بن سالم المشعبي، (ط. أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة ثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) صـ ٦ .

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[1].

و"النمرود بن كنعان، هو أول من تجبّر في الأرض وادّعى الربوبية، ولما أوتي الملك حاجَّ في الله تعالى، وفي المحاجّة وجهان محتملان:أحدهما:أنه معارضة الحجة بمثلها، والثاني:أنه الاعتراض على الحجة بما يبطلها، "إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ:رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ : أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ"؛يريد أنه يحيي من وجب عليه القتل بالتخلية والاستبقاء، ويميت بأن يقتل من غير سبب يوجب القتل، فعارض اللفظ بمثله، وعدل عن اختلاف الفعلين في علتهما"[2].

وقد خيب الله النمروذ بهذا الرد وأغرقه في عين باطله ليقر بهوانه وضعفه، ورغم ذلك لم يقطع إبراهيم حواره معه، بل ماداه حتى فضح أمره على العالمين " قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمُشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمُغرِبِ، فإن قيل:فَلِمَ عَدَلَ إبراهيم عن نصرة حجته الأولى إلى غيرها، وهذا يضعف الحجة ولا يليق بالأنبياء ؟ ففيه جوابان :

أحدهما:أنه قد ظهر من فساد معارضته ما لم يحتج معه إلى نصرة حجته ثم أتبع ذلك بغيره تأكيداً عليه في الحجة.

والجواب الثاني:أنه لما كان في تلك الحجة إشغاب منه بما عارضها به من الشبهة أحب أن يحتج عليه بما لا إشغاب فيه، قطعاً له واستظهاراً عليه

(١) سورة البقرة:آية ٢٥٨.

(٢)النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، جـ ١، صـ ٣٢٩ .

قال: فإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ، أي تحيّر، وقيل انقطع"[١]، وتلك عاقبة المجادل بالباطل ليدحض به الحق؛خسران وهوان وهزيمة .

رسالة الحواس للعقل وإلزامه الإقرار بقوله تعالى﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٢]:

مارس الخليل ﷺ في مخاطباته العقلية أسلوب التهيئة والنقض، فهيأ لقومه أمورا افتراضية تنتهي بإثبات بطلانها عقلا ومنطقا، ونسوق في ذلك مثالا يتعلق بالأجرام السماوية وفرضية كونها آلهة جدلا، ومعلوم أن الكواكب والنجوم كانت تُعبد قديما، وذلك حسب ما تثبته نصوص القرآن والمخلفات الموروثة من معتقدات ومن أعمال أدبية أو فنية كثيرة، وقد أشير لذلك في قصة سيدنا إبراهيم ﷺ في سورة الأنعام؛حيث يذكر أن إبراهيم ﷺ تفكّر من قبل بالنجم وبالشمس وبالقمر ووجدها مخلوقات زائلة لا تصلح لأن تكون آلهة، وقد منَّ الله عليه برجاحة العقل، وبلاغة الحجة، وسرعة البديهة كما يبدو لنا في محاجته لقومه لإبطال الوثنية بالبرهان العقلي، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

(١) نفس المصدر، صـ ٣٣٠ .

(٢) سورة الشورى : ١١ .

ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [1] .

فالآيات تخبر بأن"إبراهيم عليه السلام رأى كوكبا فقال هذا ربي ثم تبين له أنه ليس بإله، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الظالين، فتبين له أنه ليس بإله، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم إني بريىء مما تشركون"[2].

"وَخَلِيلُ اللهِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام عَالِمٌ فِي ابْتِدَاءِ النَّظَرِ إِلَى الْكَوَاكِبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ أَنَّ خَالِقَهُ عَالٍ فَوْقَ خَلْقِهِ حِينَ نَظَرَ إِلَى الْكَوَاكِبِ وَالْقَمَرِ

(١)سورة الأنعام : ٧٤ – ٨٢ .

(٢)حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، ابن الحاج القفطي، تحقيق : عبد الله عمر البارودي (مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥) صـ ٨٠ .

وَالشَّمْسِ "[١]، "لكنه أراد أن يتدرج بقومه عباد الأصنام درجة درجة حتى يصل بهم إلى اليقين، فلما جن عليه الليل رأى في السماء كوكباً لامعاً، فقال أمام قومه: سأتخذ هذا الكوكب اللامع إلها! فلما أفل أعلن لقومه أنه لا يعبد إلهاً يأفل ويغيب ! (قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ) فلما رأى القمر بازغاً قال (متظاهراً) هذا أجدر أن يكون إلهاً، فنوره أقوى من نور الكوكب، ولكن القمر بدوره أفل ! فتظاهر بالحيرة :(لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ)، وأخيراً طلعت الشمس بضيائها الساطع وحرارتها وقوة شعاعها فتظاهر بالفرح الشديد لعثوره أخيراً على الإله المنشود! (قَالَ هَـذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ) فلما أفلت الشمس أعلن أخيراً إعراضه عن كل تلك الآلهة الزائفة التي لا تستحق العبادة، وتوجهه للإله الحق الذي فطر السماوات والأرض على استقامة لا رجوع فيها ولا انحراف عنها (وهذا معنى "حنيفاً") وأعلن براءته التامة من كل شرك في عبادة الله، ونستطيع أن نتصور بطبيعة الحال استنكار قومه لموقفه ومحاجّتهم إياه، وإن كانوا لا يملكون حجة حقيقية أكثر من أنهم يفعلون كما فعل آباؤهم فحسب !"[٢].

وبهذا الدمغ لحجج القوم لا يجد العقل مناصاً إلا أن يرد الشخصية إلى

---

(١) كتاب التوحيد، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان (مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة : الخامسة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) جـ ١، صـ ١٦٩ .

(٢) رَكائزُ الإيمانِ، محمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود (دار المعمور، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م) صـ ٢٧٦ .

مصدر واحد، تتلقى منه قيمها وشرائعها وتنظيم مسيرها، وتجد جوابا لكل سؤل يجيش فيها، وهي تواجه الحياة والكون والحياة، بكل ما يثار من علامات الاستفهام.

وعندما تتجلى هذه الكينونة في شخصية المسلم .. تتمثل فيه شعوراً ومواجد سلوكاً، وتتناغم مع ذاته تصوراً واستجابة عقيدة ومنهجا، دنيا وآخرة، وحينها تصبح في خير حالاتها، وفي أوج قوتها الذاتية، وفي أوج انتظامها وتناسقها وقناعتها بهذه العقيدة التي تؤهلها لأعظم الآثار، وتهيؤها لتؤدي أعظم الأدوار.

ومن هنا كانت تلاوة القرآن بتدبر "تعرفه ـ أي الإنسان ـ الرب المدعو إليه وطريق الوصول إليه وما له من الكرامة إذا قدم عليه، وتشهده الآخرة حتى كأنه فيها، وتغيبه عن الدنيا حتى كأنه ليس فيها، وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه العالم، فتريه الحق حقا والباطل باطلا، وتعطيه فرقانا ونورا يفرق به بين الهدى والضلال، والغي والرشاد، وتعطيه قوة في قلبه وحياة وسعة وانشراحا وبهجة وسرورا فيصير في شأن والناس في شأن آخر، فإن معاني القرآن دائرة على التوحيد وبراهينه والعلم بالله وماله من أوصاف الكمال وما ينزه عنه من سمات النقص وعلى الإيمان بالرسل، وذكر براهين صدقهم وأدلة صحة نبوتهم والتعريف بحقوقهم وحقوق مرسلهم" [1].

ولطالما بلغت هذه الحقيقة أوجها في شخصية المسلم، وصارت مظهرا

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، جـ١، صـ ٤٥١ .

من مظاهرها ومركزا في جوهرها، لطالما اتجهت إلى تحقيق غاية وجودها من العبادة الخالصة التي تتمثل فيها عبودية الإنسان لله تعالى وحده في كل ما يقوم به من شؤون الخلافة.

المبحث الرابع

تحريك الدوافع السلوكية والعملية للمسلم

من خلال قصص إبراهيم عليه السلام

من خلال متابعة القصص الإبراهيمي في القرآن الكريم يتكون في المسلم الصادق عدة دوافع تقوم لسلوكه وتربط على قلبه، ومن هذه الدوافع :

أ- دوافع سلوكية في مجال العقيدة، :

إن من يتابع قصص إبراهيم يجد نفسه على الطريق المستقيم والسلوك القويم، حيث توحيد الوجهة لله رب العالمين، ويتجلى ذلك في قوله كما ورد في القرآن:

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[1] .

والمعنى " أخلصت ديني، وأفردت عبادتي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق حَنِيفاً أي مائلاً عن

(١) سورة الأنعام : الآيات ٧٩ – ٨٠ .

الشرك إلى التوحيد، ولهذا قال "وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ"[١] .

وهـذا يأخـذ بناظرنـا إلى التـأسي بـإبراهيم عليه السلام في تمـسكه بالتوحيـد الخالص، وعدم الانزلاق إلى أي شائبة من شوائب الوثنية والـشرك، ومـدار تكوين التأسي بإبراهيم يتجلى أيضا في قوله تعـالى:﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢] وذلك أسـمى مناط للاقتداء بإبراهيم عليه السلام.

ب ـ دوافع سلوكية في مجال العبادات :

إن المتأمل في مناجاة إبراهيم ودعائه ربه وحرصه على عبادته في القـرآن يترسخ لديه دوافع تثير في همته معالم العبادة ووحدة المقصود، وتـتجلى تلـك الدوافع في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ

(١)تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بـن كثير القـرشي الدمـشقي، (ط. دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) جـ ٢، صـ ١٨٥ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٦٧ .

وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[(١)]

إن إبراهيم دعا ربه"بأنْ يجنب بنيه عبادة الأصنام، وأنه أسكن ذريته في بيته ليعبدوه وحده بالعبادة التي هي أشرف العبادة وهي الصلاة، لينظروا في دين أبيهم، وأنه مخالف لما ارتكبوه من عبادة الأصنام، فيزدجروا ويرجعوا عنها "[(٢)].

ويلفت ناظرنا ويكون في سلوكنا غريزة الاهتمام بالذرية، والحرص على استقامة سلوكها في عبادة الله تعالى وحده حرص إبراهيم على ذلك، حين قال:"رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ، يعني: ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها، وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، يعني: واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة. رَبَّنا وَتَقَبَّلْ دُعاءِ، أي عملي وعبادتي، سمّى العبادة دعاء"[(٣)] .

جـ ـ دوافع سلوكية في مجال الأخلاق:

من واقع التدبر في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن؛يستقي الباحث وابلا من العبر ودلائل التأسي والاقتداء بإبراهيم عليه السلام في جانب السلوك والأخلاق يأخذ بيديه إلى المثالية، ويتوقل بتكوينه سنام الرقي الأخلاقي والسلوكي، ومن الملامح السلوكية التي تتكون من خلالها الشخصية:

---

(١) سورة إبراهيم : ٣٥ ـ ٤١ .

(٢) تفسير البحر المحيط ـ أبو حيان الأندلسى (ط. دار الفكر، د.ت) جـ ٥، صـ ٣٥٠ .

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ط. دار إحياء التراث العربي –بيروت، طبعة أولى، ١٤٢٠ هـ) جـ ٣، صـ ٤٤ .

أولا : صدقه مع ربه :

حين وصف القرآن إبراهيم عليه السلام بالصدق وصفه به مع المبالغة لبلوغه أعلى الرتب فيه ؛ قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾ [(١)].

" فالصِّدِّيقُ:من أبنية المبالغة ونظيره الضحيّك والنّطّيق والمراد أنه بليغ الصدق في أقواله وأفعاله وفي تصديق غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله"[(٢)] إذن "الصِّدِّيقُ صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ مِنَ الصِّدْقِ، لِشِدَّةِ صِدْقِ إِبْرَاهِيمَ فِي مُعَامَلَتِهِ مَعَ رَبِّهِ وَصِدْقِ لَهْجَتِهِ، كَمَا شَهِدَ اللهُ لَهُ بِصِدْقِ مُعَامَلَتِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [(٣)]، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [(٤)] وَمِنْ صِدْقِهِ فِي مُعَامَلَتِهِ رَبَّهُ:رِضَاهُ بِأَنْ يَذْبَحَ وَلَدَهُ، وَشُرُوعُهُ بِالْفِعْلِ فِي ذَلِكَ طَاعَةً لِرَبِّهِ، مَعَ أَنَّ الْوَلَدَ فِلْذَةٌ مِنَ الْكَبِدِ"[(٥)].

ومن خلال ذلك الورود على تلك الآيات التكوينية نجد أن إبراهيم أسوة حسنة وحقيق بأن يتأسى به المسلم في صدقه مع ربه وصدقه مع نفسه

---

(١)سورة مريم : آية ٤١ .

(٢)إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ط. دار اليمامة - دمشق - بيروت، طبعة رابعة، ١٤١٥ هـ) جـ٦، صـ١٠٥ .

(٣)سورة النجم : آية ٣٧ .

(٤)سورة البقرة : آية ١٢٤ .

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ط. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) جـ٣، صـ٤٢٣ .

وصدقه مع الناس .

ثانيا : صبره على الأذى وتحمله في سبيل الحق :

ضرب إبراهيم أعظم المثل للشخصية الصابرة العازمة، فقد صبر إبراهيم على الأذى والتنكيل وثبت على الحق، ومن ذلك صَبْرُهُ عَلَى الْإِلْقَاءِ فِي النَّارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾[1]، وَقَالَ:

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]، صَبْرُهُ عَلَى مُفَارَقَةِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ فِرَارًا بِدِينِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾[3]، وَقَدْ هَاجَرَ مِنْ سَوَادِ الْعِرَاقِ إِلَى دِمَشْقَ:وَقَدْ بَيَّنَ جَلَّ وَعَلَا فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ أَنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ بِنَهْيِهِمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَبَيَانِ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، بَلْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ كَسَرَهَا وَجَعَلَهَا جُذَاذًا وَتَرَكَ الْكَبِيرَ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَلَمَّا سَأَلُوهُ هَلْ هُوَ الَّذِي كَسَرَهَا قَالَ لَهُمْ: إِنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ كَبِيرُ الْأَصْنَامِ، وَأَمَرَهُمْ بِسُؤَالِ الْأَصْنَامِ إِنْ كَانَتْ تَنْطِقُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُ:

---

(١)سورة الأنبياء : آية ٦٨ .

(٢)سورة العنكبوت : آية ٢٤ .

(٣)سورة العنكبوت : آية ٢٦ .

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) ﴾ (١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾ (٢).

فَقَوْلُهُ : فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ، أَيْ:مَالَ إِلَى الْأَصْنَامِ يَضْرِبُهَا ضَرْبًا بِيَمِينِهِ حَتَّى جَعَلَهَا جُذَاذًا، أَيْ:قِطَعًا مُتَكَسِّرَةً مِنْ قَوْلِهِمْ:جَذَّهُ:إِذَا قَطَعَهُ وَكَسَرَهُ "(٣).

---

(١)سورة الأنبياء : الآيات ٥٧ ـ ٦٦ .

(٢)سورة الصافات : الآيات ٩١ ـ ٩٦ .

(٣)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، جـ ٣، صـ ٤٢٣ .

ثالثا : شكره للنعمة واستقامته على التوحيد :

توقل إبراهيم عليه السلام معارج شكر النعمة، وتسنم ذروة الاستقامة على التوحيد، فكان نبراسا يهتدي بمسلكه الطالبون، وأسوة يسير على دربه المقتدون، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [1] .

فقوله:"شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، "أي قائماً بشكر نعم الله عليه، والصراط المستقيم :هو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي"[2] .

وفي تلك الآيات ترسيخ لقواعد شكر النعمة وترك الجحود، كما تأخذ الآيات بيد المسلم إلى الاستقامة على التوحيد ونبذ الشرك أيضا.

---

(١)سورة النحل : ١٢٠ .

(٢)تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ط. دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) جـ ٢، صـ ٧١٩ .

الخـــــــاتمة

بعد هذا التطواف في شعاب البحث تأتي الخاتمة متضمنة في نتائج وتوصيات يبرز لها الباحث فيما يلي :

أولا : أهم النتائج :

١ . ضرورة إطالة التأمل والتدبر في قصص القرآن لما لذلك من أثر في تثبيت قواعد الإيمان في قلب المسلم، وتشييد بنيانه وتوطيد أركانه، وتبصيره مواقع العبر وتشهده، وتعريفه بالله وعظمة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لذا أمر القرآن بإعمال العقل في الآيات الكونية، والجوانب المعنوية، والآيات التنزيلية، والتفكر المخلص، والتذكر، وغير ذلك.

٢. عظمة منهج إبراهيم عليه السلام في تقويم بناء شخصية المسلم، وضرورة دراسته دراسة موضوعية يتبين من خلالها لكل مسلم عظمة العقيدة وضرورتها، وما يجب على كل مسلم تجاهها، ليلتزمها في كل شئون حياته العلمية والعملية، حتى تكون همّ حياته ومصدر سعادته مدركا أنه لا معنى لوجوده، ولا سبيل لنجاته إلا بها.

٣. جامعية مخاطبة القصص الإبراهيمي لمنظومة البناء الإنساني المادي والمعنوي وللكينونة الشخصية بكل توجهاتها وجمعها على مائدة اليقين ودقة التكوين على العقيدة التوحيدية النزيهة، وإبطال الشرك بكل أشكاله بالحجة والرهان .

٤ . يسوق قصص إبراهيم عليه السلام كل مكونات الشخصية من العقل والقلب والروح والفطرة والحواس إلى وجود الله وتنزيهه وتوحيده والتوكل عليه

واليقين في نصره للمؤمنين والصبر عند ملاقاة الأزمات بكل ألوانها وأشكالها.

٥ . إسقاط قصص إبراهيم عليه السلام لكل أشكال الإلحاد المعاصرة، وإبطالها لعموم المعتقدات الفاسدة التي تشكك في الله تعالى، وتوقف شخصية المسلم عند أبواب اليقين في وجود الله وفي صدق اليوم الآخر والبعث والغيب بكل مجالاته وأشكاله .

ثانيا : أهم التوصيات :

نخلص مما سبق إلى عدة توصيات أهمها:

١ . تكوين لجان بحثية متخصصية في الدراسات القرآنية وعلم النفس وسائر الاختصاصات ذات الصلة للاستفادة من قصص إبراهيم عليه السلام في صياغة وبناء شخصية المسلم عن طريق التدبر في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن والاعتبار بما فيه من كنوز تمثل منهجا حياتيا آمنا.

٢ .إقامة مؤتمرات وندوات دورية تجمع النخبة من أهل الدراية والاختصاص تهتم بشخصية المسلم بغرض دراسة وإعداد خطط عملية للتدبر في بناء الشخصية المسلمة وتبصيرها بعقيدتها من خلال الكنوز المكنونة في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن، ومن ثم نشرها بين المؤسسات والمدارس القرآنية والتعليمية.

٣. طرح برامج ومناهج عملية في بناء الشخصية وملامحها من خلال القصص القرآني عموما، وقصص إبراهيم عليه السلام خصوصا، على أن تدعم هذه البرامج لمناهج المؤسسات التعليمية والمدارس القرآنية القائمة على

تحفيظ القرآن الكريم، وذلك لتأسيس شخصية مسلمة تتكون على أسس عقدية صحيحة يحتاجها الجيل المعاصر في ظل تحديات العولمة وأنساقها من التحديات المعاصرة التي تواجهه.

هذا غيض من فيض في موضوع التدبر المليء بالكنوز، ولا يزعم الباحث أنه أحاط بكل جوانب الموضوع، ولكنه جهد مقل يبتغى رضوان الله تعالى، والله غالب على أمره وعلى الله قصد السبيل.

وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته وسلم تسليماً كثيراً.

فهرس المراجع والمصادر

أولاً : القرآن .

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ط. دار التراث، القاهرة، د. ت) .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م) .
- الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، محمد السيد أرناؤوط، (مكتبة مدبولى، د.ت) .
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (ط.دار ابن كثير – دمشق – بيروت، طبعة رابعة، ١٤١٥ هـ) .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط/ ١، دار الكتب العلمية – يبروت، ١٤١١هـ – ١٩٩١م) .
- الله والإنسان، عبد الكريم الخطيب، (ط. دار الفكر العربى، د.ت) .
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، .خامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) .
- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: محمود مطرجي، (ط. دار الفكر – بيروت، د.ت) .

- البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، (دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة ثانية / ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ) .
- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، (ط.مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، طبعة أولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) .
- تدبر القرآن، سليمان السنيدي، (ط. المنتدى الإسلامي، ط. أولى، ١٤٢٢هـ) .
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري (ط. دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة أولى، ١٤٠٥ هـ) .
- التفسير الواضح، محمد محمود حجازى، (ط. دار الجيل الجديد، د. ت).
- تفسير الماوردى ..النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم .
- التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، عبد المجيد بن سالم المشعبي، (ط. أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة ثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) .
- جامع العلوم والحكم، للحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، (ط. مؤسسة الرسالة - بيروت، ط. خامسة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م) .
- الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، (ط.دار الشروق،

طبعة أولى، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م) .

- حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، ابن الحاج القفطي، تحقيق : عبد الله عمر البارودي (مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥) .
- الرجل والمرأة في الإسلام، محمد وصفى، تقديم: محمد عبد الله السمان، تخريج: محمد صديق المنشاوى، (طبعة دار الفضيلة، د.ت) .
- رَكائزُ الإيمانِ، محمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه: علي بن نايف الشحود (دار المعمور، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م) .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل (ط.دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت) .
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت) .
- العقيدة والأخلاق، محمد سيد طنطاوى، (طبعة دار السعادة، طبعة أولى، سنة ١٤١٨هـ ـ سنة ١٩٩٨م) .
- العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (ط. دار القلم ـ دمشق، ط. ثانية، ١٩٧٩م).
- العقل والعلم في القرآن الكريم، القرضاوي، يوسف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م).
- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للحافظ زين الدين أبى الفرج ابن

رجب الحنبلي، (ط.مكتبة الغرباء الأثرية، طبعة أولى، سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م) .

- الفلسفة القرآنية، كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية والاجتماعية التي ورد موضوعها في آيات الكتاب الكريم، عباس محمود العقاد (طبعة دار نهضة مصر، د.ت) .
- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله تعالى، عبدالرحمن حسن حبنكة (ط. دار القلم –دمشق – ط. ثانية – سنة ١٤٠٩هـ) .
- قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي، (طبعة البابى الحلبي، سنة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٧م) .
- كتاب التوحيد، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان (مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة : الخامسة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) .
- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، (بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى) .
- مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد (١٢) .
- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق : أنور الباز – عامر الجزار (ط. دار الوفاء، طبعة ثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م).
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر

أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق : محمد حامد الفقي (ط.دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة ثانية، ١٣٩٣ – ١٩٧٣) .

- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد (ط. المكتبة العصرية، د. ت) .
- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين البغوي الشافعي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي (ط. دار إحياء التراث العربي –بيروت، طبعة أولى، ١٤٢٠ هـ) .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (قلب)، (ط.دار الفكر، بيروت، ط. أولى، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م) .
- معجم مقاييسس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين تحقيق عبد السلام هارون (ط. اتحاد الكتاب العربي، سنة ١٤٢٣هـ) .
- مفتاح دار السعادة، ابن القيم الجوزية (ط. دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت) .

القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز

للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) من بداية كلامه على سورة طه إلى نهاية كلامه على الآية (١٤) من السورة نفسها

دراسة وتحقيقاً

إعداد

د. أمين بن عائش بن سعد المزيني

د. أمين بن عائش بن سعد المزيني

- الأستاذ المساعد بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- حصل على درجة الماجستير من كلية القرآن – قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية، بأطروحته (مفاتيح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن.. للصنعاني)، دراسة وتحقيق ومقارنة بكتاب (معالم التنزيل) للبغوي.
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية القرآن – قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية، بأطروحته (الكفاية في تفسير القرآن .. للدريني) من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الحجر، دراسة وتحقيقاً.

ملخص البحث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذا بحث بعنوان " القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) من بداية كلامه على سورة طه إلى نهاية كلامه على الآية (١٤) من السورة نفسها - دراسة وتحقيقاً "، شاركت به مجموعة من زملائي في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، حيث حققت ودرست فيه الموجود من تفسير سورة طه؛ حيث لا يكفي الموجود لرسالة علمية، وقد فسر فيه المؤلف رحمه الله أربع عشرة آية من سورة طه.

وقد جعلت البحث في قسمين: قسم الدراسة، وقسم التحقيق، ترجمت في قسم الدراسة منه للمؤلف ترجمة موجزة، وكتبت لمحة يسيرة عن الكتاب، واحتوى قسم التحقيق على نص كلام المؤلف في تفسير الموجود من سورة طه محقَّقاً.

وكان مما لحظته في دراسة الكتاب اختلاف منهج المؤلف في كتابه، حيث ابتدأ الكتاب بالاقتصار على الكلام على آيات الأحكام على منهج أغلب من كتب في أحكام القرآن، لكنه بعد ذلك أصبح يفسر جميع الآيات، غير أن جزءاً كبيراً من الكتاب مفقود.

كتبه: د. أمين بن عائش المزيني

عضو هيئة التدريس بقسم التفسير وعلوم القرآن

بالجامعة الإسلامية

Abstract

All praise is to Allah alone, and may His peace and blessings be upon the last of all prophets.

This research, entitled ‘Alqawl Alwajeez Fee Ahkam Alkitab Alazeez (the Concise Statement on the Provisions of the Holy Book’, by Assameen Al-Halabi (died in ٧٥٦ A.H) - Focuses on the Chapter of Taha (Verses ١-١٤); a paper that was written in collaboration with postgraduate colleagues. I have observed and studied the available explications of the chapter of Taha, but what is available is not enough for a dissertation. The author, Assameen, (May God bless his soul) provided an exegesis of ١٤ verses of that chapter of the Holy Qur'an.

I have divided the study into two sections: a summary and a commentary. I have provided in the summary a brief biography of the author and a concise overview of his book. On the other hand, the commentary includes a review and editing of the author's explication of the chapter of Taha.

While investigating the book, it was quite noticeable that the author was inconsistent in his approach. He started by only explicating the verses that contain rulings, thus following the same approach adopted by most writers of books on Qur'anic Provisions, yet later on he started explaining all verses. Moreover, a large part of his book is missing.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فقد تقدم زملائي من طلبة مرحلتي الماجستير والدكتوراه في قسم التفسير وعلوم القرآن إلى مجلس القسم بطلب تحقيق الموجود من كتاب "القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز" للسمين الحلبي رحمه الله، فرحب مجلس القسم بالفكرة، حيث يتسم الكتاب بالعمق في مجاله، والجدة والابتكار في الطرح، فأسند مهمة توزيع أجزاء الكتاب المخطوط على الطلبة المتقدمين لتحقيقه إلى لجنة علمية تولت ذلك، ونظراً لفقدان أجزاء كثيرة من الكتاب فقد بقيت ألواح يسيرة من تفسير سورة مريم، وألواح أخرى يسيرة من تفسير سورة طه، حيث توقف الموجود من التفسير عند الآية (٦٧) من سورة النحل، ووجد منه من تفسير سورة مريم (١١) لوحاً، من تفسير آخرها، عقبه تفسير بداية سورة طه إلى الآية (١٤) منها في (١٠) ألواح، ثم فقد ما بعده إلى الآية (٤١) من تفسير سورة النور، ونظراً لكون مقدار الألواح لا يناسب رسالة علمية فقد رأت اللجنة ألا توزع الموجود من تفسير سورتي مريم وطه، وأن تتيح المجال لمن شاء من الباحثين أن يحققه.

وقد استشرت رئيس اللجنة[1] في تحقيق الموجود من سورة طه فحثني عليه، وأبدى سعادته بذلك، فانشرح للعمل فيه صدري - على ما أعلمه

(١) وهو فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد بن عبدالعزيز العواجي.

من صعوبة تحقيق هذا الكتاب خاصة -، فاستعنت بالله تعالى، وسميت البحث بما يتسق مع عناوين زملائي طلبة مراحل الدراسات العليا " **القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز، للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) من بداية كلامه على سورة طه إلى نهاية كلامه على الآية (١٤) من السورة نفسها - دراسة وتحقيقاً** ".

وجعلت منهجي مقارباً - قدر الإمكان - متوائماً مع عملهم، مع مراعاة الفرق في عدد الألواح وما يتطلبه ذلك من اختصار في قسم الدراسة لتتناسب في المقدار مع حجم قسم التحقيق، فجاء البحث في مقدمة، وقسمين، وفهارس.

القسم الأول: الدراسة. وفيه فصلان:

الفصل الأول: دراسة المؤلف، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

المبحث الثاني: مولده.

المبحث الثالث: نشأته وطلبه للعلم.

المبحث الرابع: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المبحث الخامس: عقيدته ومذهبه الفقهي.

المبحث السادس: وفاته.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اسم الكتاب، وتوثيق نسبته إلى المؤلف.

المبحث الثاني: منهج المؤلف في كتابه.

المبحث الثالث: وصف النسخة الخطية، ونماذج مصورة منها.

القسم الثاني: التحقيق، ويشتمل على النص المحقق من بداية تفسير سورة طه إلى تفسير الآية (١٤) من السورة نفسها، وذلك في قرابة (١٠) ألواح.

ثم عقبت البحث بثبت للمصادر والمراجع، ففهرس للموضوعات.

وقد سلكت في التحقيق المنهج العلمي المتبع في تحقيق الكتب الشرعية، لا سيما كتب التخصص منها، عازياً للآيات في المتن اختصاراً، وعازياً للأحاديث إلى مصادرها من كتب السنة حسب أولويتها عند أهل العلم، ناقلاً كلام أهل العلم المعتبرين صحة وضعفاً على ما لم يخرجه الشيخان منها، ومترجماً للأعلام ترجمة موجزة عدا الصحابة منهم لشهرتهم، ومن كان مشهوراً ممن عاصر النبي ﷺ من كفار مكة، ومبيناً للغريب، وضابطاً للمشكل من النص، مثبتاً ما كتبه المؤلف رحمه الله في هذا الكتاب ولو ترجح لي خطؤه، لكونه قد كتبه بخط يده، موثقاً ما أورده رحمه الله فيه من مسائل تستدعي التوثيق، ومعلقاً على ما يحتاج إلى تعليق.

ولله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

القسم الأول: الدراسة

الفصل الأول: دراسة المؤلف

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

المبحث الثاني: مولده.

المبحث الثالث: نشأته وطلبه للعلم.

المبحث الرابع: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المبحث الخامس: عقيدته ومذهبه الفقهي.

المبحث السادس: وفاته.

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

هو أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود الشافعي الحلبي، هذا ما كتبه بخطه رحمه الله في عدة مواضع من كتبه، إذ كتبه على غلاف الجزء الأول، وعلى غلاف الجزء الثاني كذلك من كتابه القول الوجيز، وكذا كَتَبَه أيضاً بخطه في كتابه الدر المصون[1].

رغم أن المشهور عند أهل التراجم في نسبه أنه أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد[2]، وبعضهم ينسبه: أحمد بن يوسف بن محمد بن عبد الدائم[3].

غير أن ما كتبه بخطه في عدة مواضع قاطع في هذا الباب.

وأما كنيته فأبو العباس[4]، ويلقب شهاب الدين[5]، واشتهر بلقب السمين[6]،

---

(١) حسب ما أفاده محققه ١/ ١٣. وقد أورد نسبه هكذا الأسنوي في طبقات الشافعية ٢/ ٥١٣، وابن الجزري في غاية النهاية ١/ ١٥٢، وابن قاضي شهبة في طبقات الفقهاء الشافعية ٢/ ٩٩، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢١، وابن العماد في شذرات الذهب ٥/ ١٧٩.

(٢) انظر: أعيان العصر ص ٤٤١، والدرر الكامنة ١/ ٣٣٩، وبغية الوعاة ١/ ٤٠٢، وإعلام النبلاء ٥/ ٢٤، والأعلام ١/ ٢٧٤، وغيرَها.

(٣) انظر: المقفى ١/ ٧٥٠، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ١٠١.

(٤) انظر: غاية النهاية ١/ ١٥٢، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٩٩، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢١.

(٥) انظر: أعيان العصر ص٤٤١، وطبقات الشافعية للأسنوي ٢/ ٥١٣، والدرر الكامنة ١/ ٣٣٩.

(٦) انظر: غاية النهاية ١/ ١٥٢، والمقفى ١/ ٧٥٠، وحسن المحاضرة ١/ ٥٣٦.

وبابن السمين[١]، وبالنحوي[٢].

كما أنه ينسب كذلك إلى حلب، وإلى مصر، فيقال: الحلبي، والمصري، إذ انتقل من حلب إلى القاهرة بمصر، وفيها اشتهر[٣].

المبحث الثاني: مولده.

لم أقف على من ذكر مكان ولادته ولا زمانها، غير أن نسبته إلى حلب ترجح احتمال ولادته فيها.

وأما زمان ولادته فقد ذكر عصريُّه الصفدي أنه قد وافته المنية وهو كهل سنة ٧٥٦هـ[٤]، وعليه فالمتوقع أنه قد ولد في أوائل القرن الثامن الهجري.

المبحث الثالث: نشأته وطلبه للعلم.

لم تشر المصادر إلى ملامح حياته في منشئه في حلب، وإنما تذكر شيئاً من حياته في مصر، وبالأخص في القاهرة التي نزل بها، فاشتهر فيها، حيث قرأ القراءات بمصر على العشاب[٥]، وعلى التقي الصائغ[٦] حتى مهر

---

(١) انظر: أعيان العصر ص ٤٤١، وطبقات الفقهاء الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٩٩، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢١، وشذرات الذهب ٥/ ١٧٩، وإعلام النبلاء ٥/ ٢٤.

(٢) انظر: طبقات الشافعية للأسنوي ٢/ ٥١٣، وغاية النهاية ١/ ١٥٢.

(٣) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٩٩، وشذرات الذهب ٥/ ١٧٩، والأعلام ١/ ٢٧٤.

(٤) أعيان العصر ص ٤٤٢.

(٥) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم العشاب، أبو العباس المرادي القرطبي، كان إماماً مقرئاً، توفي سنة ٧٣٦هـ. انظر: غاية النهاية ١/ ١٠٠، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٦٧.

(٦) هو محمد بن أحمد بن عبدالخالق، تقي الدين، أبو عبدالله، الصائغ، شيخ زمانه، توفي سنة =

فيها[1]، وسمع الحديث من يونس الدبوسي وغيره[2]، ولازم أبا حيان حتى مهر في النحو، وفاق أقرانه في حياة شيخه[3]، وتولى الإعادة في جامع الشافعي[4]، وارتقى شأنه، وعلا صيته، حتى ظهرت مكانته بين العلماء والولاة، مما سيتبين في المبحث اللاحق بإذن الله.

المبحث الرابع: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

حظي السمين الحلبي رحمه الله بمكانة رفيعة لدى أهل العلم، تتبين من خلال ثنائهم عليه، وعلى مؤلفاته، ومن خلال ما وليه من أعمال تشهد بعلو كعبه في مقام العلم، ومن خلال ما خلفه لنا من تراث متميز ينبئك عن مدى تضلعه من العلوم الشرعية واللغوية.

فقد قال عنه معاصره الصفدي :"الشيخ الإمام العلامة"[5]، كما قال

= ٧٢٥هـ. انظر: أعيان العصر ٤/ ٢٥٠، وغاية النهاية ٢/ ٦٥.

(١) انظر: غاية النهاية ١/ ١٥٢، والدرر الكامنة ١/ ٣٣٩.

(٢) يونس الدبوسي هو: يونس بن إبراهيم بن عبدالقوي الدبوسي، ويقال له: الدبابيسي، مسند مصر في وقته، توفي سنة ٧٢٩هـ. انظر: الوافي بالوفيات ٢٩/ ١٧٣، وذيل التقييد ٢/ ٣٣٤.

وانظر سماعه من يونس ومن غيره في: أعيان العصر ص ٤٤١، والدرر الكامنة ١/ ٣٣٩.

(٣) انظر: الدرر الكامنة ١/ ٣٣٩، والمقفى ١/ ٧٥٠.

(٤) انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٩٩، وحسن المحاضرة ١/ ٥٣٦. والإعادة هي أن يتولى أحد الطلبة إعادة ما غمض من شرح الأستاذ لتلاميذه. انظر: المعجم الوسيط ص ٦٣٥.

(٥) أعيان العصر ص ٤٤١.

عنه ابن الجزري:"إمام كبير"[١]، وقال ابن تغري بردي:"وكان إماماً عالماً، أفتى ودرس وأقرأ عدة سنين"[٢].

وتضمن ثناؤهم ما تمتع به رحمه الله من تفنن في العلوم، ومشاركة جيدة في أنواعها، فقد قال الأسنوي:"كان فقيهاً، بارعاً في النحو، والتفسير، وعلم القراءات، يتكلم في الأصول، خيراً ديناً"[٣]، وقال ابن حجر:"المقرئ النحوي ... تعانى النحو[٤] فمهر فيه، ولازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه، وأخذ القراءات عن التقي الصائغ ومهر فيه"[٥]، وقال ابن العماد:"النحوي المقرئ الفقيه العلامة"[٦].

وقد امتد ثناء العلماء عليه إلى الثناء على مؤلفاته التي تميزت بتنوعها وبإتقانها، فقد وصفها ابن قاضي شهبة والداودي بأنها "حسنة"[٧]، ووصفها المقريزي بـ"السائرة"[٨].

وكما حظيت مؤلفاته بالقبول لدى العلماء إجمالاً فقد حظيت كذلك بالثناء عليها فرادى، إذ شرح الشاطبية شرحاً وصفه ابن الجزري بأنه "لم يسبق إلى

(١) غاية النهاية ١/ ١٥٢.

(٢) النجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢١.

(٣) طبقات الشافعية٢/ ٥١٣.

(٤) أي: باشره واعتنى به وقام عليه. انظر: لسان العرب ٩/ ٤٤٦ (ع ن ي).

(٥) الدرر الكامنة ١/ ٣٣٩.

(٦) شذرات الذهب ٥/ ١٧٩.

(٧) طبقات الفقهاء الشافعية ٢/ ٩٩، وطبقات المفسرين ١/ ١٠٢.

(٨) المقفى ١/ ٧٥٠.

مثله"[1]، وحظي كتابه الدر المصون بثناء ابن الجزري وابن حجر[2]، وقال عنه صديق حسن خان:"أجلُّ ما صُنف فيه"[3] يعني في علم إعراب القرآن، كما ألف في التفسير كتاباً وصفه ابن الجزري بأنه تفسير جليل[4].

ولما تميز به رحمه الله من تضلع من العلوم، ولما يتحلى به من ديانة وصيانة، فقد ناب عن القضاء في القاهرة، كما ولي نظارة الأوقاف بها حتى توفي[5]، ومثل هذين المنصبين لا يتولاهما إلا من جمع إلى العلم الشرعي أمانة، وديانة، وعقلاً وافراً يُحسِن به إصدار الأمور إذا وردت.

المبحث الخامس: عقيدته ومذهبه الفقهي.

كان رحمه الله أشعرياً في المعتقد، وهو مذهب أكثر أهل العلم في زمنه، وإن كان يُطلِق عليهم لفظَ: أهل السنة، على ما اشتهر في ذلك الزمان، ومن ذلك تأويله صفة الرحمة، والاستواء، وتقريره أن أفعال الله سبحانه لا تعلل، وغير ذلك[6]، لكن الملفت للانتباه أنه كان يتحاشى التشنيع على أهل السنة أو وصفهم بما لا يليق، بل يقرر ما يراه بأدب وافر، غفر الله لنا وله.

---

(١) غاية النهاية ١/ ١٥٢.

(٢) غاية النهاية ١/ ١٥٢، والدرر الكامنة ١/ ٣٣٩.

(٣) أبجد العلوم ٢/ ٧١.

(٤) غاية النهاية ١/ ١٥٢.

(٥) انظر: طبقات الشافعية للأسنوي ٢/ ٥١٣، والدرر الكامنة ١/ ٣٣٩، وتاريخ الأدب العربي/ القسم السادس/ ٤٥٧.

(٦) انظر: الدر المصون ١/ ٣١، ٢٤٢-٢٤٤، ٤/ ٦٢٧، ٥/ ٣٤٠، ١٠/ ٤١٧.

وأما مذهبه الفقهي فقد كان شافعياً، كتب ذلك رحمه الله بيده على غلاف الجزء الأول، وعلى غلاف الجزء الثاني أيضاً من المخطوط، كما ترجم له المؤلفون في طبقات الشافعية[١]، ونص على ذلك أيضاً عدد ممن ترجم له[٢].

المبحث السادس: وفاته.

بعد حياة حافلة بالتأليف والعطاء توفي رحمه الله كهلاً في القاهرة سنة ٧٥٦هـ[٣]، وذلك في شهر جمادى الآخرة منها[٤]، وقيل: في شعبان[٥].

(١) انظر: طبقات الشافعية للأسنوي ٢/ ٥١٣، وطبقات الفقهاء الشافعية ٢/ ٩٩.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢١، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ١٠١، وشذرات الذهب ٥/ ١٧٩، والأعلام ١/ ٢٧٤.

(٣) ولا خلاف فيما وقفت عليه من مصادر في وفاته في تلك السنة. انظر: أعيان العصر ص ٤٤٢، وغاية النهاية ١/ ١٥٢، وطبقات المفسرين للأدنوي ص ٢٨٧، وشذرات الذهب ٥/ ١٧٩.

(٤) انظر: طبقات الشافعية للأسنوي ٢/ ٥١٣، والنجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢١، وبغية الوعاة ١/ ٤٠٢. وانفرد السيوطي في حسن المحاضرة ١/ ٥٣٧ بأن أرخ وفاته في شهر جمادى الأولى، والذي يظهر أنه وهم لانفراده بذلك، ولأن السيوطي نفسه في بغية الوعاة أرخه في جمادى الآخرة.

(٥) انظر: غاية النهاية ١/ ١٥٢، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ١٠٢.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اسم الكتاب، وتوثيق نسبته إلى المؤلف.

المبحث الثاني: منهج المؤلف في كتابه.

المبحث الثالث: وصف النسخة الخطية، ونماذج مصورة منها.

المبحث الأول: اسم الكتاب، وتوثيق نسبته إلى المؤلف.

كتب السمين رحمه الله اسم كتابه بخط يده على غلاف الجزء الأول بلفظ "القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز"، ونص عليه في مقدمته باللفظ ذاته[(١)]، كما نص عليه هو نفسه في كتابه عمدة الحفاظ[(٢)].

هذا بالإضافة إلى من ذكره من أهل التراجم بهذا الاسم[(٣)].

وقد يذكره بعضهم باسم مختصر، فيقول: "أحكام القرآن"، أو "جَمَع كتاباً في أحكام القرآن"، ونحوها من العبارات[(٤)]، مما يظهر أنه لا يُقصد به حكاية اسم الكتاب، بل بيان موضوعه، وهو ما صنعه المؤلف نفسه في كتابه الدر المصون حيث أحال إلى القول الوجيز مرة بقوله "وسيأتي تحقيقه بأشبع من هذا في كتاب أحكام القرآن إن شاء الله تعالى تمامه"[(٥)]، وأحال إليه أخرى بقوله "وسأبينه إن شاء الله في الأحكام"[(٦)].

---

(١) القول الوجيز، تحقيق عبد الرحيم القاوش ص ١٠١.

(٢) عمدة الحفاظ ٢/ ١٧٨.

(٣) انظر: كشف الظنون ٢/ ١٣٦٦، وهدية العارفين ٥/ ١١١، و تاريخ الأدب العربي/ القسم السادس/ ٤٥٧، والأعلام ١/ ٢٧٤، ومعجم المؤلفين ١/ ٢١١.

(٤) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ١٠٠، والدرر الكامنة ١/ ٣٣٩، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ١٠٢، وإعلام النبلاء ٥/ ٢٤.

(٥) الدر المصون ١٠/ ٢٢٦.

(٦) المصدر نفسه ١٠/ ٢٥٥. ومما يلفت الانتباه أنه قد أحال في الدر المصون إلى القول الوجيز في أواخر الدر المصون فقط، وتكررت إحالته إليه مرتين، كلتاهما في آخر الكتاب، بخلاف إحالته في القول الوجيز إلى الدر المصون، فقد أحال إليه في مواضع متفرقة منه: في مقدمته وأوائله وأواسطه. ولعل هذا يشير إلى أنه قد بدأ في تأليف القول =

غير أن المؤلف رحمه الله قد كتب عنوان كتابه هذا بلفظ مغاير في غلاف الجزء الثاني منه، حيث كتب ما نصه: "الجزء الثاني من اللفظ الوجيز في أحكام الكتاب العزيز"، ولا أدري أسهوٌ هو وسبقُ قلم، أم بداء رأي بدا له أثناء تأليفه للكتاب؟.

وفيما ذكر في تحقيق اسم الكتاب كفايةٌ في إثبات نسبته إلى مؤلفه، وغنيةٌ عن استقصاء الأدلة على ذلك.

غير أنه يضاف إلى ما ذكر تطابق الخط بين كتابه هذا "القول الوجيز" وكتابه "الدر المصون"؛ مما يؤكد أنه قد كتب كتابيه كليهما بيده رحمه الله، وجعل ما كتب في موازين حسناته.

المبحث الثاني: منهج المؤلف في كتابه.

أعرض في هذا المبحث ملامح عامة عن منهج المؤلف في هذا الكتاب، دون الحديث بشكل مفصل عن منهجه، ودون الاقتصار على منهج المؤلف في الجزء الذي قمت بتحقيقه، بل اطلعت على مواضع كثيرة من الكتاب لأعرض للقارئ صورة متكاملة عن منهجه رحمه الله في

= الوجيز بعد ما قارب الانتهاء من تأليف الدر المصون، ولذا نص على اسم الدر المصون في القول الوجيز، ولم ينص على اسم القول الوجيز في الدر المصون، هذا بالإضافة إلى أنه يشير في الدر المصون إلى القول الوجيز بصيغة المستقبل، ويتحدث عن الدر المصون في القول الوجيز بصيغة الماضي. انظر شيئاً من المواضع التي ذكر فيها الدر المصون في القول الوجيز في: القول الوجيز، تحقيق عبد الرحيم القاوش ص١٠١، ١١٩، ١٢٧، وانظر ص (١٣٩) من هذا البحث.

كتابه[1].

والكتاب كما هو ظاهر من عنوانه في أحكام القرآن الكريم، وقد صدره مؤلفه بمقدمة أفصح فيها عن موضوع كتابه، وسبب تأليفه، وهدفه من جمعه، ومنهجه فيه.

حيث بيَّن أن كتابه هذا في أحكام القرآن الكريم، وحلاله وحرامه، وأن سبب تأليفه أنه لم يجد من كتب في أحكام القرآن من الشافعية كتابة وافية، فأراد رحمه الله أن يكتب كتاباً يجمع فيه ما كتب في أحكام القرآن الكريم في جميع المذاهب، ويحررها، ويضيف إليها ما ذكره المفسرون، مما لم يذكر في كتب أحكام القرآن الكريم؛ بحيث يغني الناظر فيه عما سواه من كتب أحكام القرآن[2].

كما أوضح منهجه في هذا الكتاب بقوله:" ووضعت هذا الكتاب ناقلاً فيه مذاهب العلماء الأُوَل وهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهذا هو المعروف بعلم الخلاف، وهو من أهم العلوم، وناقلاً مذهب الشافعي في المسألة صحيحة وغير صحيحة، محرراً لذلك من الأمهات، وأذكر أيضاً الناسخ والمنسوخ، فإنه من أهم علوم الكتاب العزيز

---

(١) وذلك لأن الجزء الذي قمت بتحقيقه لا يمكن استخلاص منهج المؤلف منه لقصره، بل إنه لا يحكي واقع منهج المؤلف في كتابه لكونه في غير آيات الأحكام، فقد فسر المؤلف فيه أربع عشرة آية فقط من مطلع سورة طه، وهي لا تشتمل على آيات أحكام، وليس فيها سوى استنباطات يسيرة، لا تحكي واقع الكلام على آيات الأحكام عند العلماء، ولم أرد إغفال البحث عن تسليط الضوء على منهج المؤلف في كتابه، فلذلك أوردت هذه العجالة في منهج المؤلف في الكتاب.

(٢) انظر: القول الوجيز، تحقيق عبد الرحيم القاوش ص ٩٨-١٠٠.

...، وكذلك أذكر العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والظاهر والمؤول، فإن هذه الأشياء مما يكثر دورها في عبارات العلماء، وأذكر حدود هذه الأشياء في مقدمة تُعرِّفه.

وأذكر فيها أيضاً حد الحكم عند أهل السنة وأقسامه، ومادَّة لفظ القرآن فإن الكتاب مترجم بذلك، وأما ما يتعلق بلغاته واشتقاقه وتصريفه وإعرابه ومعانيه وبيانه وبديعه مما تعلَّق بعلم نظم القرآن فإني لم أتعرض لشيء من ذلك في هذا الكتاب ...، وأما ما يتعلق بتفسيره من ذكر قصص وأخبار فاستغنيت عن ذكره هنا بكتاب شرعت فيه مستوفياً لفوائد جليلة أرجو من الله الكريم إتمامه، وأذكر في هذا الكتاب في أول كل سورة كونها مكية أو مدنية، وعدد آياتها، وما ورد في فضلها من حديث صحيح أو ما يقاربه"[1].

وقد كتب لكتابه هذا مقدمة في علوم القرآن التي يعتني بها الناظر في أحكام القرآن، تكلم فيها عن تعريف الحكم، والقرآن، والناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمبين، والمجمل والمبين، والظاهر والمؤول، والمنطوق والمفهوم.

ثم شرع في بيان سورة الفاتحة، مقسماً الكلام عليها على فصول، فتكلم عن الاستعاذة، والبسملة، وحكم قراءتها، ونحو ذلك، ولم يفسرها تفسيراً تحليلياً.

ثم بدأ في بيان أحكام سورة البقرة، حسب ترتيب الآيات في

---

(١) القول الوجيز، تحقيق عبدالرحيم القاوش ص ١٠٠، ١٠١.

المصحف، فيورد الآية التي يريد الكلام عليها، فيورد ما فيها من مسائل فقهية، أو أصولية، أو عقدية، ونحو ذلك.

ثم اختلف منهجه في بقية كتابه، فأصبح يميل إلى منهجية التفسير التحليلي، بحيث يتكلم على الآيات مبيناً معانيها سواء اشتملت على أحكام فقهية أم لا؟ غير أنه يتوسع في الأحكام الفقهية بشكل خاص، كما أنه يتوسع أيضاً في الإعراب[1]، والصرف[2]، والقراءات متواترها وشاذها[3]، وتحليل المعاني[4]، وتحرير مدلولات الألفاظ[5]، ومن نماذج هذا المنهج التحليلي الذي سار عليه فيما بعد سورة البقرة كلامه في تفسير سورة طه، والذي اشتمل عليه هذا البحث.

وبهذا يتبين أن المؤلف رحمه الله لم يلتزم منهجاً واحداً في كتابه، بل كتب في سورة الفاتحة والبقرة كما يكتب المؤلفون في أحكام القرآن، ثم انتهج منهج التفسير التحليلي في بقية كتابه، والذي يركز من خلاله على الأحكام الفقهية، والمسائل اللغوية.

المبحث الثالث: وصف النسخة الخطية، ونماذج مصورة منها.

رغم القيمة العلمية التي يتميز بها كتاب القول الوجيز، حيث إنه من أوسع ما كتب في التفاسير الفقهية، بل تجاوز ذلك إلى التدقيق والتحرير في

---

(١) انظر ص (١٤٠، ١٤٢) من هذا البحث.

(٢) انظر ص (١٣٩) من هذا البحث.

(٣) انظر ص (١٣٩، ١٥١، ١٨٤) من هذا البحث.

(٤) انظر ص (١٥٥، ١٥٧، ١٦٢) من هذا البحث.

(٥) انظر ص (١٥٦، ١٦٦، ١٦٩) من هذا البحث.

التفسير التحليلي، إلا أنه قد طالت يد الفقدان نسخته الفريدة الوحيدة في كثير من المواضع، حيث فُقد كثير من أوراقه، بالإضافة إلى تفرق الموجود منه بين مكتبتين.

حيث يقع الكتاب في تسعة أجزاء، الجزء الأول منها محفوظ في المكتبة الأزهرية برقم (٣٠٢٣٢٦)، أما الأجزاء الثمانية الباقية ففي دار الكتب المصرية برقم (٢٦١-تفسير)[١].

غير أن ما يعزي المرء نفاسة هذه النسخة الفريدة من الكتاب، فهي بخط المؤلف، وواضحة في أغلبها، كما أن المحفوظ منها أصول لا صور، وقد تم تصويرها تصويراً ملوناً متقناً، وحصلت المجموعة القائمة بمشروع تحقيق هذا الكتاب في قسم التفسير وعلوم القرآن بنسخة من هذه النسخة الملونة بفضل الله تعالى.

ولعل السبب في عزوف كثير من المتخصصين عن تحقيق هذا السِّفر النفيس من كتاب التراث هو ما أسلفت من فقدان كثير من أوراقها، فعلى سبيل المثال يبتدئ تفسير سورة آل عمران من الآية (٥٩)، ويتوقف عند الآية (٤١) من سورة المائدة، ثم يبدأ الموجود من الآية (٤١) من سورة الأنعام، حتى الآية (٨٦) من سورة الأعراف، ثم يبدأ من الآية (٤٢) من سورة يوسف، ويتوقف عند الآية (٦٧) من سورة النحل، ثم عدة آيات من سورة مريم، ثم أربع عشرة آية من سورة طه -وهي الجزء الذي أقوم

(١) انظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (علوم القرآن - مخطوطات التفسير وعلومه) ١/ ٤١٥، ٤١٦، و القول الوجيز، تحقيق عبد الرحيم القاوش ص ٨٧.

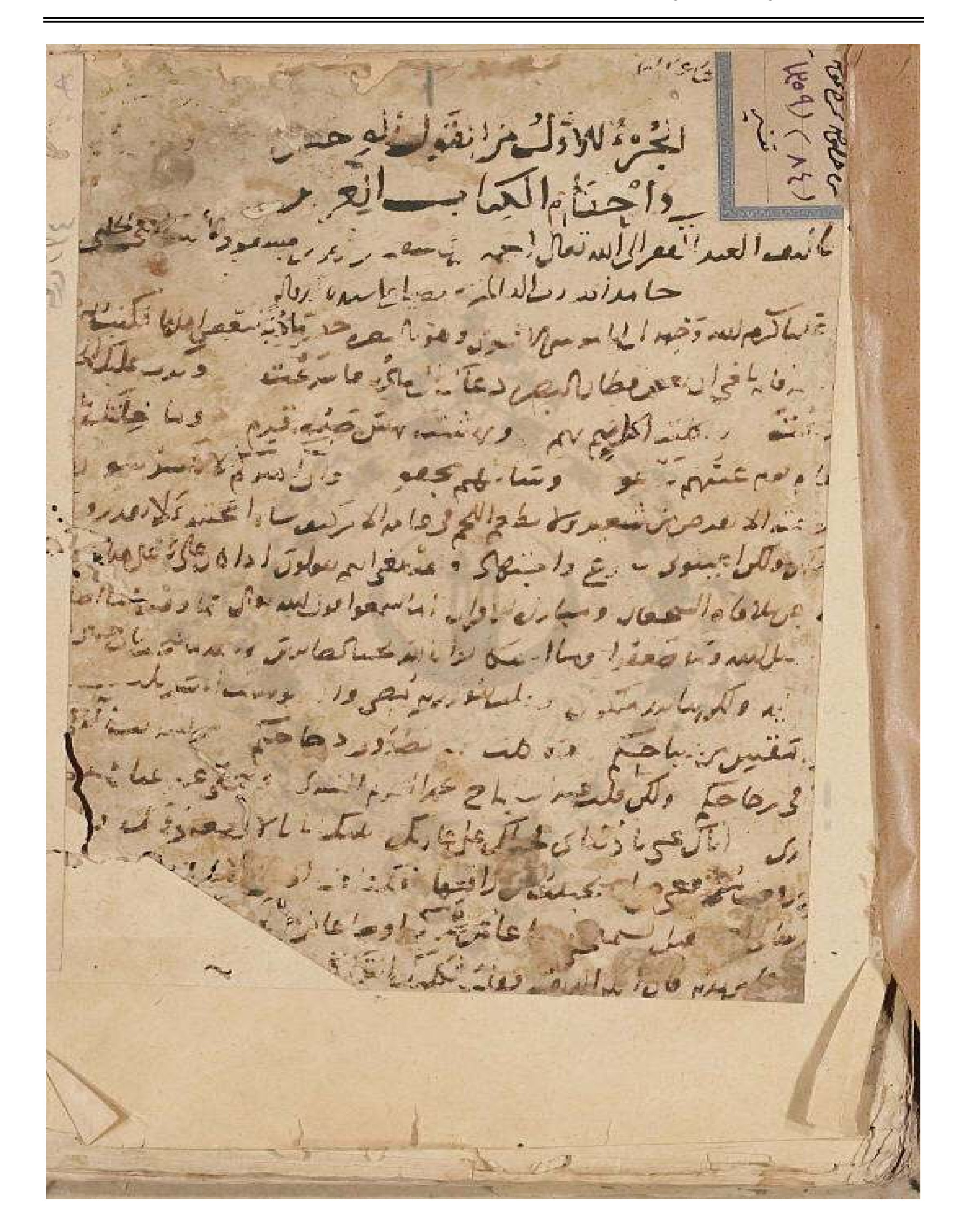
بتحقيقه-، ثم يبتدئ من الآية (٤١) من سورة النور...وهكذا.

فكما ترى سقط من هذا الكتاب المتميز في بابه قرابة نصفه إن لم يكن أكثر من ذلك، لكن ذلك لم يكن مانعاً من تحقيق الموجود منه، نظراً لما يتمتع به الكتاب من قيمة علمية في مجال التخصص، بالإضافة إلى كون هذه النسخة بخط المؤلف رحمه الله.

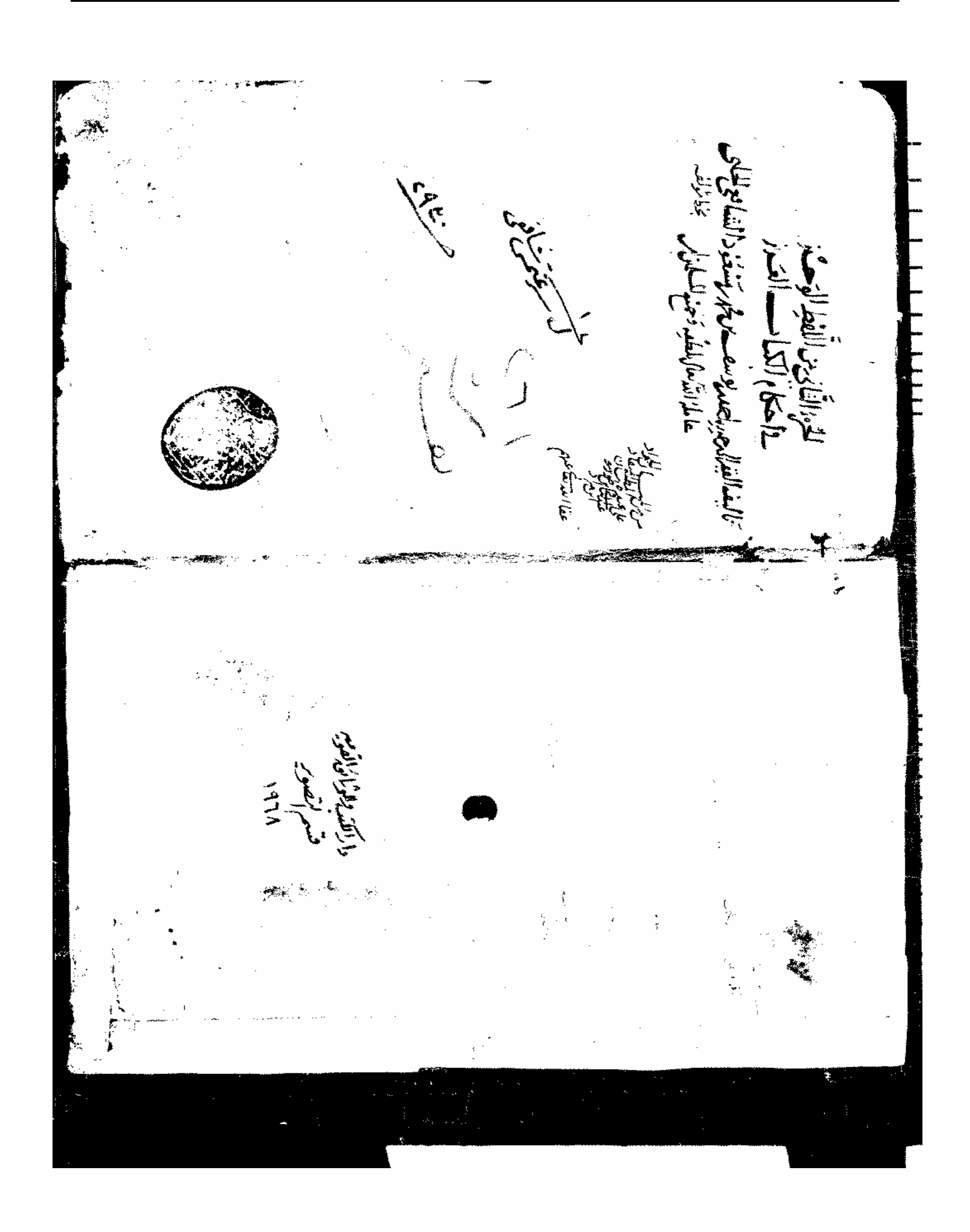
ويقع الجزء الذي أقوم بتحقيقه في عشر لوحات، في كل لوحة وجهان، في كل وجه ما بين (٢٣) إلى (٢٦) سطراً، وأغلبها في (٢٦) سطراً، ومتوسط الكلمات في الأسطر (١٥) كلمة في السطر الواحد.

وهي مكتوبة بالمداد الأسود، بخط مشرقي واضح، منقوطة بعض حروفه، وخاصة ما يشكل منها، واعتنى المؤلف رحمه الله بضبط ما يشكل منه.

وفيما يأتي نماذج من المخطوط:



غلاف الجزء الأول من المخطوط، وهو من الجزء المحفوظ بالمكتبة الأزهرية



غلاف الجزء الثاني من المخطوط، وهو بداية الجزء المحفوظ بدار الكتب



بداية تفسير سورة طه، وهو بداية موضع التحقيق



آخر وجه من الجزء المحقق، وهو آخر الموجود من سورة طه

القسم الثاني: النص المحقق

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه﴾ هذه السورة مكية بلا خلاف[1].

ووجه مناسبتها لآخر السورة قبلها هو أنه تعالى لما قال آخر السورة المتقدمة: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم:٩٧]، فأخبر أن العلة في تيسيره بلسان رسوله -عليه السلام[2]- سببان: بشارة المتقين، وتحذير الكافرين اللُّدِّ[3]، ناسب أن يأتي بعد ذلك بأنه إنما أنزل عليه القرآن للتذكرة التي تشمل البشارة والنذارة، لا كما زعمه الجهلة اللد من أنه نزل ليشقى رسولُ الله -ﷺ- بإنزاله، بل قد سعد به، وحصل له ولأمته كل خير وبركة وراحة[4].

واختلفوا في سبب نزولها، فقيل إنه -عليه السلام- كان يقوم في الصلاة حتى تفطرت قدماه، وكان يراوح بين رجليه، فنزلت، وهذا مروي عن علي بن أبي طالب[5].

---

(١) انظر: فضائل القرآن لابن الضريس ص ٣٣، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٥٠١، والهداية ٧/ ٤٦٠٥، والإتقان ١/ ٩٤، ٩٣، ٤٩.

(٢) كذا في الأصل بخط المؤلف، وسيأتي مثله كثيراً.

(٣) اللُّدُّ: جمع أَلَدِّ، وهو الخصم الشديد التَّأَبِّي. انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص٧٣٩ (ل د د)، والقاموس المحيط ص٣١٧ (ل د د).

(٤) انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٢، ٢١١.

(٥) رواه البزار في مسنده (البحر الزخار) رقم الحديث (٩٢٦) ٣/ ١٣٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٥٦: "وفيه يزيد بن بلال، قال البخاري: فيه نظر، وكيسان أبو عمرو وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين، وبقية رجاله رجال الصحيح"، وحسَّن السيوطي =

وعن مُقاتِل[١]: قال أبو جهل، والـمُطعِم[٢]، والنَّضْر[٣]: إنك لتشقى بترك ديننا، فنزلت[٤].

وعن الضحَّاك[٥]: أنه -عليه السلام- صلى هو وأصحابه، فأطال القيام لـمَّا أنزل عليه القرآن، فقالت قريش: ما أنزل عليه القرآن إلا ليشقى، فنزلت[٦].

= إسناده في الدر المنثور ٤/ ٥١٦، ونقل المتقي الهندي تضعيفه في كنز العمال رقم الحديث (٤٥٠٨) ٢/ ٤٦٦، وقد روى ابن مردويه نحوه عن علي رضي الله عنه، ولم أقف على إسناده ولا على من تكلم عليه. انظر: تخريج أحاديث الكشاف ٢/ ٣٤٧، والدر المنثور ٤/ ٥١٦، ومناهل الصفا ص ٣٧.

(١) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، أبو الحسن، مات سنة ١٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠١، وتقريب التهذيب (٦٩١٦) ص٩٦٨.

(٢) هو المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، من سادات قومه، أجار النبي ﷺ لما انصرف من الطائف بعد أن رفضوا دعوته، وكان أحد الذين مزقوا الصحيفة التي كتبتها قريش في مقاطعة بني هاشم، مات قبل وقعة بدر كافراً. انظر: فتح الباري ٧/ ٤٠٤، والأعلام ٧/ ٢٥٢.

(٣) هو النضر بن الحارث بن كَلَدَة بن عبد مناف بن قصي، أو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، أحد أعداء الله، وصاحب لواء المشركين يوم بدر، أمر النبي ﷺ بضرب عنقه صبراً بالصفراء مرجعَه من غزوة بدر. انظر: جمهرة نسب قريش ٢/ ٥١٩، وجمهرة أنساب العرب ص١٢٦، والأعلام ٨/ ٣٣

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٢٠، والكشف والبيان ٦/ ٢٣٧، وأسباب النزول للواحدي ص ٣١٣.

(٥) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، أو أبو محمد، المفسر، صدوق كثير الإرسال، مات سنة ٢١٢هـ. أو بعدها. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٨، وتقريب التهذيب (٢٩٩٥) ص٤٥٩، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٢٢.

(٦) انظر: الهداية ٧/ ٤٦٠٧، وأسباب النزول للواحدي ص ٣١٣.

واختلف الناس في ﴿طه﴾، والظاهر أنها حرف هجاء، كـ﴿الٓمٓ﴾، وقد تقدم ما في ذلك[1]؛ وقيل: هي من أسماء الباري تعالى، وقيل: من أسماء رسوله محمد عليه السلام[2].

وعن ابن عباس والحسن[3] وابن جُبير[4]

(١) اختلف العلماء رحمهم الله تعالى -قديماً وحديثاً- في تفسير هذه الحروف المقطعة -والتي عبر عنها المؤلف بحروف الهجاء-، وبيان حكمتها والمراد منها، وتشعبت في ذلك أقوالهم حتى زادت -مع حذف المكرر والمتداخل- على عشرين قولاً، وليس هذا موضع بسطها والترجيح بينها، غير أن كثيراً منهم مال إلى تفويض علمها إلى الله تعالى. انظر: تفسير الطبري ١/ ١١٨-١٢٨، والكشاف ١/ ٣٠-٤٠، والجامع لأحكام القرآن ١/ ١٩٩-٢٠٢، والتحرير والتنوير ١/ ٢٠٥-٢١٤. وأما الموضع الذي أحال إليه المؤلف من كتابه والذي هو أول سورة البقرة فإنه مفقود.

(٢) اختلف العلماء في لفظة ﴿طه﴾، أهي من الحروف المقطعة كباقي الحروف المقطعة، يجري عليها ما جرى في تلك الحروف من الخلاف، أم ليست من الحروف المقطعة؟ والذين قالوا: ليست من الحروف المقطعة اختلفوا في معناها: فقيل: هي بمعنى: يا رجل، وقيل: اسم للنبي ﷺ-، وقيل: من أسماء الله، هذا هو الظاهر من كلام المؤلف -كما هو ظاهر كلامه في الدر المصون ٨/ ٥، وإلا فهذان القولان الأخيران قد قيلا حتى في الحروف المقطعة الأخرى. انظر: تفسير الطبري ١/ ١١٩، والتحرير والتنوير ١/ ٢٠٥.

وانظر الأقوال التي حكاها المؤلف هنا في لفظة ﴿طه﴾ في: تفسير الطبري ٨/ ٣٩٠، ٣٨٩، ومعالم التنزيل ٣/ ١١١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦، والبحر المحيط ٦/ ٢١٢.

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن (يسار) البصري، أبو سعيد، ولد سنة ٢١هـ، اشتهر بالقرآن والوعظ والفقه والتفسير والشجاعة، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، توفي سنة ١١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣، وتقريب التهذيب (١٢٣٧) ص٢٣٦، وغاية النهاية ١/ ٢٣٥.

(٤) هو سعيد بن جبير بن هشام، أبو عبد الله، الأسدي الوالبي ولاءً، الإمام، ثقة ثبت فقيه، =

ومُجاهد[١] في آخرين: معناها: يا رجل[٢]، ثم اختلفوا: بأي لغة ذلك؟ فقيل: لغة النَّبَط[٣]، وقيل: لغة الحبشة، وقيل: العِبْرانية، وقيل: لغة عك[٤]، وقيل: عُكْل[٥].

قال الكَلْبي[٦]: لو قلت في عك: يا رجل، لم يجبك حتى تقول: طه[٧].

= قتله الحجاج سنة ٩٥هـ. انظر: طبقات خليفة ص٢٨٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢١، وتقريب التهذيب (٢٢٩١) ص٣٧٤.

(١) هو مجاهد بن جبر المخزومي مولاهم، المكي، أبو الحجاج، الأسود، شيخ القراء والمفسرين، أخذ عن ابن عباس القرآن والتفسير والفقه، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، توفي سنة ١٠٢هـ أو بعدها، قيل: وهو ساجد. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٩، والنشر ١/ ٩٩، وغاية النهاية ٢/ ٤١، وتقريب التهذيب (٦٥٢٣) ص٩٢١.

(٢) انظر هذا القول عمن ذكر المؤلفُ وعن غيرهم في: تفسير عبد الرزاق الصنعاني ٢/ ١٥، وتفسير الطبري ٨/ ٣٩٠، ٣٨٩، والدر المنثور ٤/ ٥١٧، ٥١٦.

(٣) النبط - ويقال لهم: النبيط، والأنباط - قوم من العجم سكنوا الشام والعراق، قيل: سموا بذلك لاستنباطهم المياه. انظر: معجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٨١ (ن ب ط)، ولسان العرب ١٤/ ٢٢ (ن ب ط)، واللباب ٣/ ٢٩٥.

(٤) عك: قبيلة تنسب إلى عك بن عدنان، أخي معد بن عدنان، نزلوا باليمن وحالفوا أهلها، وقيل: هم من الأزد من بني قحطان. انظر: اللباب ٢/ ٣٥٢، ونهاية الأرب ص ٣٦٧.

(٥) عكل: بطن من بني تيم الرباب من بني عدنان. انظر: اللباب ٢/ ٣٥١، ٣٥٢، وفتح الباري ١/ ٤٣٩. وانظر الأقوال التي حكاها المؤلف في معنى الآية في: الكشف والبيان ٦/ ٢٣٦، والهداية ٧/ ٤٦٠٧، ٤٦٠٦، والبحر المحيط ٦/ ٢١٢.

(٦) هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي، نسبة إلى كلب بن وبرة بن قضاعة، متهم بالكذب ورمي بالرفض، مات سنة ١٤٦هـ. انظر: الأنساب ٥/ ٨٦، ٨٥، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٤٨، وتقريب التهذيب (٥٩٣٨) ص٨٤٧.

(٧) رواه البيهقي في دلائل النبوة ١/ ١٥٩ بسنده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥١.

وأنشد الطَّبَري[1] على ذلك:

عدت[2] بِطَه فِي القِتَال فَلَم يُجِبْ فَخِفْتُ عَليهِ أَنْ يَكُون مُوَائلا[3]

وقول الآخر:

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَه في خَلائِقِكُمْ لا قَدَّسَ اللهُ أَرْواحَ المَلاعِينِ[4]

وقال السُّدِّي[5]: معنى ﴿طه﴾: يا فلان[6]، وهو قريب مما قبله.

وقال الزمَخْشَرِيُّ[7]: "وأثر الصنعة ظاهر في البيت المستشهد به"،

---

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، من طبرستان، ولد سنة ٢٢٤هـ، كتب التفسير في ثلاثين ألف ورقة، ثم اختصره في ثلاثة آلاف، فهو الموجود بين يدي الناس، توفي رحمه الله سنة ٣١٠هـ. انظر: معجم الأدباء ٥/ ٢٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٧.

(٢) كذا في الأصل، والذي في مصادر التوثيق: [دعوت]، وبه يستقيم الوزن.

(٣) نسبه الطبري في تفسيره ٨/ ٣٩٠ إلى متمم بن نويرة، وهو في ديوانه المجموع المسمى: مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي ص١٣١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥١، والبحر المحيط ٦/ ٢١٢. والموائل: الهارب الملتجئ الطالب للنجاة. انظر: لسان العرب ١٥/ ١٩٢ (و أ ل)، والقاموس المحيط ص ١٠٦٦ (و أ ل).

(٤) البيت ليزيد بن المهلهل. انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٩٠، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٢، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥١، وأضواء البيان ٤/ ٣٠٣.

(٥) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، نسبة إلى سدة المسجد، أي باب المسجد، أبو محمد، أحد موالي قريش، صدوق يهم، توفي عام ١٢٧هـ. انظر: الأنساب ٣/ ٢٣٨، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٤، وتقريب التهذيب (٤٦٧) ص١٤١.

(٦) انظر: الكشف والبيان ٦/ ٢٣٦، والبحر المحيط ٦/ ٢١٢.

(٧) هو الزمخشري، المعتزلي، أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، نسبة إلى زمخشر: قرية غير مشهورة من قرى خوارزم، وهو صاحب الكشاف، توفي سنة ٥٣٨هـ.
=

فأنشده، وكان قد قال قبل ذلك: "لعل عكاً تصرفت في لغتها، فأبدلوا (يا) في النداء (طا)، واقتصروا في (هذا) على (ها)، فقالوا: طه، أي: يا هذا"[(١)].

وأنحى عليه الشيخ[(٢)]، فقال: "تخرص، وحزر على عك بما لم يقله نحوي"[(٣)]، وهذا وإن كان غريباً لكنه لا ينبغي أن يقول فيه: "تخرص"؛ فإنها مؤذنة بالكذب، ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]، هذا عرف الاستعمال، ولا يريد معناها الأصل، بدليل قوله "وحزر" بعد ذلك.

وقيل: إن الأصل (طاها)، فـ(طا): أمر من وَطِئ يَطَأ، وأبدل الهمزة ألفاً، و(ها): ضمير الأرض، أي: طَأ الأرضَ بقدميك، ولم تحذف الألف في الأمر لأن أصلها الهمزة، ويقوي هذا قراءة (طَهْ) بإسكان الهاء، كما سيأتي[(٤)].

ويقوي هذا ما روي أنه -عليه السلام- كان يراوح بين قدميه، فيقوم

= انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٨٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٥١، والعقد الثمين ٧/ ١٤٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٦٦.

(١) انظر قول الزمخشري في الكشاف ٣/ ٤٨.

(٢) هو أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، أثير الدين، ولد سنة ٦٥٤هـ، كان بالأندلس ثم انتقل إلى مصر، وبرَّز في علوم عديدة، منها القراءات والتفسير والحديث والنحو والتصريف، وله مؤلفات كثيرة، توفي سنة ٧٤٥هـ. انظر: غاية النهاية ٢/ ٢٨٥، والبدر الطالع ٢/ ٢٨٨.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٢١٢.

(٤) انظر القول الذي حكاه المؤلف في معنى ﴿طه﴾ في: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦.

على إحداهما، فأمر أن يطأ الأرض بكلتا قدميه الشريفتين[1].

وقرأ الحسن ووَرْشٌ[2] في اختياره (طَـهْ) بهاء ساكنة[3]، ويجوز أن يكون الأصل لها أمراً من وَطِئ، وأبدل الهمزة هاء، كإبدالها في (هرقت) و(هبرت)[4]، وأن يكون بناه على لغة من يبدل الهمزة حرف علة فيقول: وَطِيَ يَطَا، وقرَيت، وتوضَيت[5]، فبنى الأمر عليه، فحذف الألف، وأتى بهاء السكت وصلاً، إجراء له مجرى الوقف، والمراد: طأ الأرض، كما تقدم[6].

---

(١) جاء هذا فيما روي عن علي رضي الله عنه في الأثر الذي ساقه المؤلف من قبل في سبب النزول، وقد سبق عزوه ونقل كلام العلماء عليه.

(٢) هو عثمان بن سعيد القرشي ولاء، القبطي، لقبه شيخه نافع بورش لبياضه أو لتشبيهه بطائر الورشان، انتهت إليه رئاسة الإقراء في مصر في زمانه، توفي سنة ١٩٧هـ بمصر. انظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٩٥ن وغاية النهاية ١/ ٥٠٢.

(٣) هذه قراءة غير متواترة، قرأ بها من سمى المؤلف وغيرهم، وهي بفتح الطاء غير ممدودة، وبإسكان الهاء. انظر: الكامل ص ٥٩٧، والبحر المحيط ٦/ ٢١٢، وإتحاف فضلاء البشر ص٣٨١.

(٤) كإبدال الهمزة من (أَرَقْتُ)، و(أَبَرْتُ) هاءً، فأصبحتا: (هَرَقْتُ) و(هَبَرْتُ)، وأرقت: فعل من الإراقة، وهي الصبُّ، وأَبَرْت: فعل من التأبير، وهو تلقيح النخل. انظر: القاموس المحيط ص٣٤١ (أ ب ر)، وص٨٨٩ (ر ي ق).

(٥) انظر حكاية هاتين اللفظتين عن العرب في: سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٣٩.

(٦) أما التوجيه الأول لهذه القراءة فظاهر، وأما التوجيه الثاني فيوضحه كلام المؤلف في الدر المصون، حيث قال فيه :"والثاني: أنه أبدل الهمزة ألفاً، كأنه أخذه من: وطي يطا بالبدل كقوله:

.... لا هَنَاكِ المَرْتع

=

وتقدم الكلام في إمالة الحرفين إمالة محضة، وبين بين، وتفخيمهما، في أول يونس، فأغنى ذلك عن إعادته[١].

قوله تعالى ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ هذه الجملة المنفية إن جعلت ﴿طه﴾ قسماً كانت جوابَه، وإن جعلتها مبتدأً كانت خبرَه، وحصل الربط بإيقاع الظاهر -وهو القرآن- موقع المضمر[٢]؛ لأن ﴿طه﴾ قرآن أيضاً، وإلا فهي مستأنفة[٣].

وفائدتها الرد على أبي جهل ومن ذكر معه؛ أريد أن دين الإسلام وهذا القرآن الكريم هما السُّلَّم إلى نيل كل خير، ودركِ كل فوز، وليسا متَعلَّقاً للشقاء، بل ما فيه الكفرة من اللجاج والعناد هو الشقاء بعينه[٤].

= ثم حذف الألف حملاً للأمر على المجزوم، وتناسياً لأصل الهمز ثم ألحق هاء السكت، وأجرى الوصل مجرى الوقف". الدر المصون ٨/ ٧. وانظر هذين التوجيهين في: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٤٩، وإعراب القرآن للنحاس ص ٥٣٤، والكشاف ٣/ ٤٨، ٤٧، والبحر المحيط ٦/ ٢١٢.

(١) النسخة التي بين يدي سقط منها تفسير سورة يونس، وأما تفخيم الحرفين (فتحهما)، وتقليلهما بين بين، وإمالتهما -وكل ذلك متواتر- فانظر الكلام عليها في: النشر ٢/ ٥١-٥٣.

(٢) يشترط في الجملة التي تكون خبراً أن تشتمل على رابط يربطها بالمبتدأ، وقد يكون الرابط ضميراً ظاهراً أو مقدراً. انظر: شرح ابن عقيل على الألفية ١/ ١٩١، ١٩٠.

(٣) انظر هذه الإعرابات منزلة على الأحوال التي فصلها المؤلف في: الكشاف ٣/ ٤٨، وروح المعاني ٨/ ٤٦٦، ٤٦٥.

(٤) انظر: الكشاف ٣/ ٤٨، وروح المعاني ٨/ ٤٦٦.

وقيل: معناه: ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب، ويدل عليه ما تقدم في السبب: أنه قام وأصحابه فأطال القيام، وحتى تورمت قدماه الشريفتان[1]، أي: أبق على نفسك؛ وقال الزمَخْشَري: "وروي أنه صلى بالليل حتى اسمغدَّت[2] قدماه، فقال له جبريل:"أبق على نفسك؛ فإن لها عليك حقاً""[3]، أي: ما أنزلناه عليك لتنهك نفسك بالعبادة، وتذيقها المشقة الفادحة، وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة"[4].

وقيل: معناه: لتشقى بحرصك واهتمامك على إيمانهم، وتأسفِك على فواته، كقوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ ﴾ [الكهف:٦]، والشقاء يقابل السعادة مادةً[5]، والتعب أخرى، ومنه المثل: أشقى من رائض مُهر، أي: أتعب، وروي أيضاً: أتعب من رائض مهر[6]؛ والمعنى على هذا: ما عليك إلا التبليغ، لا أن

---

(١) مضى تخريجه.

(٢) اسمغدت –ومثلها اسمعدت–: تورمت. انظر: القاموس المحيط ص ٢٨٩ (س م غ د).

(٣) قال ابن حجر في الكافِ الشافِ –بحاشية الكشاف ٣/ ٤٩–:"لم أره هكذا"، ثم ساق ما رواه البيهقي في الدعوات الكبير ٢/ ١٤٥ بسنده عن عائشة رضي الله عنها، وفيه:"فما زال رسول الله ﷺ يصلي قائماً وقاعداً حتى أصبح، وحتى اسمغدت قدماه..." الحديث، وليس فيه كلام جبريل.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٩، ٤٨، وانظر المعنى الذي أشار إليه في: تفسير الرازي ٢٢/ ٤.

(٥) كذا في الأصل، وفي العبارة غرابة، وانظر المعنى الذي أشار إليه من مقابلة السعادة للشقاوة في: الكشاف ٣/ ٤٨، وتفسير الرازي ٢٢/ ٥، ٤.

(٦) انظر: جمهرة الأمثال ١/ ٢٢٧، وأساس البلاغة ١/ ٥١٦، ومجمع الأمثال ١/ ١٤٨، غير أني لم أجد رواية (أشقى من رائض مهر) إلا عند الزمخشري في أساس البلاغة، والكشاف ٣/ ٤٨، ومن نقل منه كالمؤلف، وإلى هذا أشار أيضاً الدكتور/ أحمد الخراط في تحقيقه للدر المصون ٨/ ١٠ الحاشية (٤).

يؤمنوا لا محالة؛ فإن ذلك لله تعالى، إن عليك إلا البلاغ(١).

و﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ متعلق بـ﴿أَنزَلْنَا﴾ وتعدى إلى العلة باللام لاختلاف الفاعل؛ فإن فاعل الإنزال غير فاعل العلة، بخلاف ﴿تَذْكِرَةً﴾ فإن فاعل الإنزال فاعل التذكير(٢).

والعامة على ﴿أَنزَلْنَا﴾، وطلحة(٣) (نُزِّل) -مبيناً للمفعول- (القرآنُ) مرفوعاً، لقيامه مقام الفاعل(٤).

وفي ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ أوجه: أحدها: أنها مفعول له، ووصل الفعل بنفسه إليها لما تقدم من استكمال شروط النصب(٥).

وقال الزَّمَخْشَري:"أما يجوز: ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى، كقوله ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الحجرات:٢]؟ قلت: بلى، ولكنها نصبة طارئة، كالنصبة في ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف:١٥٥](٦)، وأما النصبة في

---

(١) عاد المؤلف في هذا إلى المعنى السابق من مقابلة الشقاوة للتعب، وانظر ما أشار إليه في: الكشاف ٣/ ٤٨، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥٣.

(٢) انظر: الكشاف ٣/ ٤٩، والبحر المحيط ٦/ ٢١٢.

(٣) هو طلحة بن مصرِّف بن عمرو بن كعب اليامي الهمداني الكوفي، أبو محمد، تابعي كبير، له اختيار في القراءة ينسب إليه، توفي سنة ١١٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ١٩١، وغاية النهاية ١/ ٣٤٣.

(٤) انظر قراءة طلحة وتوجيهها في: تفسير الرازي ٢٢/ ٤، والبحر المحيط ٦/ ٢١٢.

(٥) تقدم استكماله للشروط حيث أشار المؤلف قبل قليل إلى أن فاعل الإنزال هو فاعل التذكير، وقد اشترط جمهور النحويين لنصب المفعول له -في جملة شروطه-: اتحاده مع عامله في الفاعل. انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٢، ٢١١، وشرح إبراهيم ابن القيم على الألفية ١/ ٤٤٨-٤٥٢، وشرح ابن عقيل على الألفية ١/ ٥٢١.

(٦) ينصب الاسم المجرور بحرف الجر إذا حذف حرف الجر سماعاً لا قياساً، على مذهب =

﴿نَذۡكِرَةً﴾ فهي كالتي في: ضربت زيداً؛ لأنه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها"[1].

قال الشيخ:"وليس كون (أن تشقى) إذا حذف الجار منصوباً متفقاً عليه، بل في ذلك خلاف: أهو منصوب تعدى إليه الفعل بعد إسقاط الحرف، أو مجرور بإسقاط الجار وإبقاء عمله؟"[2]. انتهى.

قلت: ومن ادعى الوفاق على ذلك حتى يرد عليه به؟ غاية ما فيه أن الزَّمَخْشَرِي بنى الأمر على مذهب سِيْبَوَيْهِ[3] على ما نقل ابنُ مالِك[4]، وهو الصحيح عنده[5].

= الجمهور، ماعدا أحوالٍ يرجع إليها في كتب النحو. انظر: الدر المصون ٥/ ٤٧٣-٤٧٥، وشرح ابن عقيل على الألفية ١/ ٤٨٧-٤٩٠، والنحو الوافي ٢/ ١٦١-١٦٣.

(١) الكشاف ٣/ ٤٩.

(٢) البحر المحيط ٦/ ٢١٣.

(٣) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، ثم البصري، الملقب بسيبويه، ومعناه: رائحة التفاح، قيل: لقب بذلك للطافته، وقيل غير ذلك، إمام النحو، طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، عاش ٣٢ سنة، وقيل: بلغ الأربعين، ومات سنة ١٨٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٥٢، وبغية الوعاة ٢/ ٢٢٩.

(٤) ابن مالك هو محمد بن عبدالله بن عبد الله بن مالك، جمال الدين، أبو عبد الله الطائي، كان إماماً في النحو والقراءات، واسع الاطلاع على الحديث، يُثنى عليه بمتانة الدين، وكثرة النوافل، وكمال العقل، وهو صاحب الألفية، توفي سنة ٦٧٢هـ. انظر: غاية النهاية ٢/ ١٨٠، وبغية الوعاة ١/ ١٣٠، وشذرات الذهب ٥/ ٣٣٩. وانظر نقله عن سيبويه في شرح الكافية الشافية ص ٦٣٤، غير أن غيره من النحاة نقلوا عن سيبويه جواز الوجهين. انظر: شرح ابن عقيل على الألفية ١/ ٤٨٩، وحاشية الصبان على شرح الأشموني ١/ ٢٢٨.

(٥) انظر: المفصل ص ٣٨٧.

وقد منع أبو البقاء[(١)] كون ﴿تَذْكِرَةً﴾ مفعولاً له[(٢)]، وقد ذكرنا ذلك وما رُد به عليه [في][(٣)] الدر[(٤)].

والثاني: أن ﴿تَذْكِرَةً﴾ مصدر لفعلٍ مقدرٍ، أي: لكن نُذكِّرُ نحن، أو تُذكِّرُ أنت تذكرة[(٥)].

والثالث: أن ﴿تَذْكِرَةً﴾ بدل من محل ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ قاله الزجاج[(٦)]، وتبعه ابن عطية[(٧)]، واستبعده النَّحَّاس[(٨)]، ورده

(١) هو عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن الحسين العُكْبَري، كان علامة في فنون شتى، واشتهر بالنحو، صنف في التفسير، وإعراب القرآن، وإعراب الحديث، وعدد الآي، وغيرها، توفي سنة ٦١٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٩١، وبغية الوعاة ٢/ ٣٨.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١١٩.

(٣) غير واضحة في الأصل، ولعلها كما أثبتها.

(٤) الدر المصون ٨/ ٨.

(٥) انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٣.

(٦) هو إبراهيم بن محمد بن السرِيِّ الزجاج، منسوباً إلى صناعة الزجاج، لزم المبرد، ثم أَدَّب الوزير القاسم بن عبيد الله، ثم صار نديم المعتضد، من كتبه: معاني القرآن، توفي سنة ٣١١هـ.، وقيل غير ذلك. انظر: الأنساب ٣/ ١٤١، وبغية الوعاة ١/ ٤١١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٠. ولم أجد قوله هذا في معاني القرآن له، وقد نقله عنه النحاس في إعراب القرآن ص ٥٣٥، وأبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٢١٣.

(٧) ابن عطية هو عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، كان إماماً في الفقه والتفسير والعربية، وولي القضاء، وهو صاحب المحرر الوجيز، توفي سنة ٥٤٢ أو ٥٤١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٨٧، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٢٦٥. وانظر قوله في: المحرر الوجيز ٤/ ٣٧.

(٨) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس، النحاس، نسبة لعمل الأواني الصُّفرية وبيعها، =

الفارِسي(١)، وكذا الزمَخْشَري، فإنه قال:"فإن قلت: هل يجوز أن تكون ﴿تَذۡكِرَةً﴾ بدلاً من محل ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾ قلت: لا، لاختلاف الجنسين، ولكنها نَصْبٌ على الاستثناء المنقطع الذي (إلا) فيه بمعنى (لكن)"(٢).

قال الشيخ:"يعني باختلاف الجنسين أن نصبة ﴿تَذۡكِرَةً﴾ نصبة صحيحة ليست بعارضة، والنصبة التي في ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾ بعد نزع الخافض نصبة عارضة، والذي نقول: إنه ليس له محل البتة فيتوهم البدل منه" انتهى(٣).

ولم يرد الزَّمَخْشَرِي باختلاف الجنسين ذلك أصلاً، إنما أراد ما رد به الفارسي على الزَّجَّاج، وهو أن التذكرة ليست بشقاء، فكيف يصح إبدالها منها؟ يعني: أن جنس الشقاء غير جنس التذكرة، هذا ما عنى الزَّمَخْشَرِي.

والرابع: أنها مستثنى منقطع، كما قاله الزَّمَخْشَرِي(٤).

الخامس: أنها حال، أي: إلا مذكِّراً(٥).

= أبو جعفر، من كتبه الناسخ والمنسوخ، ومعاني القرآن، وإعراب القرآن، مات سنة ٣٣٨هـ إذ ركله بعض العوام في النيل لما سمعه يُقَطِّع بيتاً من الشعر بتفعيلته فظنه يسحر النيل. انظر: الأنساب ٥/ ٤٦٥، وإنباه الرواة ١/ ١٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٠١. وانظر قوله في: إعراب القرآن له ص ٥٣٥.

(١) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، إمام في النحو، من كتبه: الحجة، توفي سنة ٣٧٧ه. انظر: إنباه الرواة ١/ ٣٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٧٩. وأما قوله الذي أورده المؤلف فقد نقله عنه أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٢١٣.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٩.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٢١٣.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٩.

(٥) انظر: الكشاف ٣/ ٤٩، والبحر المحيط ٦/ ٢١٣.

السادس: أنها بدل من ﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾، ويكون القرآن هو التذكرة، قاله الحُوْفِيُّ[١].

السابع: أنه مفعول له أيضاً، إلا أن العامل فيه ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾، معنىً حسنٌ[٢]. قاله الزَّمَخْشَرِي، فإنه قال:"ويحتمل أن يكون المعنى: إنا أنزلنا إليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ، ومقاولةَ العُتاة من أعداء الإسلام، ومقاتلتَهم، وغيرَ ذلك من أنواع المشاق، وتكاليفِ النبوة؛ وما أنزلنا عليك هذا المتعبَ الشاقَّ إلا ليكون تذكرةً، وعلى هذا الوجه يجوز أن تكون ﴿تَذۡكِرَةً﴾ حالاً ومفعولاً له"[٣]. انتهى.

قال الشيخ: "وهذا معنى متكلف بعيد من اللفظ"[٤] قلت: أجل، إلا أنه تكلَّفَه لدقته، فتتكلف فهمه من بعد فهمه[٥].

قوله ﴿لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ مفعول للمصدر، واللام مقوية، ويجوز أن يكون نعتاً لـ﴿تَذۡكِرَةً﴾ والمعنى: إن هذا القرآن تذكرة لمن يؤول أمره إلى الخشية،

---

(١) هو علي بن إبراهيم بن سعيد الحَوْفي، منسوباً إلى حَوف: قرية بمصر أو بعمان، أبو الحسن، من كتبه: إعراب القرآن، توفي سنة ٤٣٠هـ. انظر: الأنساب ٢/ ٢٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٢١، وطبقات المفسرين للأدنوي ص ١١٠. وانظر قوله الذي حكاه المؤلف في البحر المحيط ٦/ ٢١٣، وروح المعاني ٨/ ٤٦٧.

(٢) أي: وهو معنى حسن.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٩.

(٤) البحر المحيط ٦/ ٢١٣.

(٥) من قوله [أجل ...] إلى آخر العبارة، أثبت نصها على أقرب ما يمكن قراءتها عليه، وإلا فبعض ألفاظها تحتمل أكثر من وجه، لعلها كما أثبتها.

ولمن يعلم الله تعالى منه أنه يؤمن بعد كفره، أو يبدل عمله الطالح بالصالح، هذا إن كان ﴿يَخۡشَىٰ﴾ مستقبلاً، وإن كان حالاً فواضح[١].

وقوله ﴿تَنزِيلٗا﴾ أي: نزلنا هذه التذكرة تنزيلاً، أو هذا القرآن[٢].

وقال الزَّمَخْشَرِي:"في نصب ﴿تَنزِيلٗا﴾ وجوه: أن يكون بدلاً من ﴿تَذۡكِرَةٗ﴾ إذا جعل حالاً، لا إذا كان مفعولاً له؛ لأن الشيء لا يعلل بنفسه، وأن ينصب بـ(نزَّل) مضمراً، وأن ينصب بـ﴿أَنزَلۡنَا﴾؛ لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة: أنزلناه تذكرة، وأن ينصب على المدح والاختصاص، وأن ينصب بـ﴿يَخۡشَىٰ﴾ مفعولاً به، أي: أنزله للتذكرة لمن يخشى تنزيلَ الله، وهو معنى حسنٌ، وإعرابٌ بيِّنٌ"[٣].

قال الشيخ:"والأحسن ما قدمناه أولاً من أنه منصوب مضمراً"[٤].

قلت: الزَّمَخْشَرِي قد قال ذلك، فمنه أخذ، فكان الإنصاف أن يقول: ما قاله من أنه منصوب بـ(نزَّل) مضمراً، لا أن ينسبه إلى نفسه.

ثم قال:" وما ذكره الزَّمَخْشَرِي من نصبه على غير ذلك متكلف، أما الأول: ففيه جعل ﴿تَذۡكِرَةٗ﴾ و﴿تَنزِيلٗا﴾ حالين، وهما مصدران، وجعل

---

(١) انظر الكلام في إعراب ﴿لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ ومعناها في الكشاف ٣/ ٤٩، والدر المصون ٨/ ١٠.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥٠، والهداية ٧/ ٤٦١٠، والبحر المحيط ٦/ ٢١٣.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٩.

(٤) كذا في الأصل، وفي البحر المحيط ٦/ ٢١٣:"منصوب بـ(نزَّل) مضمرة"، فلعل صوابها: منصوب بـ(نزَّل) مضمراً، كما سيأتي بعد قليل.

المصدر حالاً لا ينقاس، وأيضاً فمدلول ﴿تَذْكِرَةً﴾ ليس مدلولَ (تنزيل)، ولا (تنزيل) بعض ﴿تَذْكِرَةً﴾، فإن كان بدلاً فيكون بدلَ اشتمال -على مذهب من يرى أن الثاني مشتمل على الأول-؛ لأن التنزيل مشتمل على التذكرة وغيرها؛ وأما قوله "لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة: أنزلناه تذكرة" فليس كذلك؛ لأن معنى الحصر يفوت في قوله: أنزلناه؛ وأما نصبه على المدح فبعيد؛ وأما نصبه بـ﴿يَخْشَىٰ﴾ ففي غاية البعد؛ لأن ﴿يَخْشَىٰ﴾ رأس آية وفاصلة؛ فلا يناسب أن يكون ﴿تَنزِيلًا﴾ مفعولَ ﴿يَخْشَىٰ﴾؛ وقوله فيه:"وهو معنى حسنٌ، وإعرابٌ بيِّنٌ" عجمةٌ، وبعدٌ عن إدراك الفصاحة"[1]. انتهى ما تحمَّل به عليه من غير تأمل ولا إعمال فكر.

وكَمْ مِنْ عَائبٍ ... [2].

وقد أخذ الاستبعادَ ديدنَه في الرد على هذا الرجل، لأنها استراحة، وليته غالباً يبين وجهَ الاستبعاد، ولا تجده.

وأما قوله:"يفوت معنى الحصر" فليس مراده إلا أن النفي المنتقض بـ(إلا) يكون إثباتاً، هذا مراده بالنسبة إلى ما يخص هذا المكان، وإلا فالزَّمَخْشَرِي يجهل الحصر؟.

وأما قوله "رأس آية" فأي أثر لذلك؟ غاية ما فيه أن يقول: يفتقر إلى تعلق ما بعده به، وغالب فواصل القرآن ورؤوس آيه كذلك، هذه الفاتحة،

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٢١٣.

(٢) البيت للمتنبي، انظر ديوانه ٤/ ١٢٠، وتمام البيت:

وكَمْ مِنْ عَائبٍ قَوْلاً صَحِيْحاً ... وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقيمِ

كلها آياتها متعلقة بعضها ببعض، إما نعتاً، وإما بدلاً.

وأما جعل المصدر حالاً فمسألة مشهورة، وأكثر الناس على تجويزه، وغالب المعربين عليه[1]، يحله في وقت ويحرمه في آخر؟.

ثم قال:"وقرأ ابن أبي عبلة[2] (تنزيل) بالرفع على إضمار (هو)، وهذه القراءة تدل على عدم تعلق ﴿يَخْشَىٰ﴾ بـ﴿تَنزِيلًا﴾، وأنه منقطع مما قبله بنصبه على إضمار (نزل) كما ذكرناه"[3].

قلت: غاية ما في هذه القراءة أنها لا تدل على تعلقه به، أما أنها تمنع تعلقه به في قراءة أخرى فلا، وليس يقاوم المتواتر بالشاذ.

وقوله: ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ يجوز أن تتعلق (مِن) بالتنزيل، وأن تتعلق بمحذوف نعتاً له[4].

وفي قوله ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ التفات من ضمير المتكلم المعظم نفسه إلى الغائب؛ لتجري عليه هذه الصفات الجميلة.

---

(١) انظر الكلام على جعل المصدر حالاً وخلاف النحويين فيه في: إرشاد السالك ١/ ٤٩٩، والنحو الوافي ٢/ ٣٧٢.

(٢) هو إبراهيم بن أبي عبلة شمر بن يقظان بن المرتحل، أبو إسماعيل، ، قال عنه الذهبي:"من بقايا التابعين"، قرأ على أم الدرداء الصغرى سبع مرات، وقرأ على غيرها، وقال ابن الجزري:"له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامة، في صحة إسنادها إليه نظر"، توفي سنة ١٥٢هـ أو نحوها. انظر: تهذيب الكمال ٢/ ١٤٠، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٣، وغاية النهاية ١/ ١٩.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٢١٣.

(٤) انظر هذين الوجهين في: المحرر الوجيز ٤/ ٣٧، والبحر المحيط ٦/ ٢١٤، ٢١٣.

قال الزَّمَخْشَرِي في تقرير ذلك:"ما بعد ﴿تَنزِيلًا﴾ إلى قوله ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ تعظيم وتفخيم لشأن المنزَّل، لنسبته إلى من هذه أفعاله وصفاته"، ثم قال:"فإن قلت ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب؟ قلت: غير واحدة، منها: عادة الافتنان في كلامهم، وما يعطيه من الحسن والروعة؛ ومنها: أن هذه الصفات إنما سردت مع لفظ الغَيبة؛ ومنها: أنه قال ﴿أَنزَلْنَا﴾، ففخم بالإسناد إلى الواحد المطاع، ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد، فضوعفت الفخامة من طريقين"[١]. انتهى.

وجوز أيضاً أن يكون من غير الالتفات، وأن يكون الضمير في ﴿أَنزَلْنَا﴾ لجبريل ومن معه من الملائكة[٢]، واستبعده الشيخ أيضاً على عادته، وقال:"بل الظاهر إنه إخبار من الله تعالى عن نفسه"[٣]، قلنا: مُسَلَّمٌ، ولكنه لا ينفي جواز ذلك ولا يبعده؛ لقيام الصارف فيه عن الالتفات - الذي هو خلاف الظاهر أيضاً-.

وقوله ﴿ ٱلْعُلَى ﴾ نعت للسماوات، وفيه دلالة على قدرة من ابتدعها مرتفعةً غاية الارتفاع، محكمةً غاية الإحكام[٤]، ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[ق:٦]، ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾

(١) الكشاف ٣/ ٥٠، ٤٩.

(٢) الكشاف ٣/ ٥٠.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٢١٤.

(٤) انظر: الكشاف ٣/ ٥٠، وتفسير أبي السعود ٦/ ٤.

[الرعد:٢].

و﴿ٱلْعُلَى﴾ جمع عُلْيا، نحو: دنيا ودُنى، ومثله -في الصحيح-: فُضلى وفُضَل[١].

ولم يصف الأرض بغير ما وصف به السماوات من كونها سفلى مثلاً؛ إذ لا ظهور لذلك في الدلالة[٢].

وقوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ العامة على رفعه، وفيه أوجه: أن يكون خبر مبتدأ مضمر على المدح، أي: هو الرحمن[٣].

الثاني: أن يكون بدلاً من الضمير في ﴿خَلَقَ﴾ قاله ابن عَطِيَّة[٤]، ورده الشيخ بأنه يؤدي إلى خلو الجملة الواقعة صلةً من ضمير يعود على الموصول؛ لأن البدل يحل محل المبدل منه[٥].

قلت: وهل لقائل أن يقول: يجوز ذلك على أنه من باب الربط بالظاهر الذي هو عين الموصول -كقولهم: الحجاج الذي رأيت ابن يوسف، وقوله:

فَيَا رَبَّ لَيْلَى أَنْتَ في كُلِّ مَوطِنٍ وأَنْتَ الذي في رَحْمَةِ اللهِ أَطْمَعُ[٦]

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥٠، والهداية ٧/ ٤٦٠٨.

(٢) أشار إلى نحو هذا البقاعي في نظم الدرر ١٢/ ٢٦٨.

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس ص٥٣٥، والكشاف ٣/ ٥٠.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧.

(٥) البحر المحيط ٦/ ٢١٤.

(٦) نسب هذا البيت إلى مجنون ليلى كما في شرح أبيات المغني ٤/ ٢٧٦، ولم أجده في ديوانه.

ويصير نظير قولك أحرد من الذي ضرب زيد عمراً إذا كان الضارب زيداً- أم ليس له أن يقول ذلك لقلق التركيب في قولك تقديراً: ممن خلق الرحمن الأرض؟.

الثالث: أنه مبتدأ، والجملة بعده خبره[١].

وقرأ جناح بن حبيش[٢] (الرحمنِ) مجروراً[٣]، وفيه وجهان: البدلية من الموصول قبله[٤]، لا يقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مشتق، والإبدال بالمشتقات قليل؛ لأنه جرى مجرى الجوامد، وقد تقدم ذلك أول الفاتحة[٥]؛ والنعت للموصول[٦]، وهذا قول البصريين؛ لأن الكوفيين نصوا على أنه لا يوصف من الأسماء النواقص إلا (الذي) وحده، وهذا نقله الشيخ كالراد به على الزَّمَخْشَرِي[٧].

وقوله ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ إن جررنا ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، أو رفعناه على خبر مبتدأ مضمر، أو أبدلناه من ضمير ﴿خَلَقَ﴾، كانت الجملة خبرَ مبتدأ مضمر[٨]، وجوز الزَّمَخْشَرِي -حالةَ رفع ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ على المدح- أن تكون

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس ص٥٣٥، والبحر المحيط ٦/ ٢١٤.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط ٦/ ٢١٤.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥٠، وروح المعاني ٨/ ٤٦٩.

(٥) لم أجد الموطن الذي أشار إليه المؤلف من كتابه في تفسير سورة الفاتحة منه، ولعله في الجزء الذي سقط من تفسيرها.

(٦) انظر: الكشاف ٣/ ٥٠، وروح المعاني ٨/ ٤٦٩.

(٧) البحر المحيط ٦/ ٢١٤.

(٨) انظر: تفسير الرازي ٢٢/ ٦، والبحر المحيط ٦/ ٢١٤.

هي و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ خبرين لذلك المبتدأ المقدر[1].

وفاعل ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ -عند الجمهور- ضمير يعود على ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[2].

والوقف على ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾، وجوز قوم الوقف على ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، ويبتدئون بـ﴿ٱسۡتَوَىٰ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على أن يكون فاعله الموصولَ، أي: استوى للرحمن الذي في السماوات[3]، قال أبو البقاء:"وهذا بعيد، ثم هو غير نافع له في التأويل؛ إذ يبقى قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ كلاماً تاماً، ومنه هرب"[4]، قلت: وهذا مروي عن ابن عباس، ولا إخاله يصح عنه[5]، وقد تقدم تفسير الاستواء، واختلافُ الناس فيه مستوفىً في البقرة[6]، واستواؤه على العرش مستوفىً في الأعراف[7]، فليلتفت إليهما.

وقال الزَّمَخْشَرِي هنا:"لما كان الاستواء على العرش -وهو سرير

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٠.

(٢) انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٤.

(٣) انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٤، ومنار الهدى ص ٤٨٦، وروح المعاني ٨/ ٤٧٧.

(٤) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١١٩.

(٥) وكذا قال غير واحد من المفسرين وغيرهم، انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٤، ومنار الهدى ص ٤٨٦، وروح المعاني ٨/ ٤٧٧، وقد ذكر الداني في المكتفى ص ٣٧٨، ٣٧٩ هذا الأثر من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهو إسناد واه. انظر: العجاب ١/ ٢٠٩.

(٦) هذا الموضع في الجزء المفقود من القول الوجيز.

(٧) عند تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ...﴾ [الأعراف:٥٤]، انظر: اللوحة ١٢٦ من الجزء الخامس من المخطوط.

الملك- مما يردُف الملك جعلوه كناية عن الملك، فقالوا: استوى فلان على العرش، يريدون: ملك، وإن لم يقعد على السرير البتة، قالوه أيضاً لشهرته في ذلك المعنى، ومساواته (ملك) في مؤداه، وإن كان أشْيَع، وأبسط، وأدل على صورة الأمر، ونحوه قولك: يد فلان مبسوطة، ويد فلان مغلولة، بمعنى أنه جواد أو بخيل، لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت، حتى إن من لم يبسط يده قط بالنوال، أو لم تكن له يد رأساً، قيل: يده مبسوطة؛ لمساواته عندهم قولهم: جواد، من غير تصور يد، ولا غل، ولا بسط، والتفسيرُ بالنعمة، والتمحلُ بالتثنية[1] من ضيق العَطَن والمسافرةِ عن علم البيان مسيرة أعوام"[2].

وقوله ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ لما ذكر تعالى أنه خلق السفليات والعلويات، وابتدع ذلك سبحانه، أردفه بأن له ما فيهما، وما بينهما من جميع المخلوقات، ملكاً له، يتصرف فيهم كيف شاء، دلالةً

(١) كذا في الأصل، وفي الكشاف: [للتثنية].

(٢) الكشاف ٣/ ٥٠، وما قاله الزمخشري تحريف لصفات الله تعالى؛ ومذهب أهل السنة في صفات الله جل وعلا -ومنها الاستواء- إثبات ما أثبته تعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل. انظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٢٠، وما بعدها، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٨-١٩٥، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١/ ٧٢، وما بعدها. والاستواء معلوم، وكيفيته مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وللسلف في بيان معنى الاستواء أربع عبارات مشهورة، متقاربة في المعنى، وهي: استقر، وعلا، وارتفع، وصعد. انظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٢٦-٣٧، ونونية ابن القيم ص ٨٧.

على عظيم القدرة، وباهر الصنعة[1]، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

وقوله ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ اختلفت عبارات المفسرين في ذلك، فنقل الزَّمَخْشَرِي عن محمد بن كعب[2] -وهو قول ابن عباس- أنه تحت الأرض السابعة[3]، ونَقَل عن السُّدِّي أنه الصخرة التي تحت الأرض السابعة[4].
وقيل: معناه: أن علمه تعالى محيط بجميع ذلك؛ لأنه مُنْشِئُه، وعلى هذا يكون المعنى: له علم ما في السماوات[5].

وقيل: ﴿تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ ما في باطن الأرض، كقوله ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ:٢]، وعلى هذا يكون قوله ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ توكيداً لقوله ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلا أن يراد بها في الأرض: ما على ظهرها[6].

(١) انظر: المحرر الوجيز ٤/ ٣٧.

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم القرظي، نسبته إلى بني قريظة (وقريظة رجل نزل قلعة حصينة بجوار المدينة، وهم من أولاد هارون النبي عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) أبو حمزة، ثقة عالم، مات سنة ١٢٠هـ أو قبلها. انظر: الأنساب ٤/ ٤٧٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٦٥، وتقريب التهذيب (٦٢٩٧) ص٨٩١.

(٣) الكشاف ٣/ ٥٠. وانظره في: تفسير الطبري ٨/ ٣٩٢. وانظر نسبة هذا القول لابن عباس في الكشف والبيان ٦/ ٢٣٨، والهداية ٧/ ٤٦١٢، والبحر المحيط ٦/ ٢١٤.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٠، وانظره في: الدر المنثور ٤/ ٥١٨، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٤.

(٦) هذا القول وتوجيهه منقول بنصه من البحر المحيط ٦/ ٢١٤، وانظر نحوه في تفسير أبي السعود ٦/ ٥.

والثرى -في الأصل-: هو التراب النديُّ، وألفه عن ياء، بدليل قولهم: ثريان، وثَرِيَت الأرضُ تَثْرَى ثَرَىً[١].

والثراء -بالمد-: المال، وهذا كما [...][٢] بالتراب، ومنه: أثرى فلانٌ، أي: تمول[٣]، قال حاتم الطائي[٤]:

أَمَاوِيَّ مَا يُغْنِي الثَّراءُ عَنِ الفَتى إذا حَشْرَجَتْ يَوماً وضَاقَ بها الصَّدْرُ[٥]

وقد جمع أبو بكر بن دُرَيْد[٦] بينهما في قوله:

يَوماً تَصِيرُ إِلى الثَّرَى ويَفُوزُ غَيرُك بالثَّرَاء[٧]

وقد يطلق على مجرد التراب[٨]، [...][٩]، ومنه: "توضأ بما لا يبل

---

(١) انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٠، والقاموس المحيط ص ١٢٦٧ (ث ر ي).

(٢) كلمة لم تتضح لي.

(٣) انظر: القاموس المحيط ص ١٢٦٦ (ث ر و).

(٤) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، نسبة إلى طيء، أبو سفانة، والد عدي بن حاتم رضي الله عنه، أحد أجواد العرب وفرسانهم وشعرائهم، مات بعد مولد النبي ﷺ بثمان سنين. انظر: البداية والنهاية ٢/ ٦١٠-٦١٦، والأعلام ٢/ ١٥١.

(٥) انظر ديوانه ص ١٩٩.

(٦) هو أبو بكر، محمد بن الجسن بن دريد بن عتاهية الأزدي، البصري، تنقل في البلاد يطلب الآداب ولسان العرب ففاق أهل زمانه في العربية، وله مؤلفات في اللغة كالجمهرة، والاشتقاق، توفي سنة ٣٢١هـ عن ثمان وتسعين سنة. انظر: معجم الأدباء ٥/ ٢٩٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٩٦.

(٧) انظر ديوانه ص ٢٩.

(٨) انظر: القاموس المحيط ص ١٢٦٧ (ث ر ي).

(٩) موضع كلمتين لم أستطع قراءته.

الثرى"[1].

قوله تعالى ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ لما أخبر الباري تعالى أنه خلق السماوات والأرض، وأن له ما فيهما وما بينهما وما تحت الأرض السابعة، أعلم خلقه أن علمه لا يفوته شيء من أعمال خلقه، سرهم وجهرهم[2].

قال الزَّمَخْشَرِي:"فإن قلت: كيف طابق الجزاء الشرط؟ قلت: معناه: إن تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غني عن جهرك، فإما أن يكون نهياً عن الجهر، كقوله ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾[الأعراف:٢٠٥]، وإما تعليماً للعباد أن الجهر ليس لإسماع الله، وإنما هو لغرض آخر". انتهى[3].

وقد اختلفت عبارات المفسرين في تفسير السر والأخفى هنا، فعن ابن عباس: السر: ما تسره إلى غيرك، والأخفى: ما تخفيه في نفسك[4].

وعنه أيضاً: السر: ما أسره في نفسه، وأخفى منه: ما خفي عنه مما هو

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب من نام عن الصلاة أو نسيها، رقم الحديث (٤٤٥)، ص ٧٥، بلفظ:"فتوضأ -يعني النبي ﷺ- وضوءاً لم يَلْثَ منه الترابُ"، وصححه الألباني رحمه الله في تعليقه عليه، ومعنى "لم يلث منه التراب" أي: لم يبتل منه التراب، ولم يختلط الماء به لقلته. انظر: عون المعبود ٢/ ٨٢.

(٢) انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٤، والتحرير والتنوير ١٦/ ٩٧.

(٣) الكشاف ٣/ ٥١.

(٤) حكاه عنه أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٢١٤.

فاعله وهو لا يعلمه[١].

وعن مُجاهد: السر: ما تخفيه من الناس، وأخفى منه: الوسوسة[٢].

وعن ابن زَيْد[٣]: السر: سر الخلائق، وأخفى منه: سر الباري تعالى، وأنكره الطَّبَري[٤].

وقيل: السر: ما أخفاه الإنسان، وأخفى منه: ما لم يخطر بباله، وقيل: ما سيسره ولا يعلم بذلك[٥].

والجمهور على أن ﴿أخفى﴾ أفعل تفضيل، وقيل: هو فعل ماض، أي: إنه يعلم أسرار العباد، وأخفى عنهم علمَه بذلك، كقوله ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقوله ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠][٦]، قال الزَّمَخْشَري:"وليس

(١) هذا هو المشهور عن ابن عباس رضي الله عنه، وقد روي عنه من طرق متعددة. انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٩٣، ٣٩٢، والدر المنثور ٤/ ٥١٨، ٥١٩، والتفسير الصحيح ٣/ ٣٥٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٩٣.

(٣) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني العدوي ولاءً، مولى عمر بن الخطاب، وكان صاحب قرآن وتفسير، غير أنه ضعيف، توفي سنة ١٨٢هـ. انظر: الجرح والتعديل ٥/ ٢٣٣، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٤٩، وتقريب التهذيب (٣٨٩٠) ص٥٧٨.

(٤) انظر قول ابن زيد وإنكار الطبري له في تفسير الطبري ٨/ ٣٩٤.

(٥) انظر هذين القولين في: معالم التنزيل ٣/ ١١٣، والكشاف ٣/ ٥٠، والبحر المحيط ٦/ ٢١٤.

(٦) هذا القول على ما ذهب إليه ابن زيد، فيكون تقدير الكلام على مذهبه: يعلم السر، وأخفى عنهم سره سبحانه. انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٩٤، انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٥.

بذاك"[١]، وقال ابن عطية: "هو ضعيف"[٢].

قلت: وعلى هذا فلو قيل: إن الوقف على الجلالة -أي: وأخفى الله علم ذلك- لم يكن سيئاً، إلا أنه ضعيف مبني على ضعيف، وقد حضرت يوماً مجلساً، فوقف بعض القراء على الجلالة، فحصل عليه إنكار، وكنت أنا أولَ من نبه على ذلك، وبالغت فيه حتى رأيت ذلك، فسهل الأمر عندي، لكني لا أعتقد صحته.

والخطاب في ﴿تَجْهَرْ﴾ للرسول، أو لكل أحد[٣]، والمعنى: إذا كان يعلم السر وأخفى منه فعلمه بالجهر من باب الأحرى على ما يتعارفونه، كقوله ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]؛ إذ لا تفاوت في علمه ولا في قدرته بين السر والجهر، ولا بين الإبداء والإعادة[٤].

وقوله ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: بهذه[٥] الجملة المشتملة على التوحيد، لسبق ما يدل عليها من بديع صنعته، ودقيق حكمته.

وقوله ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يجوز أن يكون خبراً ثانياً عن الجلالة، وأن يكون مبتدأً، ويجوز أن تكون الجلالة خبر مبتدأ مضمر، كأنه قيل: من الذي يعلم السر وأخفى؟ فأجيب بقوله: ﴿ٱللَّهُ﴾[٦]، ولا التفات إلى ما

---

(١) الكشاف ٣/ ٥١.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٩٢، والبحر المحيط ٦/ ٢١٤، والتحرير والتنوير ١٦/ ٩٨.

(٤) لم أقف على من نبه على هذا الأمر في هذا الموطن.

(٥) كذا في الأصل، ولم يتبين لي متعلَّق الجار والمجرور.

(٦) انظر هذه الوجوه الإعرابية في إعراب القرآن للنحاس ص ٥٣٥، والبحر المحيط ٦/ ٢١٥.

قدمته من الوقف على الجلالة المعظمة.

والحسنى: تأنيث الأحسن، جرت بلفظ الإفراد على جمع تكسير المؤنث، لتأولها بـ(جماعة)، وهو كثير: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه:١٨]، ﴿مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ﴾ [طه:٢٣]، وزاد ذلك حُسناً كونها رأس فاصلة[١].

ومعنى كون أسمائه حسنى: ما تضمنته من المعاني التي هي في غاية الحسن من صفات التمجيد، والتحميد، والتقديس، والربوبية، والرحمانية، وغير ذلك[٢].

وقد قيل: إن هذا الأسماء هي التي أشار إليها عليه السلام بقوله "إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحد، من أحصاها دخل الجنة"[٣].

قال الزَّمَخْشَرِي:"والذي فَضَلت به أسماؤه الحسنى في الحسن سائرَ الأسماء دلالتُها على معاني التقديس، والتمجيد، والتعظيم، والربوبية، والأفعال التي هي النهاية في الحسن"[٤].

---

(١) انظر: الكشاف ٣/ ٥١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٧، والبحر المحيط ٦/ ٢١٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ٧/ ٢٨٦، وجلاء الأفهام ص ٢٧٨، ٢٧٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحدة، رقم الحديث (٦٤١٠)، ١١/ ٢٥٦، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم الحديث (٢٦٧٧)، ٦/ ١٧٧، واللفظ له، غير أنه بنصب "مائة إلا واحداً".

ولعله يشير في هذا القول إلى القول الذي اشتهر به ابن حزم الظاهري من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين بدلالة هذا الحديث، وقد خالف بذلك جماهير العلماء. انظر: الفِصَل ١/ ٤٢٤، ومجموع الفتاوى ١١/ ٢٨٢-٢٨٥، وشفاء العليل ص٤٢٠.

(٤) الكشاف ٣/ ٥١.

قلت: يشير بذلك إلى انقسام الصفات إلى صفة ذات، وصفة فعل، وصفة إضافية، وكأنه مثَّل للأول وأشار إليه بقوله، التقديس، وما بعده، وللثالث بقوله: الربوبية، وللثاني بقوله: والأفعال، وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠][1].

قوله تعالى ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ وجه مناسبتها لما تقدمها أنه تبارك وتعالى لما أخبر بتعظيم كتابه المنزل على رسوله، وكان في ضمن ذلك تعظيمٌ للمنزل عليه -وهو محمد ﷺ-، أتبع ذلك بقصة موسى عليه السلام؛ ليتأسى به، ويتسلى بما جرى له مع قومه، ويتحمل أعباء النبوة والرسالة، كما تحملها موسى عليه السلام، ويهون عليه ما قاساه من الشدائد[2].

وكان ذكر موسى دون غيره من الأنبياء لأن قصته شبيهة بقصته؛ فإن قومه كانوا متعنتين مع كثرة ما يرون من المعجزات، ولأنه أنزل عليه كتاب يتلى، وفيه أحكام كثيرة[3].

قال الزَّمَخْشَرِي:"قفَّاه بقصة موسى عليه السلام ليأتسي به في تحمل أعباء النبوة، وتكاليف الرسالة، والصبر على مقاساة الشدائد؛ حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود"[4]. وهذا الذي قاله في غاية المناسبة.

---

(١) تفسير هذه الآية من الجزء المفقود من الكتاب.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٩٤، ٣٩٥، والبحر المحيط ٦/ ٢١٥.

(٣) انظر: نظم الدرر ١٤/ ١٣، ١٤، والبحر المديد ٤/ ٢٦٣، ٢٦٤.

(٤) الكشاف ٣/ ٥١.

وفي هذا الاستفهام ثلاثة أوجه:

أوجهها: أنه للتقرير، أتي به حثاً على الإصغاء لما يوحيه إليه في قصة موسى؛ ليتأسى بها[١]، ونحوه: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠].

والثاني: أن (هل) بمعنى: (قد)، أي: قد أتاك حديثه[٢]، ومن مجيء (هل) بمعنى: (قد) قولُه تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾، وقول الآخر:

أَهَلْ رَأَوْنَا بِوَادي القُفِّ ذِي الأَكُمِ[٣] ....

فهل بمعنى (قد) [...][٤] حرف الاستفهام[٥]، وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى[٦]، وهذا ضعيف؛ لأن هذه السورة مكية، ولم يكن أطلعه على قصة موسى قبل ذلك[٧] حتى يقول له: قد أتاك حديث موسى.

---

(١) وقيل: للتقرير، لكن لتقرير أمر التوحيد الذي انتهى إليه السياق في الآيات السابقة. انظر: الكشاف ٣/ ٥١، والبحر المحيط ٦/ ٢١٥، وتفسير أبي السعود ٦/ ٦.

(٢) انظر: معالم التنزيل ٣/ ١١٤، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥٦.

(٣) البيت لزيد الخيل الطائي رضي الله عنه، انظر ديوانه ص ١٥٥، وهو في جميع ما وقفت عليه من مصادر بلفظ: أهل رأونا بسفح ...إلخ.

(٤) كلمتان لم أستطع قراءتها.

(٥) اختلف النحويون في (هل)، أهي دائماً بمعنى (قد)، وإنما هي بمثابة (قد) وهمزة الاستفهام؟ أم ربما تأتي بمعناها؟ أم لا تأتي بمعناها أصلاً؟. انظر: معاني الحروف للرماني ص ١٠٢، والمفصل ص ٤٣٧، ومغني اللبيب ص ٤٠٥-٤٠٨.

(٦) تفسير سورة الإنسان من الجزء المفقود من القول الوجيز.

(٧) استظهر أبو حيان أن أول ما أوحي إلى نبينا ﷺ من قصة موسى عليه الصلاة والسلام في هذه السورة، ولم يجزم به كما جزم المؤلف رحمه الله. البحر المحيط ٦/ ٢١٥. وانظر: =

والثالث: أن الاستفهام بمعنى النفي، على معنى: إنا لم نقص عليك قصة موسى فيما تقدم، ونحن نقص عليك الآن قصته لتتأسى به، وبما جرى له مع قومه، لتتسلى بذلك، ويهون عليك أذى قومك[1]، وهو ضعيف جداً.

و﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ قصته التي يتحدث بها الناس، ويحدث بعضهم بها بعضاً.

وفي ذلك أيضاً دلالة على نبوته، وصحة رسالته، حيث يحدِّث بحديث لا يعرفه إلا من خالط أهل العلم، ودارس التواريخيين، وكتب، وعلم ما في الكتب، وكتب، أي: لم يخالط أحداً من أهل العلم بذلك.

وكان من حديثه أنه لما قضى أطول الأجلين تكرماً منه، استأذن صهره شعيباً[2] -وإن كان غير محتاج لإذنه، سلوكاً للأدب، ومعاملة الأنبياء

= وانظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥٦.

(١) انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٥.

(٢) اختلف المفسرون في صهر موسى عليه السلام: أشعيب هو أم غيره؟ والذي عليه جمهور المتأخرين من المفسرين أنه شعيب؛ واستدلوا بأنه ظاهر القرآن، وبما أورده الثعلبي من أنه قد روي عن مجاهد والضحاك والسدي والحسن، ورجح ابن تيمية وابن كثير وغيرهما أنه غيره، إذ ليس في القرآن ما يفهم منه أنه هو شعيب، وما من جامع بين شعيب وصهر موسى سوى أنهما كلاهما من مدين، ولم يرد عن النبي ﷺ ولا الصحابة رضي الله عنهم أنه شعيب، بل جاء عن الصحابة خلاف ذلك، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اسمه يثرى، وما ساقه الثعلبي عن مجاهد والضحاك والسدي والحسن لم ينقله سواه، بل ثبت عن الحسن إنكاره أن يكون هو شعيباً، كما أن ظاهر القرآن يدل على قرب زمن هلاك قوم شعيب من زمن لوط وإبراهيم عليهم السلام، وبين إبراهيم وبين موسى قرابة ٤٠٠ عام، وقد قال الطبري:"وهذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه". انظر: =

والصالحين، لا سيما إذا كانوا أقرانه أو أصهاراً، بحسن المعاشرة، ولطف المفارقة- في سفره إلى مصر ليزور أمه وأخته، فأذن له في ذلك، فخرج نبي الله بامرأته، وكان شديد الغيرة، فيصحب الرفقة ليلاً، ويفارقهم نهاراً؛ لئلا يروا امرأته، فضل الطريق؛ وقيل: كان سبب ضلوله الطريق أنه كان يخاف ملوك الشام؛ لئلا يفطنوا به، فيوصلوه إلى فرعون تقرباً إليه، وقد كان أراد الدخول خفية لينظر: هل نسيت جنايته لطول عهدها فيدخل، أم لم تنس؟ وكانت امرأته حاملاً مُقرِباً[(١)] يتوقع وضعها، فأداه السير إلى جانب الطور الأيمن، وكان خروجه في فصل الشتاء، واتفق أن تلك الليلة التي تاه بها كانت مثلجة شديدة البرد، وأجاء امرأته المخاض تلك الليلة المظلمة، فقدح فصَلَدَ زندُه[(٢)]، ولما لم يور الزند تراءت له نار، فحين رآها قال لأهله: امكثوا[(٣)].

وقوله ﴿ إِذْ رَءَا ﴾ يجوز في ﴿ إِذْ ﴾ أن تكون منصوبة بـ﴿حَدِيثُ ﴾ قال

= تفسير الطبري ١٠/ ٦٠، ٦١، وتفسير الثعلبي ٧/ ٢٤٤، ومعالم التنزيل ٣/ ٤٣٣، والجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٤٠، ٢٤١، وجامع رسائل شيخ الإسلام ١/ ٦١-٦٤، وتفسير ابن كثير ٦/ ١٢، ١٣، والدر المنثور ٥/ ٢٣٨.

(١) الـمُقرِب: هي الحامل المتم التي قرُب وِلادُها. انظر: القاموس المحيط ص ١٢٣ (ق ر ب).

(٢) أي: أصدر صوتاً لكنه لم يورِ. انظر: القاموس المحيط ص٢٩٣، ٢٩٤ (ص ل د).

(٣) ما ساقه المؤلف من حديث موسى عليه السلام بعضه صريح الآيات التي قص الله علينا في القرآن، وبعضه مستنبط من تلك الآيات، وقليل منه لم يرد في كتاب ولا سنة، ولا يستنبط منهما، وإنما هو مروي عن بعض السلف، وبعضه عن وهب بن منبه كذكر ولادة امرأته تلك الليلة، وصلود زنده. انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٩٥، الكشف والبيان ٦/ ٢٣٩، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥٦، والدر المنثور ٤/ ٥١٩-٥٢٢.

الزَّمَخْشَرِي:"لأنه حدَثٌ، أو لمضمر، أي: حين رأى ناراً كان كيت وكيت، أو مفعولاً لـ(اذكر)"[1] انتهى.

والظاهر الأول؛ لأن الأصل عدم الإضمار، ولتأدية الثالث إلى خروج (إذ) عن الظرفية.

و﴿رَءَانَارًا﴾ أي: أبصرها، قيل: كان ذلك ليلة الجمعة[2].

وقوله لأهله ﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾ قيل: كنى بالأهل عن امرأته، وهي كناية شائعة، وقيل: كان معه امرأته وخادمه وولداه[3]، وقيل: ولد له تلك الليلة ابن، قاله وَهْب بن مُنَبِّه[4].

وقرأ العامة بكسر هاء الكناية، وحَمزةُ[5]، والأعْمشُ[6]، وطلحةُ،

---

(١) الكشاف ٣/ ٥١.

(٢) انظر: الكشاف ٣/ ٥١.

(٣) انظر هذين القولين في: تفسير الرازي ٢٢/ ١٤، وتفسير أبي السعود ٦/ ٦.

(٤) هو العلامة الأخباري القصصي، وهب بن منبه بن كامل، أبو عبد الله الصنعاني، وهو من أبناء فارس في اليمن، ولد في زمن عثمان سنة ٣٤هـ، وروايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات وصحائف أهل الكتاب، وهو ثقة في روايته، توفي سنة بضع عشرة ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤٤، وتقريب التهذيب (٧٥٣٥)ص ١٠٤٥. وانظر قوله في: الكشف والبيان ٦/ ٢٣٩، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥٦.

(٥) أي: وقرأ حمزة ومن معه بالضم، وحمزة: هو ابن حبيب الزيات، أبو عمارة، أحد القراء السبعة، كان إماماً قيماً لكتاب الله، قانتاً لله، ثخين الورع، رفيع الذكر، عالماً بالحديث والفرائض، توفي سنة ١٥٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٩٠، وغاية النهاية ١/ ١١٩٠، وتقريب التهذيب (١٥٢٦) ص ٢٧١.

(٦) هو سليمان بن مهران الأعمش، قال عنه الذهبي:"الإمام، شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين"، ولد سنة ستين أو نحوها، ومات سنة ١٤٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء =

ونافعٌ[١] -في رواية-: بضمها؛ نظراً إلى الأصل، وكذا التي في القصص[٢].

و﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾: أقيموا، والمكث: الإقامة[٣]، يقال: مكَث، ومكُث، بفتح الكاف وضمها، وقد قرئ بهما كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه في النمل[٤].

وقوله ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ﴾ أي: أبصرت[٥]، وأصل الإيناس: الإحساس -بالبصر كان أو بغيره-، ومنه ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾[النساء:٦]، إلا أن النار إذا كانت بعيدة لا تحس إلا بالبصر فسروا الإيناس بالإبصار؛ لأنه الواقع[٦].

= ٦/ ٢٢٦، وغاية النهاية ١/ ٣١٥.

(١) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، أبو رويم، وقيل في كنيته غير ذلك، أحد القراء السبعة، صدوق ثبت في القراءة، انتهت إليه رئاسة الإقراء في المدينة، وأقرأ الناس بها ما نيف على سبعين سنة، توفي سنة ١٦٩هـ، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣٦، وغاية النهاية ٢/ ٣٣٠، وتقريب التهذيب (٧١٢٧) ص٩٩٥.

(٢) انظر القراءتين وتوجيههما في إعراب القرآن للنحاس ص ٥٣٥، والبحر المحيط ٦/ ٢١٥، وتحبير التيسير ص ١٤٢.

(٣) انظر: معالم التنزيل ٣/ ١١٤.

(٤) عند قوله تعالى ﴿ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ [النمل:٢٢]، وذلك في اللوحة ١٧٠ من المجلد السادس من المخطوط.

وانظر القراءتين في تحبير التيسير ص ١٥٥.

(٥) انظر: الهداية ٧/ ٤٦١٧، ومعالم التنزيل ٣/ ١١٤.

(٦) انظر كون الإيناس في الأصل الإحساس، وأنه أنما عبر عنه بالإبصار هنا لأنه الواقع في: البحر المحيط ٦/ ٢١٥، ٢١٦، وانظر ما يؤيده في: معجم مقاييس اللغة ١/ ١٤٥ (أ ن س)، والقاموس المحيط ص ٥٣١ (أ ن س).

وقال الزَّمَخْشَرِي:"الإيناس: الإبصار الذي لا شبهة فيه، ومنه: إنسان العين[1]، لأنه يتبين به الشيء، والإنس، لظهورهم، كما قيل: الجن، لاستتارهم؛ وقيل: هو إبصار ما يؤنس به"[2].

ومن مجيئه بمعنى الإحساس قولُ الحارث بن حلزة[3]:

آنَسَتْ نَبْأةً وقَدْ رَوَّعَها القُنَّاصُ وقَدْ دَنا الإمْسَاءُ[4]

و(إنَّ) بقوله ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ﴾ إلى آخره ليطامن من أنفسهم، ويسكن من روعتهم، ويزيل من وحشتهم؛ فإن المكان مكان موحش، مقفر، في ليلة مظلمة، مثلجة؛ فلو فارقهم من غير أن يعلمهم، أو يعلمهم ولم يأمرهم

---

(١) إنسان العين: هو المثال الذي يُرى به في السواد. انظر: لسان العرب ١/ ٢٣٣ (أ ن س)، والكليات ص ٢٠٠.

(٢) الكشاف ٣/ ٥١.

(٣) هو الحارث بن حِلِّزة بن مكروه بن يزيد اليشكري، شاعر جاهلي، أحد أصحاب المعلقات، ارتجل معلقته بين يدي ملك الحيرة عمرو بن هند من وراء سُتُرٍ لبرص كان به، فأدناه الملك ورفع السُتُر بينهما استحساناً لها، توفي نحو سنة ٥٠ قبل الهجرة. انظر: الشعر والشعراء ص٩٦، والأعلام ٢/ ١٥٤.

(٤) كذا في الأصل، وفي المصادر:

آنَسَتْ نبْأةً وأفزَعَها القُنْـ ـنَاص عَصْراً وقَدْ دَنَا الإمْسَاءُ

وهو أحد أبيات معلقته، يشبه فيه ناقته في إسراعها بنعامة أحست صوتاً خفياً، وأفزعها القناصون في وقت العشي عصراً وهي تريد الأوبة إلى أولادها وقد دنا الغروب وخافت أن يدركها الظلام قبل بلوغها إلى أولادها. انظر: ديوان الحارث بن حلزة ص ٢٢، وشرح المعلقات السبع للزوزني ص ٢٤٠، ٢٤١، وشرح القصائد العشر للتبريزي ص ٢٩٥.

بالإقامة ثَـمَّ، أو أمَرَهم بها ولم يخبرهم بما آنس لم تنشرح صدورهم، ولم تطمئن نفوسهم.

ثم إنَّ نبي الله تعالى لم يكتف بإعلامهم بذلك، بل وعدهم بما ينفعهم، وينفس عنهم، وهو أحد أمرين: إما إتيانُهم بشعلة يصطلون بها مما أصابهم من البرد، وإما اهتداؤهم للطريق، فإنهم كانوا خائفين الهلكة من نفاد الماء والزاد؛ وهكذا ينبغي أن يُتأدبَ بطريق الأنبياء والعلماء والصالحين، فيخبر أهله ورفقته بوجهه الذي يتوجه إليه، وإن كان في ذلك فرح لهم فينبغي أن يعجل لهم بالبشارة به؛ فإن لإدخال السرور على القلوب أثراً عظيماً[١].

وأتى بـ(إنَّ) الدالة على التحقيق؛ لأنه تحقَّقَّ النار بإبصاره إياها، وبكلمة (لعل) فيما بعد لأنه لم يتحقق ذلك، وإلى هذين المعنيين نحا الزَّمَخْشَرِي حيث قال:"لما وجد منه الإيناس -فكان مقطوعاً متيقناً- حققه لهم بكلمة (إن)؛ ليوطن أنفسهم، ولما كان الإتيان بقبس ووجود الهدى مترقبَين متوقعَين بنى الأمر فيهما على الرجاء والطمع، فقال: ﴿لَّعَلِّيٓ﴾، ولم يقطع فيقول: إني آتيكم؛ لئلا يعد ما لم يستيقن الوفاء به"[٢]. انتهى، وهو حسن جداً.

قال بعضهم: وفي الآية دلالة على أنه يجوز الإخبار بما يغلب على الظن وإن لم يكن مطابقاً في نفس الأمر؛ لأن موسى عليه السلام رآى نوراً في

(١) لم أقف على من بين هذا المعنى كما بينه المؤلف طيب الله ثراه، وسيعضده المؤلف بما نقله عن الزمخشري في الفقرة القادمة، وانظر: تفسير أبي السعود ٦/ ٦.

(٢) الكشاف ٣/ ٥١.

الشجرة، فزعمه ناراً[1]، قال بعضهم: هو عند الله نور، وعند موسى نار، ولا يجوز أن يخبر الأنبياءُ إلا بما هو مطابق لما في نفس الأمر[2]، وفيه نظر؛ إذ النبأ على غلبة الظن، وفيما يظهر لرأي العين جائز، ولا يقدح ذلك، وهذا كما لو رأى إنسان سراباً من بعد فظنه ماء جاز أن يخبر بأنه رأى ماء لما ظهر في رأي العين، فالإخبار برؤية النار عند رؤية النور أولى وأحرى؛ لأنه منها، لا سيما ذلك النور العظيم الباهر[3].

والتنكير في ﴿نَارًا﴾ و﴿نَارًا﴾ دالٌ على هذا، فإن التنكير يفيد تارة النوعية، وتارة التعظيم، وكلاهما صالح هنا[4].

وقوله ﴿بِقَبَسٍ﴾ القبس: النار المقتبسة في رأس عود، أو فتيلة، أو غيرهما، ومنه قيل: المِقبسة: لما يقتبس فيه من سعفة ونحوها. قاله الزَّمَخْشَرِي[5].

والقبس: فَعَلٌ، بمعنى: مفعول، كالقَبَض، والنَّقَض[6]؛ وفرقوا بين

(١) انظر هذا القول في: البحر المحيط ٦/ ٢١٦.

(٢) انظر: النكت والعيون ٣/ ٣٩٥، والبحر المحيط ٦/ ٢١٦.

(٣) قد أخبرنا الله جل وعلا بأن موسى قد رأى ناراً في قوله سبحانه ﴿إذ رأى ناراً﴾، ثم أخبرنا عن قوله لأهله ﴿إني آنست ناراً﴾، وهما خبران مستقلان؛ ولئن قبلنا هذه التوجيهات في إخبار موسى لأهله بإيناسه النار وزعمنا أنه أخبر بغلبة الظن، فكيف نفعل بخبر الله جل وعلا لنا بأن موسى قد رأى ناراً؟.

(٤) لتنكير المسند إليه أسباب، منها: الإفراد، والنوعية، والتعظيم، والتحقير، والتكثير، والتقليل، ومرادهم بالنوعية: الدلالة على نوع من المسند إليه مخالف للأنواع المعهودة. انظر: الأطول ١/ ٣٣٠-٣٣٣، والمفصل في علوم البلاغة ص ١٢٥-١٢٨.

(٥) الكشاف ٣/ ٥١، ٥٢. وانظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥١، ومعالم التنزيل ٣/ ١١٤.

(٦) فسَّرهما المؤلف في الدر المصون ٨/ ١٥ بالمقبوض والمنقوض. وانظر: البحر المحيط =

قَبَس، وأقْبس، فقبسته ناراً، وأقبسته علماً، هذا قول أبي العباس[١]، وزعم الكِسَائِي[٢] أنهما يقالان في المعنيين، فيقال: قبسته علماً، وناراً، وأقبسته إياهما[٣].

و﴿مِّنۡهَا﴾ متعلق بـ﴿ءَاتِيكُم﴾، أو بمحذوف على أنه حال من ﴿قَبَسٍ﴾؛ لأنه لو تأخر لجاز كونه صفة له[٤].

وفي موضع آخر قال: ﴿أَوۡ جَذۡوَةٍ﴾ [القصص:٢٩]، وهي أعظم من القبس[٥]، وقال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ [النمل:٧، القصص:٢٩]، وهنا أسقطه، كما أسقط قوله هنا ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾؛ لأنه تكلم بالجميع، فحكى ذلك عنه في غير موضع، استقل كل واحد بفائدة جديدة، وأتى في كل موضع بما يناسبه من الفواصل[٦].

= ٦/ ٢١١.

(١) هو المبرِّد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، النحوي، أبوالعباس، صاحب كتاب "الكامل"، قال الذهبي: "وكان آية في النحو"، مات سنة ٢٨٦هـ. انظر: معجم الأدباء ٥/ ٤٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٧٦.، وانظر قوله في البحر المحيط ٦/ ٢١١.

(٢) هو: علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي، أبو الحسن، شيخ القراءة والعربية، لقب بالكسائي لإحرامه في كساء، أحد القراء السبعة، لزم معاذاً الهراء، وكان ذا منزلة عند الرشيد، توفي سنة ١٨٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣١، وغاية النهاية ١/ ٥٣٥.

(٣) انظر قوله في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥٦.

(٤) انظر الوجهين في: إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١١٩، وروح المعاني ٨/ ٤٨١.

(٥) مضى تفسير القبس من كلام المؤلف، وأما الجذوة فهي ما يبقى من الحطب بعد الالتهاب. انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ١٩٠ (ج ذ و).

(٦) أقرب ما يقال في مثل هذه الألفاظ أن تعبير موسى عليه الصلام إنما وقع بلغة قومه، فلما =

ونكَّرَ القبس إما للتعظيم، وإما للتقليل، أي: إن القليل منه كاف، وقال في موضع آخر: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ [النمل:٧] قرئ بإضافة الشهاب لما بعده، وبعدمها، وسيأتي إن شاء الله تعالى تحقيق هذا في مكانه[١].

وقوله ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ أي: هدى إلى الطريق؛ فإن النور يبين المذاهب، والأعلامَ المنصوبة، وآثارَ السابلة، وتأثير أقدامِهم ودوابِّهم، ومواضع نزولهم، من إيقاد النار، والرماد، وروث الدواب، ونحو ذلك، وقد وجدنا هذا كثيراً في الأسفار؛ حتى يستدل بعظم الموتى من آدمي وغيره على الطرقات[٢].

وعلى هذا فلا حاجة إلى حذف مضاف، أي: ذا هدى، أي: من يهديني إلى الطريق، وإن كان الزَّمَخْشَرِي بدأ به فقال: "أي: قوماً يهدونني الطريق، أو ينفعونني بهداهم في أبواب الدين -عن مُجاهد وقَتادة[٣]-؛

= حكى لنا الله جل وعلا معناها جاء المعنى بالعربية، ومن المعلوم أن في الألفاظ العربية المتقاربة من الفروق الدقيقة ما ليس بين أمثالها من اللغات الأخرى، فلذلك اختلف التعبير عن هذه الألفاظ بما تسيغه الترجمة، ويحتمله المعنى العام. انظر: درة التنزيل ص ٢٠٣، ٢٠٤، وملاك التأويل ٢/ ٨٠٥-٨١٣.

(١) في تفسيره لسورة النمل، في اللوحة ١٥٤ من المجلد السادس. وقد قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين. انظر: النشر ٢/ ٢٥٢.

(٢) هذا قول في معنى الآية، والمشهور ما أخره المؤلف من أن المراد: أجد على النار من يهديني. انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٩٥، والهداية ٧/ ٤٦١٧.

(٣) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، الحافظ، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب، كان من أوعية العلم وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، ثقة ثبت، مات سنة بضع عشرة ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٩، وتقريب التهذيب (٥٥٥٣) ص٧٩٨، وطبقات المفسرين للأدنوي ص١٤.

وذلك أن أفكار الأبرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع الأحوال، لا يشغلهم عنها شاغل، والمعنى: ذوي هدى؛ أو إذا وجد الهداة فقد وجد الهدى"[(١)].

ونقل الزَّجَّاج أنه ضل عن الماء، فترجى من يهديه إلى الماء، أو إلى الطريق المسلوك[(٢)]، فإنه يؤديه إل المناهل، بخلاف المجاهل، لأنه ليس فيها مناهل.

وقوله ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾ لما مر ذكرها صارت معهودة، فمن ثَمَّ أدخل عليها (أل) العهدية، وفي ﴿عَلَى﴾ هذه أوجه، أوجَهها: أنها على بابها من الاستعلاء، قال الزَّمَخْشَرِي:"ومعنى الاستعلاء على النار: أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها، كما قال سيبويه -في مررت بزيد-: أنه لصوق بمكان يقرب من زيد، أو لأن المصطلين بها والمستمتعين بها إذا تكنفوها قياماً وقعوداً كانوا مستعلين عليها، ومنه قول الأعْشى[(٣)]:

.... وبَاتَ على النارِ النَّدَى والـمُحَلّقُ"[(٤)]

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٢.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٣٥١.

(٣) هو الأعشى الكبير، ويقال له: أعشى قيس، وأعشى بكر بن وائل، ويلقب بصنَّاجة العرب، أبو بصير، ميمون بن قيس بن جندل، صاحب إحدى المعلقات، لقب بالأعشى لضعف بصره، وقد عمي في أواخر عمره، أدرك النبي ﷺ، وهاجر يريد الإسلام، فرده المشركون على أن يسلم من قابل، فأدركه أجله قبل إسلامه، وذلك سنة ٧ من الهجرة. انظر: الشعر والشعراء ص١٣٥، وخزانة الأدب ٧/ ١٤٤، والأعلام ٧/ ٣٤١.

(٤) إلى هنا ينتهي نقله عن الزمخشري في الكشاف ٣/ ٥٢.

وأما بيت الأعشى فهو من قصيدة له يمدح فيها المحلّق، على خلاف في فتح اللام أو كسرها، وهو لقبه على الأشهر، واختلف في سبب تلقيبه به، واسمه: عبدالعزى بن حنتم بن شداد بن ربيعة، مر به الأعشى مسافراً، وكان فقيراً له عشر بنات لم ينكحن، فأضافه المحلق وأكرمه، ثم طلب إليه أن يمدحه في عكاظ، فمدحه فلم يلبث أن خطبت بناته، =

ونقل ابن الأنْباري[1] فيها ثلاثة معان أخر، أحدها: أنها بمعنى: عند، الثاني: أنها بمعنى: الباء، الثالث: أنها بمعنى: في[2]، والأول أَولى؛ لما فيه من بقائها على موضوعها.

ونكر ﴿هُدًى﴾ لما تقدم في تنكير ﴿قَبَسٍ﴾.

وأمال بعضهم ألف ﴿هُدًى﴾ وقفاً، والمختار عدم إمالته، لأنه المختار أن ألفه بدل عن التنوين وقفاً[3]، وقد حققت هذا في العقد النضيد

= وفيها يقول:

لَعَمْرِي لَقَدْ لاحتْ عُيُونٌ كَثِيرةٌ ... إلى ضَوءِ نَارٍ في يَفَاعٍ تُحَرَّقُ

تُشَبُّ لِمَقْرُورَين يَصطَلِيَانِهَا ... وباتَ على النَّارِ النَّدَى والمحَلّقُ

رَضِيْعَيْ لَبانٍ ثَدي أُمٍّ تَقَاسَمَا ... بِأَسْحَمَ داجٍ عَوْضَ لا نَتَفَرقُ

يريد بذلك أن عيوناً كثيرة قد تطلعت إلى ضوء نار تشتعل في ذلك المرتفع من الأرض، وهذه النار تُشعل لاثنين قد نال منهما البَرْد، فهما يصطليان بالنار، وهما الكرم والمحلّق، قد ارتضعا معاً (يعني الكرم والمحلق)، وتقاسما لا يفترقان أبد الدهر.

ولأهل الأدب ثناء على هذا المعنى الذي اخترعه الأعشى من اصطلاء ممدوحه مع الندى يتسامران ولا يتفرقان. انظر: ديوان الأعشى ص ٢١٧ وما بعدها، وخزانة الأدب ٧/ ١٤٤ وما بعدها، ومشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف (بحاشية الكشاف) ٣/ ٥٢.

(١) هو: أبو بكر، محمد بن القاسم بن بشار، عرف بابن الأنباري، مقرئ نحوي، كان من أهل الصدق والدين وسعة الحفظ، ومن كتبه "الوقف والابتداء"، مات سنة ٣٢٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٧٤، وغاية النهاية ٢/ ٢٣٠.

(٢) نقلها عن ابن الأنباري أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٢١٦، غير أنه جعل أحد معانيها: (مع) مكان (في).

(٣) وقد خالفه في ذلك ابن الجزري وغيره، بدلالة إجماع الرواة على إمالتها، بغض النظر عن =

من شرح القصيد[١].

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ (١١) إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى (١٢) وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ أي: فلما أتى النار نودي، قيل: لما أتاها وجدها تضطرم في شجرة خضراء يانعة[٢]، قال الزَّمَخْشَرِي:"خضراء من أسفلها إلى أعلاها، كأنها نار بيضاء تتقد، واستمع تسبيح الملائكة، ورأى نوراً عظيماً، فخاف، وبُهت، فألقيت عليه السكينة، ونودي". انتهى[٣].

واختلفوا في الشجرة ما هي؟ فعن ابن عباس وآخرين أنها كانت من عُنَّاب[٤]، وعن قتادة والكَلْبي ومُقاتل: كانت عَوْسَجَة[٥]، ولم يحك

= أصلها النحوي. انظر إبراز المعاني ٢/ ١٤٤-١٤٦، والنشر ٢/ ٥٦-٥٨، وشرح طيبة النشر للنويري ٣/ ١٣٩-١٤٢.

(١) العقد النضيد، تحقيق أحمد علي حريصي، ص ٢٤٦-٢٥٠.

(٢) جاء في أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:"رأيت الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام، فإذا هي خضراء ترِفُّ". رواه الطبري في تفسيره ١٠/ ٦٩، وقال ابن كثير في تفسيره ٦/ ١٩:"إسناده مقارب"، ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين، باب ذكر النبي الكليم موسى (٤١٠٣) ٤/ ١٥٣٧. وانظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٦.

(٣) الكشاف ٣/ ٥٣.

(٤) حكاه عنه أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٢١٦، ولم يذكره في الدر المنثور. والعُنَّاب: شجر شائك من الفصيلة السِّدرية، يبلغ ارتفاعه ستة أمتار، وثمره أحمر حلو لذيذ الطعم. انظر: المعجم الوسيط ص ٦٣٠ (ع ن ب)

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٣٤٤، وتفسير عبد الرزاق ٢/ ٩١، وتفسير الطبري ١٠/ ٦٩. والعوسج: نبات شائك من الفصيلة الباذنجانية. انظر: القاموس المحيط ص ١٩٨ (ع س ج)، والمعجم الوسيط ص ٦٠٠ (ع س ج).

الزَّمَخْشَرِي غيره[(١)]، وعن عبد الله: كانت سَمُرَة[(٢)]، وعن وَهْب: كانت عُلَّيْقَة[(٣)].

وروي في القصة أنه كلما دنا منها استأخرت عنه، فإذا ولى عنها تبعته، فعند ذلك أوجس في نفسه خيفة على عادة البشر، ثم كُلِّم، روي ذلك عن ابن إسحاق[(٤)].

وقوله ﴿نُودِيَ﴾ [حُذف][(٥)] الفاعل هنا للعلم به؛ للتصريح به في غيره، كقوله ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ [مريم:٥٢]، أو لأن الغرض الإخبار بندائه، أو لتعظيم المنادي[(٦)].

(١) الكشاف ٣/ ٥٣.

(٢) هذا في الأثر السالف ذكره في الحاشية عن ابن مسعود رضي الله عنه، حيث جاء في سياقه عند السيوطي في الدر المنثور النص على أنها سمرة. الدر المنثور ٥/ ٢٤٢. والسمرة -وجمعها (سَمُر)-: شجر مشهور في بوادي المدينة، يصنف على أنه من شجر الطلح. انظر: القاموس المحيط ص ٤١٠ (س م ر)، والمعجم الوسيط ص ٤٤٨ (س م ر).

(٣) انظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٤٨، والدر المنثور ٤/ ٥١٩. والذي في معاجم اللغة أن العليق نبت يتعلق بالشجر. انظر: القاموس المحيط ص ٩١١ (ع ل ق)، والمعجم الوسيط ص ٦٢٢ (ع ل ق).

(٤) رواه عن وهب بن منبه. انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٩٦. وابن إسحاق هو هو محمد بن إسحاق بن يسار، مولى قيس بن مخرمة، أبو عبد الله، الحافظ، الإخباري، ولد سنة ٨٠هـ، ورأى أنس بن مالك، صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢١، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣، وتقريب التهذيب (٥٧٦٢) ص٨٢٥.

(٥) موضع كلمة في الأصل لم يظهر من تصويرها إلا جزء منها، ولعلها كما أثبتها.

(٦) أشار البقاعي في نظم الدرر ١٢/ ٢٧٥ إلى بعض ما ذكره المؤلف من وجوه إسناد الفعل لما لم يسم فاعله، كما أشار إلى معنى آخر، وهو التشويق، وأشار ابن عاشور إلى أنه =

والقائم مقام الفاعل ضمير موسى، وقيل: ضمير المصدر[١]، ولا يجوز أن يكون القائمُ الجملةَ من ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ﴾ لأن الجملة لا تكون فاعلاً.

وقوله ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠﴾ قرأ ابن كَثير[٢] وأبو عمرو[٣] بفتح الهمزة، وفيه وجهان، أحدهما: أن ذلك على حذف حرف الجر، وهو الباء، لأن النداء يتعدى بها، قال الشاعر:

نَاديتُ باسمِ رَبِيعةَ بنِ مُكَدَّمٍ[٤] ... إنَّ المُنَوَّهَ باسمِه المَوثُوقُ[٥]

= بالإضافة إلى التشويق فإنه أدق في وصف الحالة التي كان عليها موسى عليه الصلاة والسلام من عدم معرفة المنادي لأول وهلة. التحرير والتنوير ١٦/ ١٠٢.

(١) بين المؤلف في الدر المصون ٨/ ١٦ مراده بضمير المصدر فقال:"أي : نودي النداء". وانظر الوجهين في نائب الفاعل في: المحرر الوجيز ٤/ ٣٨.

(٢) هو عبدالله بن كثير بن عمرو بن عبدالله بن زاذان بن فيروزان، أبو بكر أو أبو عباد، فارسي الأصل، مقرئ مكة، وأحد القراء السبعة، وقرأ عليه أبو عمرو، توفي سنة ١٢٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٨، وغاية النهاية ١/ ٤٤٣.

(٣) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان، اختلف في اسمه على أقوال، فقيل: زَبَّان، وقيل: العريان، وقيل غير ذلك، أحد القراء السبعة، اشتهر بالقراءة وبالنحو، حتى قال أبو عبيدة:"كان أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب"، توفي سنة ١٥٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٧، وغاية النهاية ١/ ٢٨٨.

(٤) هو فارس من فرسان العرب المعدودين، اشتهر بحمايته الظعن بعد موته إذ اتكأ على على رمحه، وهو على ظهر فرسه، وذلك لما أثخنته الجراح وأحس بموته، وظنه القوم حياً فهابوا التقدم لظعنه، فسار الظعن ونجا، ثم رموا فرسه بسهم، فنفرت، فسقط ميتاً، وذلك قبل الهجرة بقرابة ٦٢ سنة، عن عمر تجاوز عشرين سنة بقليل، قيل: كان يعقر على قبره في الجاهلية، ولم يعقر على قبر أحد غيره. انظر: العقد الفريد ١/ ٩٢، والأعلام ٣/ ١٧.

(٥) لم أقف على قائل البيت، وكذا أفاد محقق الدر المصون ٨/ ١٦ (الحاشية). وانظر البيت =

والثـاني: أن يكـون عـلى تقـدير لام العلـة، أي: لأجـل، جـوزه ابـن عطية[1]، وليس بواضح.

والبـاقون: بالكسر، وفيـه أيـضاً وجهـان، أظهرهمـا: أنـه عـلى إضـمار القول عند البصريين، والثاني: لإجراء النداء مجرى القول عند الكوفيين[2].

وقوله ﴿أَنَا۠﴾ يجوز أن يكـون مبتـدأ، و﴿رَبُّكَ﴾ خـبره، والجملـة خـبر (إنَّ)، وأن يكون فصلاً، وأن يكون تأكيـداً للياء، وربـك -عـلى الـوجهين- خبر لـ(إنَّ)[3].

وأتي هنا بلفـظ (الـرب) مـضافا لـه منبهـة لـه عـلى مـا أسـدى إليـه مـن النعم، وتفضل به عليه من تربيته على يد عدوه[4]، وفي موضـع آخـر ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، فأتى بلفظ (الرب) بعـد الجلالـة مضافاً لما يشمله وغيرَه؛ لأن في هذه السورة ذكر كثيراً مما امتن بـه عليـه، بـل جلها في قصته[5].

= في: شرح الأبيـات المـشكلة ص٣٩٥، والحجـة لأبي عـلي الفـارسي ٣/ ١٣٤، والمحـرر الوجيز ٤/ ٣٩. وقوله: الموثوق: أي: الموثوق به. بيَّنَه في شرح الأبيات المشكلة.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩.

(٢) انظر القراءتين ووجوه التوجيه فيهما بنحو ما ذكره المؤلـف في: إعـراب القـرآن للنحـاس ص ٥٣٥، والحجـة لأبي عـلي الفـارسي ٣/ ١٣٣، ١٣٤، والهدايـة ٧/ ٤٦٢٠، ٤٦٢١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨، ٣٩، والنشر ٢/ ٢٤٠.

(٣) انظر هذه الأوجه في البحر المحيط ٦/ ٢١٦، وتفسير النسفي ٣/ ٦٤.

(٤) انظر: نظم الدرر ١٢/ ٢٧٦، والتحرير والتنوير ١٦/ ١٠٣.

(٥) لم أقف على من ذكر هذا التفريق بين الموضـعين، وهـو تفريـق غـير ظـاهر، فـإن في سـورة =

ولم يذكر الزَّمَخْشَرِي في ﴿أَنَا۠﴾ غير التأكيد، فقال:"تكرير الضمير في ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ لتأكيد الدلالة، وتحقيق المعرفة، وإماطة الشبهة؛ روي أنه لما نودي ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ قال: من المتكلم؟ فقال الله عز وجل: أنا ربك، وأن إبليس وسوس إليه: لعلك تسمع كلام شيطان، فقال: أنا عرفت أنه كلام الله بأني سمعته من جميع جهاتي الست، وأني أسمعه بجميع أعضائي" انتهى[1].

= القصص -التي جاء فيها التعبير بـ (رب العالمين)- من أنواع الألطاف الربانية بموسى عليه الصلاة والسلام ما قد ينيف على ما في هذه السورة، خصوصاً في منشئه وتربيته، من استبقائه من بين نظرائه من المواليد، وحفظه من الغرق في اليم، وتربيته في بيت فرعون، وتحريم المراضع عليه، ورده إلى أمه، وحفظه من كيد قومه له إذ وكز الرجل فقضى عليه، وتوجهه تلقاء مدين، وتزويجه، ثم تفصيل شأن عودته ورسالته، ودعوته لفرعون، إلى غير ذلك، مما لا يتفق مع ما ذكره المؤلف من اختصاص موطن سورة طه بوصف الله نفسه لموسى بأنه ربه دون موطن سورة القصص لما امتازت به سورة طه من العناية بموسى والكلاءة له. والله أعلم.

(١) الكشاف ٣/ ٥٣. وأما ما ذكره من الأثر الذي فيه أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يسمع كلام الله من جميع جهاته، وبجميع جوارحه، فلم أجد مما روي في ذلك إلا ما ذكره السيوطي في الدر المنثور عن وهب بن منبه - وعزاه إلى أحمد في الزهد وعبد ابن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم-، وفيه:"إني لأسمع صوتك، وأحس حسك، ولا أرى مكانك، فأين أنت؟ قال: أنا فوقك ومعك وخلفك وأقرب إليك من نفسك. فلما سمع هذا موسى علم أنه لا ينبغي هذا إلا لربه، فأيقن به، فقال: كذلك أنت يا إلهي..." إلخ. انظر: الزهد للإمام أحمد ص ٧٩، والدر المنثور ٤/ ٥٢٠.
ومثل هذا الخبر لا تقوم به حجة، فإنه من الإسرائيليات، فضلاً عن أنه ليس فيه وصف سماع موسى لكلام الله تعالى أصلاً، بل بين فيه الله لموسى -على فرض ثبوت الخبر- أنه محيط به، وليس فيه سماعه لكلام ربه تعالى من جميع جهاته، وليس فيه كذلك سماعه =

ولقائل أن يقول قوله "تكرير الضمير في ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠﴾ لتأكيد..." إلى آخره، لا يعيِّنُ أن تكون ﴿أَنَا۠﴾ تأكيداً للياء، بل يجوز أن يكون التأكيد الذي ذكره مع كون ﴿أَنَا۠﴾ مبتدأً أو فصلاً.

وقد اختلف الناس في العلم الذي حصل عند موسى عليه السلام بأن المنادي له هو الله تعالى: هل هو علم ضروري أو استدلالي؟ فذهب أهل السنة[1] إلى أنه علم ضروري خلقه الله تعالى فيه، وذهب المعتزلة إلى أنه استدلالي نظري، قالوا: ولا يجوز أن يكون ضرورياً؛ لأن ذلك ينافي التكليف.

ثم اختلف المعتزلة في ذلك الدليل، فقال بعضهم: هو معجزة معينة، وهو ظاهر قول الزَّمَخْشَرِي المتقدم، مِن كونه سمعه من جهاته الست، وبجميع أعضائه، وقال آخرون: لا يلزم أن يعرف ذلك المعجز[2].

وقوله ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ اختلف المفسرون في المعنى الذي لأجله أمر نبي الله بخلع نعليه، فالذي عليه الأكثر أنه أمر بذلك لنجاستهما؛ فإنهما كانتا من جلد حمار ميت لم يدبغ، وإليه ذهب عِكْرِمة[3]، والسُّدِّي، وقتادة،

= لكلام ربه تعالى بجميع جوارحه. والله أعلم.

(١) مراده بأهل السنة ما اشتهر في عصره من إطلاق هذا اللقب على الأشاعرة.

(٢) انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٦، وروح المعاني ٨/ ٤٨٣.

(٣) هو عكرمة البربري أصلاً، القرشي ولاءً، أبو عبد الله، مولى ابن عباس، ثقة ثبت عالم بالتفسير، مات سنة ١٠٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ١٢، وتقريب التهذيب (٤٧٠٧) ص٦٨٧، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٣٨٦.

والكَلْبِي، ومُقاتِل، والضَّحَّاك[١].

ويؤيده ما ثبت في جامع الترمذي[٢] عن النبي ﷺ قال:"كان على موسى يوم كلمه ربه كساء صوف، وجبة صوف، وكُمَّة صوف، وسراويل صوف، وكانت نعلاه من جلد حمار ميت". قال:"هذا حديث غريب، والكُمَّة: القَلَنْسُوَة الصغيرة"[٣]، وعلى هذا فأمر بخلعهما تنزيهاً لتلك البقعة الشريفة.

وقال آخرون: أمر بذلك تعظيماً وتوقيراً للحال، كما يدخل على الملوك[٤].

وقيل: تبركاً، وتعظيماً للبقعة، وإن كانتا طاهرتين، قال إِلْكِيَا

---

(١) انظر أقوالهم في: تفسير مقاتل ٣/ ٢٢، وتفسير الطبري ٨/ ٣٩٧، والبحر المحيط ٦/ ٢١٦.

(٢) هو محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي، بكسر التاء والميم على المشهور، وقيل غير ذلك، نسبة إلى ترمذ، بلد على طرف نهر جيحون (أموداريه)، أبو عيسى، صاحب الجامع، أحد الأئمة ثقة حافظ، توفي سنة ٢٧٩هـ. انظر: الأنساب ١/ ٤٥٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٠، وتقريب التهذيب (٦٢٤٦) ص٨٨٦.

(٣) القائل هو الترمذي، وزاد "وحميد (أحد الرواة) هو ابن علي الكوفي، منكر الحديث"، وقد خرَّج الحديث في سننه، كتاب اللباس عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لبس الصوف، رقم الحديث (١٧٣٤) ص ٤٠٤، وقال الطبري في تفسيره ٨/ ٣٩٧ عن هذا الحديث:"ولو كان الخبر الذي حدثنا به بِشر ... صحيحاً لم نعده إلى غيره، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه"، وقال الألباني في تعليقه على السنن:"ضعيف جداً".
وأما القَلَنْسُوة فهي: لباس للرأس، مختلف الأنواع والأشكال. انظر: القاموس المحيط ص ٥٦٧ (ق ل س)، والمعجم الوسيط ص ٧٥٤ (ق ل س).

(٤) انظر: المحرر الوجيز ٤/ ٣٩.

الطبري[1]:"يحتمل أن يكون الأمر به تعبداً، تبركاً بالموضع، ليمسه وقدماه حافيتان"، قال:"وقد قيل: كان ذلك من جلد حمار ميت غير مدبوغ، فأمره بخلعه؛ لأنه لم يكن مدبوغاً، أو كان مدبوغاً ونجساً مع الدبغ في شريعة موسى عليه السلام، ثم نسخ في شريعتنا"[2].

وقيل: كانتا من جلد بقرة مذكاة، وإنما أمر بالخلع لتناله بركة ذلك المكان[3].

وقال الزَّمَخْشَرِي:"وقيل: لأن الحفوة تواضع لله تعالى، ومن ثَّم طاف السلف بالكعبة حافين، ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه، وكان إذا ندر منه الدخول منتعلاً تصدق، والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة، وتعظيم لها، وتشريف لقدسها"[4]. انتهى.

والذي يدل عليه السياق والنظم أن الأمر بالخلع إنما كان ليعظِّم تلك الحال التي اتفقت لموسى عليه[5] من خطابه ثَمَّ، ويدل على ذلك أنه عطفه بالفاء – فقال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ﴾ – المؤذنةِ بالترتيب، أي تَرَتَّبَ على ذلك أن يُعظِّم تلك الحال ومكانها بخلع ما جرت العادة بخلعه عند الدخول على

(١) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن علي الطبري الهَرَّاسي، من أعلام الشافعية، برع في الفقه والأصول، يلقب بـ(إِلْكِيَا)، وهي لفظة فارسية، ومعناها: المقدم في قومه، توفي سنة ٥٠٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٥٠، وطبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٢٣١، وطبقات الشافعيين لابن كثير ٢/ ٥٢٨.

(٢) أحكام القرآن ٤/ ٢٢٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٩٧، والهداية ٧/ ٤٦١٨.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٣.

(٥) كذا في الأصل، ولعل صوابها: عليه السلام.

العظماء والملوك، حتى لو كانتا من إِبْرِيسَم[١]، بل من أنفس الأشياء كان جديراً بخلعهما.

يروى أنه عليه السلام لسرعة امتثاله لأمر ربه، ومبادرته لسلوك طرق الأدب لاستماع ربه - كما هو دأب الأنبياء - رمى بهما، فبلغا وراء الوادي[٢]، ويدل عليه أيضا قوله بعده ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ فإن ظاهره العلة للأمر بذلك.

والخلع: تنحية الشيء، وإزالته عن مقره[٣]، ومنه: الخليع، لمن فيه مهانة، كأنه خلع ثوب حيائه[٤]، وقولهم: خلع عليه، أي: كساه خِلعة، إنما قيل ذلك لأنه على قدر إفادته[٥].

والنعل معروفة، وهي ما تلبس في الرجل لتقيها من الأرض، جلداً كانت أو غيره، وهي مؤنثة، قال:

---

(١) الإبريسَم: الحرير، أو أحسن الحرير. انظر: القاموس المحيط ص ١٠٧٩ (ب ر س م)، والمعجم الوسيط ص ٢ (إبريسم).

(٢) لم أقف على قائل هذا القول، وانظره - غير منسوب إلى قائل - في: معالم التنزيل ٣/ ١١٦، والكشاف ٣/ ٥٣، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥٨، والبحر المحيط ٦/ ٢١٧.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٠٩ (خ ل ع).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث ص ٢٨٠ (خ ل ع)، ولسان العرب ٤/ ١٨٠ (خ ل ع)، ويطلق لفظ الخليع على معنى أشهر من ذلك عند العرب، وهو: من تبرأ من جريرته وليُّه فلا يطالَب بها. انظر: القاموس المحيط ص٧١٣ (خ ل ع)، والمعجم الوسيط ص٢٥٠ (خ ل ع).

(٥) الأقرب أنه سمي بذلك لأنهم كانوا في الأصل يخلع أحدهم ثوبه ليكسوه من يخلع عليه. انظر: أساس البلاغة ١/ ٢٦٢ (خ ل ع).

أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كَيْ يُخَفِّفَ رَحْلَهُ والــزَّادَ حتــى نَعلُــهُ أَلْقاهــا[1]

وانتعل: لبس النعل، قال:

في فِتْيةٍ كَسُيوفِ الهِنْدِ قَد عَلِموا أنْ هَالِكٌ كُلَّ مَن يَحْفَى ويَنْتَعِلُ[2]

وبه شُبِّه نعلُ السيف للحديدة التي في أسفله[3]، وفي الحديث:"كان نعل سيفه..."[4].

والنعل أيضاً: الأرض الغليظة، وفي الحديث:"إذا ابتلت النعال فصلوا في الرحال"[5]، وقيل: هي النعال المعروفة[6].

---

(١) ينسب هذا البيت للمتلمس حين كتب له عمرو بن هند ولطرفة كتابين ظناهما جائزة وفيهما حتفهما، ففر المتلمس وقال في فراره هذا البيت، وينسب أيضاً لمروان النحوي أو أبي مروان النحوي. انظر: ديوان المتلمس ص ٣٢٦، ٣٢٧، ومعجم الأدباء ٥/ ٥٠٣، وخزانة الأدب ٣/ ٢٢.

(٢) البيت للأعشى في معلقته. انظر: ديوانه ص ٥٩، وشرح القصائد العشر ص ٣٣٨.

(٣) انظر: شرح السيوطي على سنن النسائي (مطبوع بحاشية سنن النسائي) ٨/ ٦١٠، وأساس البلاغة ٢/ ٢٨٦ (ن ع ل).

(٤) رواه النسائي في سننه، كتاب الزينة، باب حلية السيف، رقم الحديث (٥٣٧٤) ص ٨٠٧، ولفظه:"كان نعل سيف رسول الله ﷺ من فضة، وقبيعة سيفه فضة، وما بين ذلك حلق فضة"، وصححه الألباني في تعليقه عليه.

(٥) قال ابن الملقن عن هذا الحديث:"ولم أجده بعد البحث عنه كذلك في كتاب حديث". البدر المنير ٤/ ٤١٩، وقال ابن حجر:"وأما اللفظ الذي ذكره المصنف فلم أره في كتب الحديث ... وقال الشيخ تاج الدين الفزاري: لم أجده في الأصول، وإنما ذكره أهل العربية". التلخيص الحبير ٢/ ٨٠.

(٦) انظر القولين في معنى "النعال" الواردة في هذا الخبر في البدر المنير ٤/ ٤٢٥، وشرح =

وقوله ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ هذا علة لأمره بخلع نعليه[١]، وقد تقدم أن الظاهر من ذلك التعظيم للحال ومكانها، لا لنجاسة النعلين، والوادي: ما بين الجبلين[٢]، وقد تقدم[٣]، و﴿ٱلْمُقَدَّسِ﴾: المطهر: طُهِّر من عبادة الأوثان وقاذورات المشركين[٤].

وقوله ﴿طُوًى﴾ هو اسم لذلك الوادي، علمٌ له، كوَجٍّ[٥]، وعُمَان[٦].

وفي هذا الحرف قراءات كثيرة، و[...][٧] جاء فيه خلاف كثير،

= سنن أبي داود للعيني ٤/ ٣٨٠، والنهاية في غريب الحديث ص ٩١٣ (ن ع ل).

(١) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٩٧.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٦٢، والقاموس المحيط ص ١٣٤٢ (و د ي).

(٣) ورد ذكر الوادي في القرآن الكريم – حسب ترتيب المصحف – في موضعين قبل هذا الموضع، أحدهما في سورة التوبة ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ (الآية: ١٢١)، وتفسير سورة التوبة غير موجود من هذا الكتاب، والموضع الآخر في سورة إبراهيم ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ (الآية: ٣٧)، وقد قال عند تفسير هذا الموضع :"وقد تقدم تحقيقه". انظر اللوحة ١٣٤ من الجزء السادس من المخطوط.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٩٨، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٥٩.

(٥) وَجٌّ: هو وادي الطائف، كان في شرقه قديماً، وقد دخل اليوم في العمران، وهو معروف بهذا الاسم اليوم، غير أنهم يلفظوها بكسر الواو. انظر: الروض المعطار ص ٦٠٨، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٣٣١.

(٦) عمان دولة مشهورة من دول الجزيرة العربية، ولم يشتهر كون هذه التسمية تطلق على واد فيها، إلا أنها وردت في بعض أشعار العرب. انظر: معجم البلدان ٣/ ٣٤٨، ٣٧٣، ٣٧٤، والروض المعطار ص ٣١٢، ٣١٤.

(٧) كلمة لم أستطع قراءتها.

فاثنتان في السبع، وهما ﴿طُوًى﴾ بضم الطاء، منصرفاً، وغير منصرف، فالكوفيون وابن عامر[1] نونوا، والباقون لم ينونوا[2]، والحسن، والأعْمش، وأبو حَيْوَة[3]، وابن مُحَيْصِن[4]: بكسر الطاء والتنوين، وأبو زيد[5] عن أبي عمرو: بكسرها دون تنوين، وعيسى بن عُمر[6]، والضحاك: (طاوي اذهب)[7].

---

(١) هو عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي الدمشقي، أبو عمران، مقرئ الشام، وأحد القراء السبعة، قيل: ولد سنة ثمان من الهجرة، كان إمام الجامع بدمشق، وولي القضاء بها، توفي سنة ١١٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٩٢، وغاية النهاية ١/ ٤٢٣.

(٢) انظر: تحبير التيسير ص ١٤٣.

(٣) هو شريح بن بن يزيد الحمصي الحضرمي، مقرئ الشام، له اختيار في القراءة، توفي سنة ٢٠٣هـ. انظر: تهذيب الكمال ١٢/ ٤٥٥، وغاية النهاية ١/ ٣٢٥.

(٤) هو محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمي ولاء، المكي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ممن قرأ عليه: أبو عمرو، وعيسى بن عمر، كان له اختيار في القراءة، وترك لمخالفته رسم المصحف، توفي سنة ١٢٣هـ أو نحوها. انظر: معرفة القراء الكبار ١/ ٨١، وغاية النهاية ٢/ ١٦٧.

(٥) هو سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن صاحب رسول الله ﷺ أبي زيد ثابت بن زيد الأنصاري، وهو -أعني ثابتاً- أحد من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ، وسعيد يكنى أبا زيد، قال عنه الذهبي: "حجة العرب"، وكان من أعلم أهل زمانه بالنحو واللغة، وكان يقول: "كل ما قال سيبويه: أخبرني الثقة، فأنا أخبرته"، مات سنة ٢١٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٩٤، وغاية النهاية ١/ ٣٠٥.

(٦) هو الثقفي البصري، أبو عمر، إمام في النحو، له اختيار في القراءة على مذاهب العربية خالف قراءة العامة، مات سنة ١٤٩هـ أو بعدها. انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠٠، وغاية النهاية ٢/ ٦١٣.

(٧) مضى توثيق القراءتين المتواترتين في أول السياق، أما بقية القراءات، فانظرها منسوبة إلى =

فأما من نوَّنَ فصرفه باعتبار المكان، ومن لم ينونه فمنعه باعتبار البقعة، هذا القول الجملي فيه.

وأما التفصيلي فنقول: من ضم الطاء ونونه فإنه صرفه باعتبار المكان، ومن لم ينونه فإنه يحتمل أن يكون منعه باعتبار العلمية والتأنيث، أي: تأنيث البقعة، ويحتمل أنه عنده معدول، كعمر، وزفر، ويحتمل أنه عنده أعجمي[1].

وأما المكسور الطاءِ المنونُ فهو لغة فيه، ونوَّنَه باعتبار المكان[2]؛ وعن الحسن أنه بمعنى: الثِّنَى، بالكسرة، والقصر، ومعناه: الشيء المكرر مررتين، فالمعنى: نودي مرتين، أو قدس الوادي مرتين[3]؛ وجوَّز الراغِب[4] فيه والحالة هذه الفتحَ والكسرَ، كالثِّنَى؛ فإن فيه الوجهين، وعلى هذا فيكون مصدراً[5]، ومن لم ينونه فباعتبار البقعة أو العجمة[6].

= من قرأ بها في: مختصر في شواذ القرآن ص ٨٧، والكامل ص ٥٩٧، والبحر المحيط ٦/ ٢١٧.

(١) انظر هذه التوجيهات لهذه القراءات في: إعراب القرآن للنحاس ص ٥٣٥، ٥٣٦، والبحر المحيط ٦/ ٢١٧.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥١، والكشاف ٣/ ٥٣.

(٣) انظر قول الحسن وتفسيره في: تفسير الطبري ٨/ ٣٩٩، ومعاني القرآن للنحاس ص ٥٣٥، ٥٣٦، والبحر المحيط ٦/ ٢١٧.

(٤) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم، تميز في عدد من الفنون، وهو صاحب "مفردات ألفاظ القرآن"، توفي سنة ٥٠٢هـ أو نحوها. انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٢٠، والوافي بالوفيات ١٣/ ٢٩، والأعلام ٢/ ٢٥٥.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٣٤ (ط و ى).

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥٢، والكشاف ٣/ ٥٣.

وقال قُطْرُب[1]: طوى: بمعنى ساعة من الليل، والمعنى: قدس ليلاً، أو نودي ليلاً، وعلى هذا فهو ظرف منصوب بالمقدس، أو بالنداء[2]؛ فإذا قلنا بالمشهور من أنه علم للوادي فيجوز فيه: أن يكون بدلاً من الوادي، أو عطفَ بيان له، أو منصوباً بإضمار (أعني)، أو مرفوعاً خبراً لمبتدأ مضمر[3].

وأما قراءة (طاوي اذهب) فيجوز أن يكون علماً للوادي أيضاً، ولم ينوَّن باعتبار تأنيث البقعة[4]، ويجوز أن يكون (طاوياً) اسمَ فاعل من (طوى، يطوي)، أي: واصل صومه، وكان من حقه أن ينونه، غير أنه حذف تنوينه لالتقاء الساكنين، وانتصابه على الحال، والعامل فيه ﴿ٱذۡهَبۡ﴾، فقدم عليه[5]، وفي هذه القراءة زيادة على خط المصحف.

وقوله ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ يالها من بشارة جسرته على لقاء أعدائه مع

---

(١) هو محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، لقبه شيخه سيبويه بقطرب لتبكيره إليه سَحَراً، فقال له: ما أنت إلا قطرب ليل، وهي دويبَّة تدِبُّ ولا تفتر، وهو أحد أئمة النحو واللغة، معتزلي المعتقد، وله مؤلفات، توفي سنة ٢٠٦هـ ببغداد. انظر: معجم الأدباء ٥/ ٤٤٥، وإنباه الرواة ٣/ ٢١٩.

(٢) انظر قول قطرب في: البحر المحيط ٦/ ٢١٧.

(٣) والأوجه من هذه الوجوه أن يكون بدلاً أو عطف بيان. انظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٢، والدر المصون ٨/ ١٧، وتفسير ابن كثير ٥/ ٢٧٣، وروح المعاني ٨/ ٤٨٤.

(٤) انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٧.

(٥) لم أجد من ذكر هذا التوجيه لهذه القراءة، وقد قال التستري في تفسير قول الله تعالى ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات:١٦] – على القراءة المشهورة –:"جوع موسى نفسه طاوياً عابداً لله تعالى، ثم ناداه ربه ليكون إليه أبلغ". تفسير التستري ص١١٥.

كثرتهم وجبروتهم، وحركت من نشاطه وجده في عبادة ربه، وتشمير ساعده في تبليغ ما أرسل به، أي: اخترتك من خلقي لرسالتي وكلامي، كقوله تعالى ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وقرأ حمزة ﴿وأَنَّا﴾ بفتح الهمزة، بضمير المتكلم المعظم نفسه، ﴿اخترناك﴾ بضمير المتكلم المعظم نفسه أيضاً، عطفاً على قوله ﴿أني أنا ربك﴾، لأنه من أهل فتح الهمزة هناك[1].

وجوز أبو البقاء أن يكون الفتح على تقدير: ولأنا اخترناك فاستمع، فعلقه بـ(استمع)[2]، والأول أولى؛ لتبادر الفهم إليه.

والباقون ﴿وَأَنَا﴾ بضمير المتكلم وحده ﴿ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ بتاء المتكلم[3].

والسُّلَمي[4] والأعْمش كحَمْزة، غير أنهما كسرا الهمزة استئنافاً.

---

(١) قرأ حمزة هنا بما وصف المؤلف، غير أنه لم يقرأ في قوله تعالى (إني أنا ربك) بفتح الهمزة كما قاله المؤلف، بل قرأ بكسرها على ما في البحر المحيط ٦/ ٢١٦، والنشر ٢/ ٢٤٠، وغيرهما، وبالتالي فلا يصح هذا التوجيه الذي ذكره المؤلف لقراءة حمزة؛ وإنما قرأ بالفتح ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر، كما في المصادر السابقة، وقد تابع المؤلف على ما قاله ابن عادل في اللباب ١٣/ ١٩٣، وقد نبه على هذا محقق الدر المصون ٨/ ١٨ (الحاشية).

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١١٩.

(٣) انظر: الحجة لأبي علي الفارسي ٣/ ١٣٥، ١٣٦، والنشر ٢/ ٢٤٠.

(٤) هو أبو عبدالرحمن، عبدالله بن حبيب بن رُبَيِّعة الكوفي، ولد في حياة النبي ﷺ، وهو من أولاد الصحابة، مقرئ الكوفة، قرأ على عثمان، وعلي، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأُبَيٍّ، رضي الله عنهم أجمعين، ثبت في القراءة، أقرأ الناس في الجامع أربعين سنة، توفي سنة ٧٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٧، وغاية النهاية ١/ ٤١٣، وتقريب التهذيب (٣٢٨٩) ص ٤٩٩.

وأُبَيٌّ (وأني اخترتك) بتاء المتكلم مع فتح الهمزة، ووجهها كوجه قراءة حمزة، وقد تقدم أن فيه تخريجين[1].

والمفعول الثاني للاختيار محذوف، أي: اخترتك من قومك، أو من الناس[2].

وقوله ﴿فَٱسْتَمِعْ﴾ رتب الأمر بالاستماع على تلك البشارة السنية، أي: حق لمثلك أيها المختار أن يستمع ويعي لما يوحيه الله الذي اختاره من الناس إليه[3]، والمعنى: استمع استماع واع له، آخذ له بالجد[4]، كقوله ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢]، وليس المراد الأمر بمجرد الاستماع، كقوله ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ [البقرة:٩٣].

وقوله ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ أي: كن مستمعاً لما يوحيه الله إليك، فبلغه لمن أرسلت به إليه، واعمل بما فيه[5].

والظاهر تعلق ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ بـ(استمع)، وجوز الزَّمَخْشَرِي تعلقه بـ﴿ٱخْتَرْتُكَ﴾، فقال: "تعلق اللام بـ(استمع) أو بـ﴿ٱخْتَرْتُكَ﴾"[6].

---

(١) انظر قراءة السلمي والأعمش وأبي رضي الله عنه وتوجيهها في البحر المحيط ٦/ ٢١٧، وروح المعاني ٨/ ٤٨٥، مع ملاحظة التنبيه على عدم صحة الوجه الأول في التوجيه لقراءة حمزة، وإنما يصح توجيهاً لقراءة من قرأ بفتح الهمزة في الموضعين.

(٢) انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٧.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ٦/ ٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٤٠٠، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٤٠٠.

(٦) الكشاف ٣/ ٥٣.

ورده الشيخ، فقال: "ولا يجوز تعلقه بـ﴿ٱخۡتَرۡتُكَ﴾؛ لأنه من باب الإعمال، فيجب -أو يُختار- إعادة الضمير مع الثاني، فكان يكون: فاستمع له لما يوحى؛ فدل على أنه من باب إعمال الثاني". انتهى[١].

وفي رده نظر من وجهين، أحدهما: أنا لا نسلم أن الزَّمَخْشَرِي يجعل ذلك من التنازع، بل يعلقه إما بهذا وإما بهذا على سبيل البدل، وهو ظاهر كلامه؛ الثاني: ذلك[٢]، ولكنه يعني تعلقه به من حيث المعنى لا من حيث الصناعة.

و(ما) مصدرية، أي: للوحي، أو بمعنى (الذي)، أي: للذي يوحى، ذكرهما الزَّمَخْشَرِي[٣]، وفي الأول نظر من حيث إن (ما) المصدرية حرف لا يعود عليها ضمير عند الجمهور[٤]، و﴿يُوحَىٰٓ﴾ لا بد فيه من ضمير قائم مقام الفاعل، وهو عائد على (ما).

وحسَّن بناء هذا الفعل للمفعول مع العلم بفاعله كونه فاصلة.

قال أبو الفضْل الجَوهري[٥]: "لما قيل لموسى -على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام-: ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ وقف على حجر، واستند لحجر،

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٢١٧.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) الكشاف ٣/ ٥٣.

(٤) انظر: مغني اللبيب ص ٣٣٥، ٣٣٦.

(٥) هناك أكثر من علم ممن تكنى بأبي الفضل، ولقبه الجوهري، ولعل المراد منهم: واعظ عصره، عبدالله بن الحسين، الجوهري، أو ابن الجوهري، توفي في شوال سنة ٤٨٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٩٥.

ووضع يمينه على شماله، وألقى ذقنه على صدره، ووقف يستمع، وكان كل لباسه صوفاً"[1].

قال وهب: "أدب الاستماع: سكون الجوارح، وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على الفعل، فذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى"[2].

وقوله ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ هذه الجملة المتضمنة للتوحيد وما بعدها مفسِّرة لما أبهم في قوله تعالى ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[3]، وفي الإيضاح والتفسير بعد الإبهام ما لا يخفى من البراعة في الكلام، فكأنه قيل: الذي يوحى إليه هو هذا الكلام.

والأوجُه في ﴿أَنَا۠﴾ من قوله ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ جائيةٌ هنا[4].

وقوله ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ قيل: معناه: وحدني، كقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، أي: ليوحدون[5]، وكأن هذا القائل ذهب إلى ذلك لأن قوله ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هو في معنى: اعبدني، إذ هي جُلُّ العبادة، وهذا غير لازم؛ فإن العبادة تشمل إقامة الصلاة وغيرها

---

(١) روى هذا الخبر ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٩ عن أبيه عن أبي الفضل الجوهري، وانظر أيضاً: البحر المحيط ٦/ ٢١٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٠، وروح المعاني ٨/ ٤٨٥.

(٣) انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٧، والتحرير والتنوير ١٦/ ١٠٥.

(٤) فيجوز أن تكون مبتدأ، أو ضمير فصل، أو توكيداً. وقد تقدم ذلك ص (١٧٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٤٠٠، والبحر المحيط ٦/ ٢١٧، وتفسير ابن كثير ٥/ ٢٧٣.

من وجوه العبادات، فأتى أولاً بما يشمل إقامة الصلاة وغيرها، ثم ذكر بعض ما اشتمل عليه ذلك اللفظ [منبهة][(١)] إلى شرفه وفضله، فهو في المعنى كقوله ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [البقرة:٩٨]، لأن الصلاة أشرف عبادة البدن، وعليها تترتب السعادة الأخروية والدنيوية[(٢)].

وقوله ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ قد تقدم معنى إقامة الصلاة، والألف واللام في ﴿ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ للعهد.

وقوله ﴿لِذِكۡرِيٓ ﴾ فيه أوجه، وذلك يترتب على إضافة المصدر لماذا؟، وفيه وجهان: أحدهما: أنه لمفعوله، والثاني: مضاف لفاعله.

فإن قلنا بالأول ففيه أوجه، أحدها: أن معناه: لتذكرني، فإن ذكري أن أُعبد، ويصلى لي.

الثاني: وإليه نحا مجاهد، أي: لتذكرني فيها[(٣)]، لاشتمال الصلاة على الأذكار.

الثالث: معناه: لذكري خاصة، لا تشوبه بذكر غيري.

الرابع: معناه: لإخلاص ذكري، وطلب ثوابي، لا ترائي بها، ولا تقصد بها غرضاً آخر.

الخامس: أن معناه: لتكون لي ذاكراً غير ناس، فعلَ المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم، وتوكل هممهم وفكرهم به، كما قال: ﴿لَّا

(١) غير واضحة في الأصل، وأقرب ما تكون إليه كما أثبتها، وفي السياق غرابة.

(٢) انظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٧، وفتح القدير ٣/ ٤٩٣.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ٨/ ٤٠٠ عن مجاهد بلفظ "إذا صلى ذكر ربه".

تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٣٧].

السادس: أن معناه: لأوقات ذكري، وهي مواقيت الصلاة، كقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣].

وإن قلنا بالثاني ففيه معنيان: أحدهما: لأني ذكرتها في الكتب، وأمرت بها.

والثاني: أن معناه: لأن أذكرك بالمدح والثناء، وأجعل لك لسان صدق. قال ذلك كله الزَّمَخْشَرِي، غير أني قدمت وأخرت، وزدت ألفاظاً للإيضاح[1].

والشيخ سامحه الله اشتبه عليه كلام الزَّمَخْشَرِي، فأدخل أحد القسمين في الآخر؛ لأنه لم [...][2] ما كتب، بل نقله نقل المسطرة، غير أنه ذكر القسمين؛ فجاء الخطأ، وها هو لفظ كلامه، قال:"والذكر مصدر، يحتمل أن يضاف إلى الفاعل، أي: لتذكرني؛ فإن ذكري أن أعبد ويصلى لي، أو لتذكرني فيها؛ لاشتمال الصلاة على الأذكار، أو لأني ذكرتها في الكتب، وأمرت[3]؛ ويحتمل أن يضاف إلى المفعول، أي: لأن أذكرك بالمدح والثناء، وأجعل لك لسان صدق، أو لأن تذكرني خاصة، لا تشوبه بذكر غيري، أو لإخلاص ذكري، وطلب وجهي، لا ترائي بها، ولا تقصد غرضاً آخر، أو لتكون لي ذاكراً غير ناس، فعلَ المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم،

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٣، ٥٤. وانظر: الهداية ٧/ ٤٦٢١، ٤٦٢٢، وروح المعاني ٨/ ٤٨٥، ٤٨٦.

(٢) موضع كلمة مطموسة في الأصل.

(٣) في البحر المحيط:[وأمرت بها].

وتوكيلِ هممهم وأفكارهم به، كما قال: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٣٧]، أو لأوقات ذكري، وهي مواقيت الصلاة، كقوله ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣]"[1]. انتهى.

وهذا هو لفظ الزَّمَخْشَرِي برمته إلا قوله:"والذكر مصدر، يحتمل أن يضاف إلى الفاعل، وأن يضاف إلى المفعول"[2].

(١) البحر المحيط ٦/ ٢١٧.

(٢) فالزمخشري سرد هذه الأقوال سرداً بغض النظر عن تقسيمها بحسب إضافتها إلى فاعلها أو إلى مفعولها، فلما قسمها أبو حيان إلى قسمين، وسرد الأقوال على ترتيب الزمخشري للأقوال أدخل في القسم الأول ما ليس منه فقال:"يحتمل أن يضاف إلى الفاعل، أي: لتذكرني؛ فإن ذكري أن أعبد ويصلى لي"، وهذا ليس من إضافته إلى فاعله، بل من إضافته إلى مفعوله، فإن الله هو المعبود والفاعل هو موسى عليه السلام الذي يذكر الله تعالى.
وبهذا ينتهي الموجود من تفسير سورة طه من كتاب القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ثبت المصادر والمراجع

- أبجد العلوم، لصديق بن حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، ت: أحمد شمس الدين، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، لأبي شامة عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٦٦٥هـ)، ت: محمود عبدالخالق جادو، ١٤١٣هـ.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لأحمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي البناء (ت ١١١٧هـ)، ت: أنس مهرة، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، ت محمد شريف سكر، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، دار إحياء العلوم، بيروت.
- أحكام القرآن لعماد الدين بن محمد الطبري المعروف بإلكيا الهراس (ت ٥٠٤هـ)، ت: موسى محمد علي ود. عزت علي عيد، مطبعة حسان، القاهرة.
- إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لإبراهيم بن محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٦٧هـ)، ت: د. محمد بن عوض السهلي، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، من منشورات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد بن

محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، ط٤، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- أساس البلاغة، لمحمود بن عمر الزَّمَخْشَرِي (ت ٥٣٨هـ)، ت: محمد باسل عيون السود، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أسباب نزول القرآن، لعلي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، ت: أحمد صقر، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، دار القبلة.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، اعتنى به محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، لإبراهيم بن محمد بن عربشاه الحنفي (ت ٩٤٣هـ)، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- إعراب القرآن، لأحمد بن محمد النحاس (ت ٣٨٨هـ)، ت:د. زهير غازي زاهد، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨، عالم الكتب، بيروت.
- الأعلام، لخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، ط١٥، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت.
- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، لمحمد راغب بن محمود الطباخ الحلبي (ت ١٣٨٩هـ)، ط١، ١٣٤٤هـ-١٩٢٥م، المطبعة العلمية، حلب.
- أعيان العصر وأعوان النصر، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

(ت ٧٦٤هـ)، ت: د. علي أبو زيد وآخرين، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، دار الفكر، دمشق.

- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، ط١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت٦٢٤هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، دار الفكر العربي، القاهرة.
- الأنساب، لأبي سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، ت: عبدالله عمر البارودي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار الجنان، بيروت.
- البحر الزخار (مسند البزار)، لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار (ت ٢٩٢هـ)، ت: د. محفوظ الرحمن زين الله، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي (ت ٧٤٥هـ)، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأحمد بن محمد ابن عجيبة الحسني (ت ١٢٢٤هـ)، ت: عمر أحمد الرواي، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، ت: عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون، ط٧، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، دار

المعرفة، بيروت.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، لسراج الدين أبي حفص عمر بن علي ابن الملقن (ت ٨٠٤هـ)، ت: مصطفى أبو الغيط وآخرين، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار الهجرة، الرياض.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان (ت ١٣٧٥هـ)، أشرف على ترجمته: أ.د. محمود فهمي حجازي، ١٩٩٣هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، لمحمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ)، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، لعبد الله بن يوسف الزيلعي (ت٧٦٢هـ)، ت: سلطان بن فهد الطبيشي، ط١، ١٤١٤هـ، دار ابن خزيمة، الرياض.
- التفسير الصحيح (الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور)، لحكمت بن بشير ياسين، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار المآثر، المدينة.

- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، ت: أ.د. حكمت بن بشير ياسين، ط١، ١٤٣١هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.
- تفسير القرآن العظيم، لسهل بن عبدالله التستري (ت ٢٨٣هـ)، دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٤هـ)، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير القرآن، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، ت: مصطفى مسلم، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، مكتبة الرشد، الرياض.
- تفسير مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠)، ت: د. عبدالله محمود شحاته، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، مؤسسة التاريخ العربي - دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ت: أبي الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، ط١، ١٤١٦هـ، دار العاصمة، الرياض.
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ت: حسن بن عباس بن قطب، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، مؤسسة قرطبة، مصر.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن المزي (ت٧٤٢هـ)، ت: بشار عواد معروف، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)،

ط٣، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت.

- جامع الرسائل، لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، ت:د.محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار العطاء، الرياض.
- الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، ط٤، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي (ت٣٢٧هـ)، ط١، ١٢٧١هـ -١٩٥٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، ١٤١٧ه-١٩٩٧م، دار ابن الجوزي، الدمام.
- جمهرة الأمثال، لأبي هلال الحسن بن عبدالله العسكري (ت ٤٢٠هـ)، ت: د. أحمد عبدالسلام ومحمد سعيد بن بسيوني زغلول، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- جمهرة أنساب العرب، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف.
- جمهرة نسب قريش وأخبارها، للزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ)، ت: محمود محمد شاكر، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، دار اليمامة.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المكتبة الجديدة، القاهرة.

- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الحسين بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، ت: كامل مصطفى الهنداوي، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، ت: عبدالسلام محمد هارون، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، ت: د. أحمد الخراط، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، دار القلم، دمشق.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- درة التنزيل وغرة التأويل، لمحمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ)، ت: د. محمد مصطفى آيدين، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، من منشورات جامعة أم القرى.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار الجيل، بيروت.
- الدعوات الكبير، لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، ت: بدر بن عبدالله البدر، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م، غراس، الكويت.

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقـي (ت ٤٥٨هـ)، ت: د. عبـدالمعطي قلعجـي، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ديوان أبي الطيب المتنبي (مع شرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان)، ت: مصطفى السقا وآخرين، دار الفكر.
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، ت: محمد محمد حسين.
- ديـوان الحـارث بـن حِلِّـزة، جمـع وتحقيـق: اميـل بـديع يعقـوب، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ديوان شعر المتلمس الضبعي، رواية الأثـرم وأبي عبيـدة عـن الأصـمعي، ت: حسن كامـل الـصيرفي، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، مـن منشورات معهـد المخطوطات العربية.
- ديوان زيد الخيل الطـائي، جمع ودراسـة وتحقيـق: د. أحمـد مختـار البـزرة، ط١، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م، دار المأمون للتراث، دمشق.
- ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي وأخباره، ليحيـى بـن مـدرك الطـائي (ت هـ)، ت: د. عـادل سـليمان جمـال، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، مكتبـة الخانجي، القاهرة.
- ديوان شعر الإمام أبي بكر بن دريد الأزدي، جمع ودراسة وتحقيق: محمـد بدر الدين العلوي، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م، مطبعـة لجنـة التـأليف والترجمـع والنشر، القاهرة.
- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، لمحمـد بـن أحمـد بـن عـلي الحـسني الفـاسي (ت ٨٣٢هــ)، ت: كـمال يوسـف الحـوت، ط١، ١٤١٠هـ-

١٩٩٠م، دار الكتب العلمية.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي (١٢٧٠هـ)، ت: علي عبد الباري عطية، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميري (ت ٩٠٠هـ)، ت: إحسان عباس، ط٢، ١٩٨٠م، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار ابن حزم، بيروت.
- الزهد لأحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، دار الريان، القاهرة.
- سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، ت: د. حسن هنداوي، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار القلم، دمشق.
- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، مكتبة المعارف، الرياض.
- سنن الترمذي (جامع الترمذي)، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، مكتبة المعارف، الرياض.
- سنن النسائي(المجتبى)، لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، حكم

على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، مكتبة المعارف، الرياض.
- سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبدالحي ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٢هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لعبد الله بن عقيل العقيلي (ت٧٦٩هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، المكتبة العصرية، بيروت.
- شرح أبيات مغني اللبيب، لعبدالقادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، ت: عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٨م، دار المأمون للتراث، دمشق.
- شرح الأبيات المشكلة الإعراب أو كتاب الشعر، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، ت: د. محمود محمد الطناحي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- شرح السيوطي على سنن النسائي، لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، (مطبوع بحاشية سنن النسائي)، ت: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، ط٦، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار المعرفة، بيروت.
- شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (ت٧٩٢هـ)، ت: أحمد محمد شاكر، ١٤١٨هـ، طبع وزارة الشؤون

الإسلامية والأوقاف بالمملكة العربية السعودية.

- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد بن صالح بن عثيمين (ت ١٤٢١هـ)، ت: سعد بن فواز الصميل، ط٦، ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي.
- شرح القصائد العشر، ليحيى بن علي التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، ت: عبد السلام الحوفي، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح الكافية الشافية، لمحمد بن عبدالله بن مالك (ت ٦٧٢هـ)، ت: د.عبدالمنعم أحمد هويدي، دار المأمون للتراث.
- شرح المعلقات السبع، لحسين بن أحمد الزوزني (٤٨٦هـ)، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي.
- شرح سنن أبي داود، لبدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت٨٥٥هـ)، ت: خالد بن إبراهيم المصري، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، مكتبة الرشد، الرياض.
- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لأبي القاسم محمد بن محمد النويري (ت ٨٥٧هـ)، ت: عبدالفتاح أبو سنة، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.
- الشعر والشعراء، لعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، ت: أحمد محمد شاكر، ١٤٢٣هـ، دار الحديث، القاهرة.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٨هـ)، مع شرحه فتح الباري، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار السلام، الرياض.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، (مع شرحه

للنووي)، أشرف على إعداد طباعته علي عبد الحميد بلطه جي، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار الخير، دمشق - بيروت.
- طبقات الشافعية، لجمال الدين عبدالرحيم الأسنوي (ت ٧٧٢هـ)، ت: عبدالله الجبوري، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.
- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي (ت٧٧١هـ)، ت: محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي - دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- طبقات الفقهاء الشافعية، لتقي الدين أبي بكر بن أحمد ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ)، ت: د. علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- طبقات الفقهاء الشافعيين، لإسماعيل بن عمر ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، ت: د. أحمد عمر هاشم ود. محمد زينهم، ط٢، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٩م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنه وي (من علماء القرن الحادي عشر الهجري)، ت: د.سليمان بن صالح الخزي، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة.
- طبقات المفسرين، لمحمد بن علي بن أحمد الداودي (ت ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الطبقات، لخليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ)، ت: د. أكرم ضياء العمري، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، دار طيبة، الرياض.
- العجاب في بيان الأسباب، لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني

(ت٨٥٢هـ)، ت: عبد الحكيم الأنيس، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار ابن الجوزي، الدمام.

- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، لتقي الدين الفاسي (ت٨٣٢هـ)، ت: فؤاد سيد، ط٢، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- العقد الفريد، لأحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، ت: محمد عبدالقادر شاهين، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، المكتبة العصرية، بيروت.
- العقد النضيد في شرح القصيد لأحمد بن يوسف السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، ت: أحمد علي حريصي، رسالة علمية غير منشورة مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأحمد بن يوسف بن عبدالدائم السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، ت: محمد باسل عيون السود، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- غاية النهاية في طبقات القراء، لمحمد بن محمد ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، ط٣، ١٤٠٢، ١٩٨٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار السلام، الرياض.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، ت: عبد الرحمن عميرة، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار الوفاء، المنصورة.

- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل من القرآن بالمدينة، لمحمد بن أيوب بن يحيى بن الضُّرَيس (٢٩٤هـ)، ت: غزوة بدير، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، دار الفكر، دمشق.
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (علوم القرآن - مخطوطات التفسير وعلومه)، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، من منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمَّان.
- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط٧، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز (من أول الكتاب إلى نهاية كلامه على الآية (١٠٥) من سورة البقرة - دراسة وتحقيقاً)، لأحمد بن يوسف السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، ت: عبد الرحيم القاوش، رسالة علمية غير منشورة مقدمة لنيل درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية.
- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، (مطبوع بحاشية الكشاف)، رتبه محمد عبد السلام شاهين، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، لأبي القاسم يوسف بن علي الهذلي (ت٤٦٥هـ)، ت: جمال بن السيد الشايب، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، مؤسسة سما للنشر والتوزيع، الرياض.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزَّمَخْشَرِي (ت ٥٣٨هـ)، رتبه محمد عبد

السلام شاهين، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (ت١٠٦٨هـ)، دار العلوم الحديثة.
- الكشف والبيان، لأحمد بن محمد الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، ت: أبي محمد بن عاشور، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلي بن حسام الدين الهندي (ت٩٧٥هـ)، ت: حسن زروق وصفوة السقا، ط١، ١٩٨٠هـ-١٩٦٩م، مكتبة التراث الإسلامي، حلب.
- اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين علي بن محمد ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، دار صادر، بيروت.
- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي (تبعد ٨٨٠هـ)، ت: عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، لابتسام مرهون الصفار، ١٩٦٨م، مطبعة الإرشاد، بغداد.
- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت ٥١٨هـ)، ت:محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٢، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م، مطبعة السعادة.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي

(ت٨٠٧هـ)، ت: حسام الدين المقدسي، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، مكتبة القدسي، القاهرة.

- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، اعتنى بها عامر الجزار وأنور الباز، ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، دار الوفاء، المنصورة.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، ت:عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، عني بنشره ج. برجشتراسر.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبد الله بن أحمد النسفي (ت٧١٠هـ)، ت: مجدي منصور، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، ت: حمدي الدمرداش محمد، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، المكتبة العصرية، بيروت.
- مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف، لمحمد عليان المرزوقي (ت١٣٥٥هـ)، مطبوع بحاشية الكشاف، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، ت: د. حاتم صالح الضامن، ط٢، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، ت: محمد عبد الله النمر وآخرين، ط٥، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار طيبة، الرياض.

- معاني الحروف، علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ)، ت: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.
- معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري الزجاج (٣١١هـ)، ت: عبد الجليل شلبي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، عالم الكتب، بيروت.
- معجم الأدباء (أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت ٦٣٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، لعاتق بن غيث البلادي (ت١٤٣١هـ)، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، دار مكة، مكة المكرمة.
- معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، لعمر رضا كحالة(ت١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرين، ط٢، المكتبة الإسلامية، اسطنبول.
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، دار الجيل، بيروت.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، ت: محمد سيد جاد الحق، ط١، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لعبدالله بن يوسف ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، المكتبة العصرية.
- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، لحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (تفي حدود ٤٢٥هـ)، ت: عدنان صفوان داودي، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار القلم، دمشق.
- المفصل في علم العربية، لأبي القاسم محمود بن عمر الزَّمَخْشَرِي (ت٥٣٨هـ)، دار الجيل، بيروت.
- المفصل في علوم البلاغة العربية، لعيسى علي الكاعوب، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، دار القلم، دبي.
- المقفى الكبير، لأحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، ت:محمد اليعلاوي، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عز وجل، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، ت: د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، ت:سعيد الفلاح، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، لأحمد بن محمد الأشموني (من علماء

القرن الحادي عشر)، علق عليه شريف أبو العلا العدوي، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.

- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، ت: سمير القاضي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار الجنان - مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل، لأحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ)، ت: سليمان بن إبراهيم اللاحم، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ)، طبعة مصورى عن طبعة دار الكتب.
- النحو الوافي، عباس حسن، ط٥، دار المعارف بمصر، القاهرة.
- النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت والعيون، لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، ت:السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، لأحمد بن علي القلقشندي

(ت٨٢١هــ)، ت: إبـراهيم الإبيـاري، ط٢، ١٤٠٠هــ-١٩٨٠م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين المبارك بن محمد ابـن الأثـير (ت ٦٠٦هـ)، اعتنى بـه رائـد بـن صـبري بـن أبي علفـة، بيـت الأفكـار الدولية، عمّان.
- نونيـة ابـن القـيم (مـتن القـصيدة النونيـة: الكافيـة الـشافية في الانتـصار للفرقة الناجية)، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزيـة (ت ٧٥١هـ)، ط٢، ١٤١٧هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- الهداية إلى بلوغ النهايـة، مكـي بـن أبي طالـب القيـسي، (مجموعـة رسـائل علمية)، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، جامعة الشارقة.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثـار المـصنفين، إسـماعيل باشـا البغـدادي (ت ١٣٣٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الـصفدي (ت ٧٦٤هـ)، ت: أحمـد الأرنـاؤوط وتركـي مـصطفى، ط١، ١٤٢٠هــ-٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان، لأحمـد بـن محمـد ابـن خلكـان (ت٦٨١هـ)، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

إعجاز التصريف في البيان القرآني

إعـــداد

د. زينب بنت عبداللطيف بن كامل كردي

د. زينب بنت عبداللطيف بن كامل كردي

- الأستاذ المساعد بقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي -كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- حصلت على درجة الماجستير من كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحتها : (التصوير البياني في آيات الأمن والخوف).
- حصلت على درجة الدكتوراه من كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحتها : (الاحتجاج العقلي في القرآن الكريم).

ملخص البحث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، أما بعد:

فيسعى هذا البحث (إعجاز التصريف في البيان القرآني) إلى تسليط الضوء على مصطلح التصريف، وفتح الآفاق المتعلقة به من أفانين البلاغة، مع إيراد شواهد متنوِّعة تعين على توصيف أسلوبه، فالتصريف فنٌّ بيانيٌّ دقيق المسلك بعيد الغَور، وسرٌّ عظيم من أسرار الإعجاز في مَثَل البيان الأسمى في معانيه وعرض موضوعاته؛ إذ يرد فيه المعنى الواحد بألفاظ متغايرة وطرق متباينة، مختلفة المعاني والمباني، تتنوع فيها وجوه الخطاب، وتتفنن أساليبه ومقاماته،

وجاء تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث، تقفوها خاتمة تلخص أبرز النتائج، وثبت بالمصادر والمراجع.

فتناول المبحث الأول: مصطلح التصريف ومفهومه، في اللغة والاصطلاح، معرجًا على المصطلحات التي تقاربه، مع مناقشتها وبيان سر تفوق هذا المصطلح عليها.

وعن أنواع التصريف في القرآن كان المبحث الثاني، فقد تفرع إلى نوعين رئيسين يشملان المضمون والشكل، تتفرع منهما أنواع أخر تجلي الإعجاز القرآني، فتتصرف المعاني المختلفة مراعية المقامات التي هي أساس البلاغة، في جوانب متعددة من الشكل، ومنها تصريف الألفاظ المترادفة في أصول المعاني، وكذا التصريف في زمن الأفعال، وفي التراكيب، وفي الصور،

والتصريف في أساليب الحجاج وفي القصص وفي الأمثال.

وكانت القيم البلاغية للتصريف هي مصب اهتمام المبحث الثالث: ولا غرو أن يجمع القرآن بتصريفه بين جانبي الإقناع والإمتاع والتأثير في النفس الإنسانية تحقيقًا للغرض الأسمى والمطلب الأرفع للبيان القرآني وهو الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة باستخدام شتى الطرق لتهيئة المتلقِّي لاستقبال الدعوة برضًى، فيسير وراء المعنى في تصريفه، وتجدُّده بسبله البلاغية المتنوِّعة، ليجد القرآن ينأى عن التعبير بالأسلوب الواحد المباشر الذي لا يتنوَّع، بل يلجأ إلى أفانين شتَّى من البلاغة تتَّسق في رصد معانٍ ومواقف يبدو بين طيَّاتها ما يخلب ويروق، ويُظهِر ثراء المعاني وبراعة الصياغة والأداء، لا يملك معها المتلقي إلا إعلان الإيمان بالله والامتثال لما جاء به نبيه ﷺ.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

Abstract

Praise be to Allah and peace and blessings be upon Prophet Mohammed (pbuh).

This research work sheds light on the concept of (taSrif) realization in eloquence, and opens the door for conducting studies of all related rhetorical arts, while providing various examples to determine its style. realization in eloquence is a very profound and precise technique in rhetoric. It is one of the great secrets of the inimitability of the Qur'anic eloquence utilized to display its meaning and topics, and to convey the sense of a polysemous word expressed by different rhetorical methods that show richness of meanings and structures, and diversities of speech.

The study comprises an introduction and three sections, followed by a conclusion that summarizes the main findings, and finally, a list of references.

The first section defines the concept of realization linguistically and in Qur'anic terminology. It compares it with other similar technical terms, and then it illustrates the secret behind the superiority of the term "realization of eloquence" above all other terms.

The second section deals with types of realization of eloquence in the Qur'an. It branches out into two main types; content and form, which, in turn, branches out to other types that display the Qur'anic inimitability when different meanings are realized - taking into account the different contexts, which are the bases of rhetoric - in multiple aspects of the form, such as realization of synonymous words in core meanings, verb tenses realization, syntaxes, verbal imagery, and realization in styles of argumentation, stories and proverbs.

The main concern of the third section is the rhetorical values of realization of eloquence. No wonder that the Qur'an combines persuasion, intrigue, and realization in order to affect the soul, and achieve the supreme purpose of the Qur'anic eloquence; i.e. calling people to the way of Allah with wisdom and good instruction, and utilizing a variety of ways to prepare the recipient to gladly accept the call. The researcher then goes further than the meaning of realization, and investigates meanings by diverse rhetorical methods to find that the Qur'an does not confine itself to one direct style that does not vary, but instead it utilizes different rhetorical methods harmonized by meanings and attitudes that show richness of meanings and innovation of performance, prompting the recipient to declare his faith in Allah Almighty, and to comply with what His Prophet's (pbuh) commands.

All praise is due to Allah. By His grace righteous deeds are accomplished.

المقدمة

الحمد لله منزِّل الكتاب العظيم، المصرّفِ بيانَه في نظم معجز قويم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم عليم، والصلاة والسلام على أبلغ العالمين، إمام المرسلين، نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحابته المهتدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فإن أفضل ما تعمر به الأوقات التدبّر في بلاغة التنزيل، وبدائع التأويل، في كتاب أحكم بيانه، وصرفت آياته؛ وتباينت أساليبه وسماته، «فسبحان من سلكه ينابيع في القلوب، وصرفه بأبدع معنى وأغرب أسلوب، لا يستقصي معانيه فهم الخلق، ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق»[(1)].

ويسعى هذا البحث (إعجاز التصريف في البيان القرآني) إلى تسليط الضوء على مصطلح التصريف القرآني، وفتح الآفاق المتعلقة به من أفانين البلاغة، مع إيراد شواهد متنوِّعة تعين على توصيف أسلوبه، فالتصريف فنٌّ بيانيٌّ دقيق المسلك بعيد الغَور، وسرٌّ عظيم من أسرار إعجاز مَثَل البيان الأسمى في معانيه وعرض موضوعاته، فيرد فيه المعنى الواحد بألفاظ متغايرة وطرق متباينة، مختلفة المعاني والمباني، تتنوع فيها وجوه الخطاب، وتتفنن أساليبه ومقاماته. قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾** ﴾[الإسراء: ٨٩] . فمع تفرُّق

(١) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٤ .

المعنى الواحد في القرآن، وتبايُن أوقات نزوله، إذ به يمثِّل وحدة متكاملة تُعرض وَفق نظام بديع، تنساب ألفاظه ملائمة لسياقها وموضوعها والعبرة التي تنطوي عليها في انسجام عجيب، وسبك متين.

ومن أسباب اختيار الموضوع إبراز الجانب البلاغيّ للتصريف في القول، واستلهام ما تميز به أسلوب التصريف القرآني من بلاغة فذة في مخاطباته، فقد وجدت دراسات متفرِّقة تدور حول هذا الموضوع، منها ما هو أقرب إلى التفسير الموضوعي في تقسيم فصوله[1]، ومنها ما انصبّ على حِكَم التصريف، وموقف الناس منه، وعرض لما ذكره العلماء حوله[2]، مما دفعني إلى إكمال هذه الجهود حرصًا على توصيف أسلوبه، وعرض ما يجلِّي ملامحه ويبيِّن المباحث البلاغية التي تندرج تحت موضوعه، طلبًا لما في التدبر والنظر في بلاغة القرآن من جوانب الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

ويسعى هذا البحث إلى تحقيق الأمور الآتية:

١. خدمة البلاغة القرآنية، وتعميق مستوى الفهم في جوانبها.
٢. تأصيل مصطلح التصريف، ومناقشة تفوقه على ما يقاربه من مصطلحات بشرية، لا تصل إلى آفاقه الرحبة في مثَل البلاغة الأسمى، عز قائله!
٣. تتبع ألوان التصريف في البيان القرآني، وتصنيف آراء العلماء حوله.

(١) منها بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، د.عبد الله النقراط..

(٢) منها بحث تصريف المعاني في القرآن الكريم، د.عبدالعزيز العمار.

٤. استشراف الظواهر البيانية الأسلوبية للتصريف القرآني، وما تنطوي عليه من قيم معجزة.

وتقتضي طبيعة البحث أن ينتظم في مقدمة وثلاثة مباحث، تقفوها خاتمة تلخص أبرز النتائج والتوصيات، وثبت بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول: مصطلح التصريف ومفهومه.

المبحث الثاني: أنواع التصريف في القرآن.

المبحث الثالث: القيمة البلاغية للتصريف في القرآن الكريم.

وسارت الدراسة على المنهج الوصفي الاستنباطيّ لتوصيف هذه الظاهرة القرآنية واستكناه أسرارها البلاغية. واللهَ أسأل أن يلهمني الصواب، ويهديني سواء السبيل.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى هيئة تحرير مجلة تبيان للدراسات القرآنية، وللمحكِّمين الفاضلين على ما بذلا من جهد ووقت في القراءة والمراجعة، فجزى الله الجميع عني خير الجزاء، ووفقنا جميعًا لخدمة كتابه، وتدبره على الوجه المرضي. والحمد لله أولاً وآخر، والصلاة والسلام على خير خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول
مصطلح التصريف ومفهومه

التصريف لغة:

أصل الصرْف يدلّ على رَجْع الشيء. من ذلك صَرفْتُ القومَ صَرْفًا وانصرفوا، إذا رَجَعْتَهم فرَجَعوا، والتَّصرِيفُ: اشتقاق بعض الكلام من بعض، وتزيينه والزيادة فيه، وصَرْف الحديث: الزيادة فيه مع التحسين، وسمِّي بذلك؛ لأنَّه إذا زُيِّن صَرَف الأسماع إليه[1]. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٨٩]. وقال عزّ من قائل: ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾[الأعراف: ٥٨]، وفسّر أبو حيَّان (٧٤٥هـ) التصريف في الآية بالترديد والتنويع[2].

التصريف اصطلاحًا:

ورد مصطلح التصريف عند بعض العلماء، وفيما يأتي عرض لما ذكروه وصولاً منه إلى تعريف مختار أو مستنبط:

١. قال الرمانيّ (٣٧٦هـ): «التصريف تصريف المعنى في المعاني المختلفة كتصريفه في الدلالات المختلفة، وهو عقدها على جهة التعاقب ...

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، والمفردات في غريب القرآن: صرف.

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط: ٤/ ٣١٩.

كتصريف الملك في معاني الصفات فصرّف في معنى مالك وملك وذي الملكوت، والمليك وفي معنى التمليك، والتمالك والإملاك، والتملك والمملوك» [١].

٢. سماه ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـ) التصرُّف وعرّفه بقوله: «هو أن يأتي الشاعر إلى معنًى فيبرزه في عدّة صور، تارة بلفظ الاستعارة، وطورًا بلفظ الإيجاز، وآونة بلفظ الإرداف، وحينًا بلفظ الحقيقة » [٢].

٣. ذكر السلجماسيّ (٧٠٤هـ) بأنّ التصريف يدلّ في الوضع على التغيير، وهو: «إعادة اللفظ الواحد بنوع المادة فقط في القولين ببناءين مختلفَي الصورة مرتين فصاعدًا، وبالجملة فهو لفظ يشتقّ من لفظ» [٣].

٤. عرّف د.عبد الله النقراط التصريف بقوله: « تصريف الآيات: هو تنويعها في المعنى الواحد أو الموضوع الواحد، وعرضها بصور شتّى وأساليب مختلفة، وذلك لتقرير أصول العقيدة، وعرض أدلّتها، وبيان الحجج والدلائل الدالّة على الوحدانيّة، وعظيم القدرة الإلهيّة، وإثبات البعث والجزاء والنبوّة والرسالة، وإيراد القصص والأمثال، والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والشرائع والأحكام، والأوامر والنواهي، وما إلى ذلك مما صرف القرآن بيانه» [٤].

---

(١) النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل) : ١٠١ .

(٢) تحرير التحبير: ٥٨٢ .

(٣) المنزع البديع : ٤٩٩- ٥٠٠ .

(٤) تصريف القول في القرآن الكريم : ١/ ٢٧.

٥. ممن استعمل هذا المصطلح كذلك محمد أبو زهرة، وعقد له مبحثًا خاصًّا ذكر فيه تميُّز الإعجاز القرآنيِّ بالتصريف في كلِّ أبواب القول ما بين تهديد وإنذار وتبشير وإثارة للتأمُّل، ودعوة للتفكُّر في آيات الله تعالى الكونيَّة والقرآنيَّة، والتفكُّر في النفس والحسّ. وجعل التصريف في القرآن على ضربين: أحدهما في المعاني، والآخر في الألفاظ والأساليب.

فأمَّا تصريف المعاني، فبأن يكون المؤدَّى في جملته واحد، لكنَّه يختلف بما يلائم سياقه. واستدلَّ عليه بالقَصص القرآنيّ؛ فقد تختلف ألفاظه أو تتقارَب أو تتَّحد في بعض العبارات[1].

مناقشة التعريفات:

يعدّ الرماني من أوائل من استعملوا مصطلح التصريف، وقد جعله من أبواب بلاغة القرآن، لكنّ تعريفه فيه تكرار، ولم يصل منه إلى تحرير المصطلح؛ إذ كان منصرفًا إلى إثبات إعجاز القرآن من هذا الجانب، وتمثيله اقتصر على جانب من جوانبه هو الكلمات المشتقّة من أصل واحد، وكذا فعل السلجماسي في تعريفه بل ذكر أنه قد يتداخل عند بعض الأدباء مع التجنيس، لكنه في الحقيقة مختلف عنه.

أمّا ابن أبي الإصبع فعلّق التصريف بفنون البيان حتى كاد يقصره عليها -كما سبق في تعريفه- ثم قال بعد سرد جملة من الشواهد على التصريف في الصور: «ولا شبهة في أن هذا إنما يأتي من قوَّة الشاعر وقدرته،

(١) ينظر: المعجزة الكبرى: ١٦٦- ١٦٨

ولذلك أتت قصص القرآن الكريم في صور شتّى من البلاغة ما بين الإيجاز والإطناب، واختلاف معاني الألفاظ، وشهرة ذلك تغني عن شرحه»[١]، كل هذا يدلّ على تحولات أسلوبية في السياق تتجاوز الألفاظ.

وفصّل كلٌّ من د.عبدالله النقراط ومحمد أبو زهرة جوانب مفهوم التصريف، ففي تعريف الأوّل ما يكشف عن اتفاق أصول المعاني واختلافها من سياق لآخر بتراكيب متنوعة وفنون متباينة، تتغاير تبعًا للمقامات وقرائن الأحوال ولعله أوضح التعريفات وأشملها؛ لذا بنيت عليه تعريفًا مستنبطًا يقرن بين التنوع والتباين في المعاني وبين التناسب والمقام وهما لبّ البلاغة؛ ليكون التعريف جامعًا مانعًا.

في حين تجاوز حديث محمد أبو زهرة التعريف إلى توضيح جانبيه: المعاني والأساليب، وإلى هذا التقسيم أميل؛ لذا صنّفت الأقسام مندرجة تحت هذين الجانبين.

التعريف المستنبط للتصريف:

يمكن في ضوء ما ذُكر من تعريفات، وما رجعت إليه من تفسير للآيات التي ذكر فيها لفظ التصريف أن أحرِّر المقصود من هذا المصطلح بأنه:

تنوُّع عرض المعنى الواحد بطرائق تعبيريَّة شتَّى لكلٍّ منها أسلوبه وطبيعته وعناصره التي تتواءم مع سياقه ومقامه وقرائن أحواله.

---

(١) تحرير التحبير: ٥٨٢ .

مصطلحات تقارب التصريف:

بتأمل ما ذكر حول معنى التصريف؛ تبرز مصطلحات تقاربه في جوانب جزئية، وسأعرض كل منها مبينة بعض من أورده؛ إذ لا سبيل لتتبع الأقوال فالمقام لا يسمح، ولن تضيف البحث كبير فائدة:

١.التَّكرار: قسم ابن رشيق (٤٥٦هـ) التكرار ثلاثة أقسام: تكرار اللفظ دون المعنى، وتكرار المعنى دون اللفظ، وتكرار اللفظ والمعنى، وحكم على الأخير بأنه الخذلان بعينه[١]، وذكر الكرمانيّ (٥٠٥هـ) التكرار في القرآن مبيِّنًا مقاصده وحكمة اختصاص آية ما بسورة معينة، مما يبرز الارتباط الوثيق بين التكرار وعلم التناسب[٢].

٢. التَّكرير: ذكر ابن الأثير (٦٣٧هـ) أنه «ينقسم قسمين: أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى، والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ» [٣]. واستشهد عليه بآيات تدخل في باب المتشابه اللفظي والتصريف، ومن المصنفات الحديثة في مصطلح التكرير: التقرير في التكرير، وجل حديثه عن المتشابه في القصص القرآني[٤].

٣. التَّرداد: ورد هذا المصطلح عند بعض المفسِّرين والبلاغيِّين واللغويِّين. قال الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ناقلاً قولاً لسفيان بن عيينة عن

---

(١) ينظر : العمدة في صناعة الشعر ونقده : ٢/ ٦٩٨ .

(٢) ينظر : البرهان في توجيه متشابه القرآن : ٦٣-٦٤ .

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٢/ ١٤٦ .

(٤) ينظر : من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم : ٢٨ .

الزهريّ: «إعادة الحديث أشد من نحت الصخر» [١]، ثم عقّب بقوله: «وجملة القول في التَّرداد أنه ليس فيه حدٌّ يُنتهى إليه، ولا يؤتى على وصفه، وإنما ذلك على قدر المستمعين ومن يحضره من العوامِّ والخواصّ. وقد رأينا الله ردَّد ذِكْرَ قصَّة موسى وهود وهارون وشعيب... وكذلك ذِكرَ الجنة والنار وأمورٍ كثيرة؛ لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبيٌّ غافل، أو معانِد مشغول الفكر ساهي القلب» [٢].

٤. الترديد: عرّفه ابن رشيق بأنه: «أن يأتي الشاعر بلفظة معلّقة بمعنى، ثم يردَّها بعينها معلَّقة بمعنًى آخر» [٣]، فهو نوع من التجنيس، وكذا ورد عند ابن أبي الإصبع [٤] ويحيى العلوي (٧٤٩هـ) [٥].

٥. الاقتدار: عرّفه ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـ) بقوله: «**هو أن يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور اقتداراً منه على نظم الكلام وتركيبه، فتارة يأتي به في لفظ الاستعارة، وطوراً يبرزه في صورة الإرداف، وآونة يخرجه مخرج الإيجاز، وحينا يأتي به في ألفاظ الحقيقة**» [٦]. وعلق المحقق حفني شرف «بأن هذا الفن من الأنواع التي سلمت للمؤلف!» [٧] والواقع

---

(١) البيان والتبيين: ١/ ١٠٤ – ١٠٥.

(٢) السابق بصفحتيه.

(٣) العمدة في صناعة الشعر ونقده: ١/ ٥٥٣.

(٤) ينظر: تحرير التحبير: ٢٥٣.

(٥) ينظر: الطراز: ٣/ ٤٧.

(٦) بديع القرآن: ٢٨٩.

(٧) بديع القرآن: ٢٨٩، وتحرير التحبير: ٥٣٨.

أنه أخطأ في ذلك، فالتصريف وجد قبله بكثير.

٦.المتشابه اللفظي: عرّفه الزركشي (٧٩٤هـ) بأنه: « إيراد القصة الواحدة في صور شتى، وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام، وإتيانه على ضروب؛ ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكرّرًا» [(١)] وصنفت فيه كتب قديمًا وحديثًا [(٢)]. وفُسِّرت دلالة المتشابه في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] بمعنيين:

أولهما: خاصّ، وهو أن: « تكون السورة فيها الآية في سورة أخرى آيةٌ تُشبِهها» [(٣)].

والمعنى الآخر: عامّ، وهو أنَّ القرآن يُشبِه بعضه بعضًا في الحسْن والتناسب والإعجاز، واستقامة النظْم، وصحة المعنى وجزالة اللفظ، ويفسّر بعضه بعضًا، ويُصدِّق بعضه بعضًا، فلا يتناقض، ولا يختلف [(٤)].

مناقشة المصطلحات:

بالنَّظر في مدى ملاءمة المصطلحات السابقة لكتاب الله يظهر تفوُّق

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ١/ ١١٢.

(٢) منها: متشابه القرآن للكسائي، ورسالة في متشابه التعبير باللفظ في آيات القرآن للسجستاني، وغيرهما كثير. وللاستزادة ينظر: من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: ١٤-٢٩.

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٢١/ ٢٧٩.

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن: شبه، ومفاتيح الغيب: ٧/ ١٣٨، وأنوار التنزيل: ٢/ ٧-٨.

مصطلح التصريف على الأربعة الأُوَل؛ فهو مصطلح قرآنيٌّ؛ لذا كان الأليق بأسلوبه، والأشمل لبيانه، بينما لا تسلم مصطلحات البشر من الخلل والقُصور والكراهة أو القبح والحشو أو النقد والطعن، وقد دعا إلى مصطلح التصريف من المحدَثين د.أحمد أبو زيد ود.عبد الله النقراط مقارنَين بينه وبين المصطلحات التي حاولت منافسته في الاستعمال، منبِّهَين على وجوب الاهتمام به وإحيائه؛ إذ هو الأليق بالبيان المعجِز. وذكرا أنَّ الوجوه والنظائر نوع من التصريف؛ إذ تأتي الكلمة الواحدة على لفظ واحد وحركة واحدة في مواضع مختلفة، وتؤدِّي في كلِّ موضع معنًى غير المعاني الأخرى حسب السِّياق الذي يضمُّها[(١)].

وتباينت آراء العلماء حول بقية المصطلحات المذكورة التي تقاربه، فرأى بعضهم أن التَّكرار والتَّرداد من الفصاحة والبيان؛ فأطلقوهما على بيان القرآن، وعارض آخرون وجودهما في القرآن بحجَّة أنهما لا يناسبان بيانه المعجز وتصرُّفه البديع. فالأَولى يُستبدَل التصريف بها[(٢)]؛ فلا تَكرار ولا تَرداد في القرآن دون بلاغة، بل هو تصريف وبيان له مقاصد عالية ومرامٍ سامية، يرمي إليها في كلِّ مرة، وهذا سرٌّ من أسرار بلاغته التي أعجزت الإنس والجن فُرادى ومجتمعين؛ كما قال الله ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ

(١) ينظر: بلاغة تصريف القول: ٦٠، وعزاه إلى مصطلحات بيانية في القرآن: ١، ٦(بحث للدكتور أحمد أبو زيد لم ينشر).

(٢) ينظر: بلاغة تصريف القول: ١/ ٥١.

بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ [الإسراء:٨٨]، فضلاً عن أن هذه المصطلحات من حيث الدلالة اللغوية تنصرف إلى التماثل، دون التقارب الذي يشمله التصريف.

أما مصطلح الاقتدار فهو عامّ؛ إذ أصل معناه يدلّ على مبلغ الشيء ومنتهاه وكنهه[1]، فهو لا يفصح عن تعريفه، بل يقترب في أصله من معنى البلاغة بعامّة، ولا يختصّ بالتحوّلات الأسلوبيّة والعدول في السياق.

ومصطلح المتشابه مع كونه مصطلحًا قرآنيًّا كذلك، إلاّ أنه لا يشمل جوانب التصريف، بل يدخل تحت مفهومه الذي يشمل معه التشابه المعنويّ واللفظيّ والنظميّ، ويحمل معه حكمة تصريف المتشابهات التي نصّ عليها الزركشيّ في تعريفه للمتشابه، فمصطلح التصريف إذن أثبت تفوقه على ما يقاربه من مصطلحات؛ لأنه الأجمع لما يندرج تحته، والأفضل والأليق بالبيان القرآنيّ المعجز.

* * *

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: قدر.

المبحث الثاني
أنواع التصريف في القرآن

تناولت التفاسير وكتب الإعجاز التصريف من اتجاهات عدّة تعود إلى جانبي الشكل والمضمون، وفيما يلي عرض لأنواع التصريف مرتبطة بأصليها في (الشكل والمضمون):

أولاً: التصريف في المعاني (المضمون):

عُدَّ الرّمانيُّ (٣٨٦هـ) من أوائل من استعملوا التصريف في الدراسات القرآنيّة، وجعله من وجوه بلاغة القرآن، ووضَّح المقصود من تصريف المعاني بأنَّه عقْدها في صور مختلفة على جهة التعاقُب. ففيه بيان معجز؛ إذ يُظهر المعنى بما يكتنفه من أبعاد تبرزه، وذلك لوجوه من الحكمة، منها تمكين العبرة والموعظة، والتصرُّف في البلاغة من غير نقصان عن المرتبة العليا، والحِجاج على أهل الضلال بتصريف المعنى الواحد في سياقات مختلفة، تتبوَّأ أسمى درجات البلاغة [(١)].

وأدرج الباقلانيُّ (٤٠٣هـ) التصريف ضمن وجوه الإعجاز مبيِّنًا تفرُّد القرآن به على سائر الكلام، بقوله: «وقد تأمَّلنا نظْم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرَّف فيه من الوجوه... على حدٍّ واحد في حُسن النظم، وبديع التأليف والرصْف، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العُليا، ولا

---

(١) ينظر: النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): ١٠١- ١٠٢.

إسفال فيه إلى الرُّتبة الدنيا» [1].

وعقد ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـ) بابًا بعنوان التصرُّف، عرّفه فيه بقوله: « هو أن يأتي الشاعر إلى معنًى فيُبرزه في عدّة صور، تارة بلفظ الاستعارة، وطورًا بلفظ الإيجاز، وآونة بلفظ الإرداف، وحينًا بلفظ الحقيقة... ولا شبهة في أنّ هذا إنما يأتي من قوّة الشاعر وقدرته، ولذلك أتت قصص القرآن الكريم في صور شتّى من البلاغة، ما بين الإيجاز والإطناب، واختلاف معاني الألفاظ» [2].

وجعل الزرقانيّ (١٣٦٧هـ) براعة القرآن في تصريف القول وثروته في أفانين الكلام من الخصائص التي امتاز بها بيانه الفذُّ، ذلك أنَّه «يورد المعنى الواحد بألفاظ وبطرق مختلفة، بمقدرة فائقة خارقة، تنقطع في حلبتها أنفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء» [3].

وتدخل المقامات في مجال التصريف في المعاني، فينبغي للمتكلِّم مراعاة السمات الموضوعيّة لتحقيق مناسبة الكلام للمقام، ومطابقته لمقتضى الحال؛ إذ هو جوهر البلاغة؛ لذا دعَت العربيّة إلى مراعاته، وأولته فضل عناية، ومقامات الكلام متفاوتة، فمقام الترغيب يغاير مقام الترهيب، ومقام المدح يختلف عن مقام الذمّ، ومقام الكلام ابتداء يباين مقام الكلام في

(١) إعجاز القرآن للباقلاني : ٨٨ – ٨٩ .

(٢) تحرير التحبير : ٥٨٢-٥٨٣، وسماه في بديع القرآن الاقتدار كما ورد ص٧ من هذا البحث . بديع القرآن : ٢٨٩.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن : ٢/ ٢٦٦

الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال يتميز عن مقام البناء على الإنكار، ومقام التقديم يفترق عن مقام التأخير، ومقام الذكر مباين لمقام الحذف، وهكذا القصر وخلافه، والفصل والوصل، والإيجاز الإطناب والمساواة. وكما تتفاوت مقامات الكلام في ذلك تتنوّع مقامات الكلمة الواحدة، حتى ترى الكلمة تروق وتؤنس في موضع، ثم تثقل بعينها وتوحش في موضع آخر، فلكلّ نوع من الكلام مقتضًى غير الآخر(١).

وبإمعان الفكر في تصريف المعاني، وفي الأقوال التي وردت حولها تبرز بعض الجوانب الشكلية التي تتصرّف فيها هذه المعاني، وسأوضحها ببعض الشواهد:

ثانيًا: التصريف في الشكل (الصياغة):

١.التصريف في الألفاظ:

يدخل هذا التصريف في باب ما يسمّى بالمترادفات، ويوجِّه الخَطَّابيُّ (٣٨٨هـ) إلى «وضع كلّ نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخصّ الأشكل به، الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه: إمَّا تبدُّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمَّا ذَهاب الرَّونق الذي يكون معه سقوط البلاغة... لأنَّ لكلِّ لفظة منها خاصِّية تتميَّز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها»(٢).

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٥٦.

(٢) بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): ٢٩.

ويؤكد محمد أبو زهرة (١٣٩٤هـ) الترابط بين جانبي اللفظ والمعنى في التصريف بقوله: «وتصريف الألفاظ يتضمَّن لا محالة تصريف المعاني، لأنَّه لا مرادِف في القرآن، ولا يوجَد لفظان يؤدِّيان معنًى واحدًا من حيث الإحكام والدِّقَّة، ولا يوجَد أسلوب يؤدِّي معنًى يؤدِّيه الأسلوب الآخر، وإن كان يبدو باديَ الرأي أنَّ المعنيين يتَّحدان في جوهر المعنى، ولكن عند التأمُّل في الإشارات البيانيَّة التي تشير إليها الألفاظ، والتي تَطيف حولها وتشعُّ منها؛ تجدها مختلِفة، وإنَّ كلَّ تغيير في العبارات القرآنيَّة عن أخواتها في مثل موضوعها يُحدِث تغييرًا في المرامي ولمح القول، حتى الوقوف والفواصل تؤدِّي باختلاف نغمها ما لا تؤدِّيه مثيلاتها مما هو في موضوعها»[1]. وهذا التصريف وغيره يدخل فيما يسمَّى بالمتشابه اللفظيّ، وهو مفصّل في الكتب المخصصّة له، وسأقتصر في هذا المقام على أبرز ما في هذا النوع من التصريف؛ موردة ببعض شواهده:

١. التصريف في حروف المعاني: في التوكيد والجرّ والنصب والنفي والعطف والابتداء والاستفهام وغير ذلك، ومما جاء من تصريف حروف المعاني في التوكيد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [سورة البقرة]، وقوله تعالى: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [سورة آل عمران]. فأكد الذّمّ باللام في سورة البقرة، وجاء دون توكيده في آل عمران.

---

(١) المعجزة الكبرى: ٢٣٠.

٢.التصريف بوضع كلمة مكان أخرى سواء اختلفتا في المعنى أو في الصيغة أو في الجمع والإفراد أو في التنكير والتعريف، أو في الفك والإدغام، ومن الاختلاف في المعنى قول الله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة البقرة]، وقوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [سورة البقرة] [١].

٢.التصريف في زمن الأفعال:

حظي تلمُّس النِّكات البيانيَّة في زمن الأفعال بالتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه بعناية البلاغيِّين؛ فعالجوه من جهات مختلفة، فتارة يذكرونه في الالتفات بمعناه العامّ كما فعل ضياء الدين بن الأثير (٦٣٧هـ)، فها هو ذا يفصح عن السر البيانيّ في التعبير بالمستقبل عن الماضي بقوله: «اعلم أنَّ الفعل المستقبل إذا أُتِي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ في الإخبار بالفعل الماضي؛ وذلك لأنَّ الفعل المستقبل يوضِّح الحال التي يقع فيها، ويستحضِر تلك الصورة حتى كأنَّ السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي... وهكذا يُفعَل بكلِّ فعل فيه نوع تميُّز وخصوصيَّة كحال تستغرب، أو تهمُّ المخاطب أو غير ذلك» [٢].

---

(١) ينظر في تفصيل كل فرع من هذين النوعين الأساسيين والاستشهاد على كل هذه الفروع: متشابه الفواصل القرآنية دراسة بلاغية : ٦٧-٢٦٠.

(٢) المثل السائر : ٢/ ١٢، ١٣

ويضيف مبيِّنًا وجهة نظره حتى لا يبقى فيها موضع شُبهة على مُعترِض: «فإنْ قيل: إنَّ الفعل الماضي أيضًا يتخيَّل منه السامع ما يتخيَّله مِن المستقبَل. قلتُ في الجواب: إنَّ التخيُّل يقع في الفعلين معًا، لكنَّه في أحدهما - وهو المستقبل - أوكد وأشدُّ تخيُّلاً؛ لأنَّه يستحضِر صورة الفعل، حتى كأنَّ السامع ينظر إلى فاعلها في حال وجود الفعل منه... وهذا لا يوجَد في الفعل الماضي؛ لأنَّه لا يتخيَّل السامع منه إلاَّ فعلاً قد مضى من غير إحضار للصورة في حالة سماع الكلام الدالِّ عليه، وهذا لا خلاف فيه»(١).

وأمَّا بلاغة التعبير بالماضي عن المستقبل فيذكُر في قيمتها: «أنَّ الفعل الماضي إذا أُخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجَد بعد؛ كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأنَّ الفعل الماضي يعطي من المعنى أنَّه قد كان ووُجد، وإنَّما يُفعَل ذلك إذا كان الفعل المستقبَل من الأشياء العظيمة التي يُستعظَم وجودها. والفرق بينه وبين الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي أنَّ الغرض بذاك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته، ليكون السامع كأنَّه يشاهدها، والغرض بهذا هو الدلالة على إيجاد الفعل الذي لم يوجَد» (٢).

ولم يقتصر الحديث في التعبير بالماضي عن المستقبل وعكسه في موروثنا البلاغيِّ على الالتفات بمعناه العامّ كما رآه ابن الأثير، بل اختلفت طرائق البلاغيِّين وتباينت نظراتهم نحوه وتعاورته عدَّة مصطلحات

(١) السابق: ٢/ ١٤

(٢) المثل السائر: ٢/ ١٥، ١٦

كمخالفة مُقتضَى الظاهر[(١)]، والعدول والصرْف. وأدخله ثلَّة من البلاغيِّين في باب الاستعارة التبعيَّة[(٢)]. وذهب ابن عرفة الدسوقيّ (١٢٣٠هـ) إلى أن كلَّ خروج على مقتضى الظاهر مجاز[(٣)].

وليس تتبُّع الفنِّ وباب وروده هو مصبّ اهتمام هذه الدراسة، بل غاية مرادها توصيف أسلوبه ولفت الأنظار إلى تذوُّق الناحية الإبداعيَّة الجماليَّة فيه. والرأي الذي أميل إليه هو معالجته في تصريف القول؛ الذي يُعنى بسياقات التحوُّل الأسلوبيِّ.

ومما ورد في تصريف الزمن من المستقبل إلى الماضي قول الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الزمر:٧٣-٧٤].

لقد صُوِّر الموقف بتصريف الزمن من المستقبل إلى الماضي ليشعر المتلقِّي معه كأنما الحدث قد وقع، وليس إخبارًا عن مستقبل، فتتجلّى بلاغة تصريف الزمن في التعبير بالماضي عن المستقبل في الأفعال: ﴿ وَسِيقَ ﴾ ﴿ جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ ﴾ ﴿ وَقَالَ ﴾ ﴿ طِبْتُمْ ﴾ ﴿ وَقَالُواْ ﴾ ونحوها في المشهد

(١) ينظر: تقرير الإنبابي: ٢/ ٣٠٧

(٢) ينظر: عروس الأفراح (ضمن شروح التلخيص): ٤/ ١١١

(٣) ينظر: حاشية الدسوقي (ضمن شروح التلخيص): ١/ ٤٨٧

السابق، فكأنَّ تيك الأحداث تجاوز الزمن وتطويه، لتجعل المتلقّي يتأمَّل ما حدث في عرصات القيامة بعد أن مرّ فيها قطيع الكفَرة وقد عتِلوا إلى عذاب السعير، وتلقّتهم زبانية جهنَّم بالتوبيخ، وفي الجانب الآخر يبدو إشراق الصورة في موكب البرَرة؛ إذ سيقوا مكرمين إلى جِنان الخلود، والتشريف حافٌّ موكبهم، بعد أن تلقَّتهم خزنتها بالتكريم. وليس أبلغ في تقرير هاته الصور الغيبيَّة الغريبة على النفوس الأرضيَّة من هذا التعبير؛ فهو يخاطبها بما يدنو من حسِّها ورؤاها المحدودة، بعد نقلها إلى المحيط الذي تقع فيه الأحداث[1].

وكذا ورد هذا التصريف في حكاية القول بضمير المتكلِّمين ﴿صَدَقَنَا﴾﴿ وَأَوۡرَثَنَا ﴾ فكأنما سُمعت هينمات أولئك الآمنين بعدما امتلأت نفوسهم راحة واطمئنانًا لاهجة بالتسبيح والتحميد والتحدُّث بنعمة الله كما هي عادتهم في كلِّ مواقف الأمن والسعادة؛ فالجنة هي الأرض التي تستحقّ أن تورث. يسكنون فيها حيث شاءوا وينالون منها ما يريدون[2].

ثم ينتقل البيان القرآنيّ لتجديد نشاط المتلقِّي في استحضار الصورة بنقل الزمن إلى المضارع ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ في السياق نفسه؛ لاستحضار الصورة وبثّ معاني التجدُّد والحدوث في الاستقرار والسكن في أيِّ مكان أرادوه من الجنان.

---

(١) ينظر : خصائص التراكيب : ٢٦٧

(٢) ينظر : تيسير الكريم الرحمن : ٧٣١، وفي ظلال القرآن : ٧/ ١٥٧

٣.التصريف في التراكيب (علم المعاني):

العلـم الـذي يبحـث في التراكيـب وأثرهـا في تأديـة المعنـى هـو علـم المعاني، وعرّفه السكاكيّ (٦٢٦هـ) بأنه: «تتبُّع خـواصّ تراكيـب الكـلام في الإفادة، وما يتَّصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليُحترز بالوقوف عليها عـن الخطأ في تطبيق الكـلام عـلى مـا يقتضي الحـال ذكـره» (١). والتتبُّع يناسـب البلاغة بصبغتها التذوقيـّة الجماليـّة؛ التي أداتها بعد توخِّي معاني النحو ذائقة فنِّيـّة تعي أسرار تخيُّر اللفظ والتركيب في سياق معين تبعًا لمقتضى الحال.

وربـط أبـو الـسعود (٩٨٢هــ) في تفـسير قـول الله تعـالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾[الأنعـام: ٤٦] بـين التـصريف والتراكيب مشيرًا إلى تنوّع المقامات بقوله: «أي: نكرِّرها ونقرِّرهـا مصروفة مـن أسـلوب إلى أسـلوب، تـارة بترتيـب المقـدّمات العقلـيَّة، وتـارة بطريـق الترغيب والترهيب، وتارة بالتنبيه والتذكير» (٢).

وذكر الزرقاني (١٣٦٧هـ) من خصائص إعجاز القـرآن أنـه «يفـتنُّ في أداء المعنـى الواحـد بألفـاظ وطـرق متعــدِّدة، بـين إنـشاء وخـبر، وإظهـار وإضمار، وتكلُّـم وغَيبـة، وخطـاب ومُـضيّ، وحـضور واسـتقبال، واسـميَّة وفعليـَّة، واستفهام وامتنـان، ووصـف ووعد ووعـيد إلى غير ذلك» (٣).

وقال الرافعيُّ (١٣٦٥هـ): «وإنك لَتحـار إذا تأملـتَ تركيـب القـرآن،

---

(١) مفتاح العلوم : ٢٤٧.

(٢) إرشاد العقل السليم : ٢/ ٣٨٣، وينظر : أنوار التنزيل : ٢/ ٤٠٩ .

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن : ٢/ ٢٦٦، ٢٦٩ - ٢٧٠ .

ونظْم كلماته في الوجوه المختلفة التي يتصرَّف فيها، وتقعد بك العبارة إذا أنت حاولتَ أن تمضيَ في وصفه، حتى لا ترى في اللغة كلِّها أدلَّ على غرضك، وأجمعَ لما في نفسك، وأبينَ لهذه الحقيقة، غير كلمة الإعجاز... فترى اللفظ قارًّا في موضعه؛ لأنَّه الأليق في النظم، ثم لأنَّه مع ذلك الأوسع في المعنى، ومع ذلك الأقوى في الدّلالة، ومع ذلك الأبدع في وجوه البلاغة، ومع ذلك الأكثر مناسبة لمفردات الآية مما يتقدَّمه، أو يترادَف عليه» [1]. وهذا النوع كسابقه يدخل أيضًا في باب المتشابه اللفظي، ويشمل التغاير في التراكيب التي تتقارب في المعنى، وسأستشهد عليه بآيات دون توضيح ما فيها من المتشابه فهي مفصّلة في كتب المتشابه لمن أراد الاستزادة[2]:

فيأتي التشابه في التراكيب من جوانب عدة منها:

١ .**الإطلاق والتقييد**: ومنه قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ سورة البقرة، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ سورة النحل.

٢ .**التقديم والتأخير**: منه قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ٢٤٧ .

(٢) ينظر: متشابه الفواصل القرآنية دراسة بلاغية : ٢٦١-٣٤٥ .

﴿لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ١١٤﴾ سورة التوبة، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ٧٤ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ٧٥﴾ سورة هود.

٣. **الجملة الاسمية والفعلية**: من هذا التشابه قول الله تعالى: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢﴾، وقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤﴾ بعد قوله تبارك تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣﴾، سورة الكافرون.

٤. **القصر**: منه قول الله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ٧﴾ سورة آل عمران، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩﴾ [سورة الرعد: ١٩].

٥. **الفصل والوصل**: ومن ذلك قولهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[سورة البقرة:٥٨]. وقولهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[سورة الأعراف: ١٦١]. والفاصلة في آية البقرة موصولة بما قبلها، وفي الأخرى مفصولة.

٤.التصريف في الصور (علم البيان):

العلم الذي يبحث في وجوه التصوير هو علم البيان، وعرّفه السكَّاكيّ (٦٢٦هـ) بأنَّه «علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه» [١]، وأضاف السعد (٧٩٢هـ) إلى هذا التعريف أمرًا مهمًّا يجب التفطُّن إليه، هو مطابقة الكلام المدلول عليه لمقتضى الحال[٢]، ولا عجب أن يحرص السعد على هذا القيد فعليه مدار البلاغة.

كلَّما أمعن المتدبِّر فكره في عناصر البيان القرآنيِّ المختلفة، وصبر على فَهم الدلالات البادية واللطائف الكامنة، ونَظَر في الأدوات والوسائل والطرائق؛ وقف على ثراء في المعاني لا ينفد، وبراعة في الأداء لا تُحَدّ، وتصريف في البيان يتجدَّد. فالقرآن لا يلتزم طريقًا واحدة من طُرق الكلام، بل يعبِّر في السياق الواحد أو الموضوع الواحد بأفانين مبدِعة من القول تجعل المعنى نابضًا بالحياة والجلال.

ولفت ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـ) الأنظار إلى ارتباط التصريف بفنون البيان -كما سبق- بقوله: «هو أن يأتي الشاعر إلى معنى فيبرزه في عدة صور، تارة بلفظ الاستعارة، وطورًا بلفظ الإيجاز، وآونة بلفظ الإرداف، وحيناً بلفظ الحقيقة » [٣]، وكرّر التعريف نفسه تحت مصطلح الاقتدار[٤].

(١) الإيضاح : ٢٠١، وينظر : مفتاح العلوم : ٤٣٧ .

(٢) ينظر : المختصر (ضمن شروح التلخيص) : ٣/ ٢٥٨ .

(٣) تحرير التحبير: ٥٨٢ .

(٤) بديع القرآن : ٢٨٩، وسبق إيراد تعريف الاقتدار ص٧ من هذا البحث.

فلا ريب أن المتلقِّي يسير وراء البيان الفذّ في تصريفه، وتجدُّد معانيه بسبل صياغتها المتنوِّعة وقوالبها المختلفة من تشبيه إلى كناية، ومن حقيقة إلى مجاز، فيراها تتفتَّق عن لطائفَ بيانيَّة خلاَّبة تتنافس في تقرير المعاني وترسيخها، ولا يخفى ما في تخيُّر أحد هذه الفنون على أقرانه من جوانب في التمايُز البلاغيّ، وميزان للتفاضُل في القول. وأسرار بلاغية يجعل البيان المعجِز كنزًا لا تفنى فرائده، وفيضًا زاخرًا لا تنقضي أمداده.

ومن شواهد التصريف في فنون البيان: تصوير الرهبة التي اختصَّت بها النفوس المؤمنة الشفَّافة عند سماع الآيات، رقيًّا في مدارج الكمال الإنساني، صُرِّف هذا المعنى بطرق عِدَّة في البيان المعجز، ومنها قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الأنفال]، فيه تصوير للوجل الذي يعتري القلوب المؤمنة عند ذكر الله تهيُّبًا واستعظامًا، يتبدَّى في معنًى حقيقيٍّ يُسلَّط الضوء فيه على القلب أمير البدن وحاكمه؛ ليتبيَّن تغلغُل الخوف من الله في تلك النفوس الطاهرة التي مُدِحت بهاته الصفة.

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة المؤمنون].

وفي تصريف آخر تُصوَّر أصالة الجوهر المؤمِن في حركة ظاهريَّة تُعرَض على وجه الحقيقة بالصوت والصورة، فما تُتلى عليهم آيات الرحمن حتى يخروا سُجَّدًا وبُكِيًّا، كما وصفهم ربهم ﷻ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟

سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾[سورة مريم]، وقوله عزّ من قائل: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة السجدة]. ويأتي التصريف في سياق آخرَ مادحًا تيك النفوس ومعرِّضًا بمن سواها؛ ليبيِّن عُمق الهوَّة بين الفريقين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾[سورة الفرقان].

وينافس المجاز العقليُّ الحقيقةَ في رسم صورة تنضح بخشية الله، يصوِّرها في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة المائدة] لافتًا الانتباه إلى العين مرآة النفس وهي تفيض من الدمع، وإذا الينبوع الذي تسيل منه مخايل الرجولة الناضجة هو نفسه الذي تسيل منه معاني اليقين الحيّ! وليس أرقّ ولا أصفى من دموع التائبين في جِلاء صفحة النفس وإظهار روائها.

وتأخذ الكناية مكانها منافِسة تلكم الصور بذكر اقشعرار الجلود لازم الخشية؛ ليتمَّ به استحضار هذه الصفة العظيمة في الذهن مقرونة بدليلها، في قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الزمر: ٢٣].

هكذا ينقلك البيان القرآنيُّ بتصريفه المبدِع من فنن إلى فنن، ومن صورة إلى صورة، فترى المعاني نديَّة مطواعة لصُوَرِه.

٥.التصريف في أساليب الحِجاج:

تـصريف الأدلّـة والحجـج والقـضايا، وتنويعهـا في الموضـوعات المختلفة بأساليب شتّى، من الأمور المهمّة التي يجب تعلُّمها في الاحتجاج والجدل، يقول ابن سينا (٤٢٨ هـ) مبيِّنًا قيمة التصريف: «ينبغي لمن أراد أن تحـصل لـه ملَكـة الجـدل أن يتعـوّد عكس القيـاس بـالنقيض والـضدّ، فيتوسّع في إناء القياسات. وربـما اقتـدر على أن يتلطّف متى شاء في ذلك، فيـنقض القيـاس مـن نفـسه، إذا أمكـن أن يُخفـيَ صـورة العكـس، ووجـد الشهرة تعينه.

ويجب على الجدليّ أن لا يزال يطلب الدربة بالاحتجاج للشيء الواحد من المواضع المذكورة بحجج كثيرة، ثم يعود، ويحتجّ لمقابله من مواضع أخرى، فتارة يعاند مقدِّمات تلك الحجج، وتارة مقدِّمات هذه الحجج التي تقابلها؛ فإنَّ ذلك يخرجه، وخصوصًا إذا كان جيِّد الطبع، حَسَن الاختيار للأفضل، والاجتناب للأخسّ، وأن يتحفّظ في المسائل الخلافيـّة المشهورة، ويحفظ حجج الإثبات والإبطال فيها »[(١)].

فلا غرو أن يأتي تصريف الحجاج في مثل البلاغة الأسمى على أرفع المستويات مثبتًا قضايا العقيدة الكبرى: الألوهيّة والربوبيّة والنبـوّة والبعث والحساب. يقـول ابـن القـيّم (٧٥١هـ) عـن تـصريف الحجـج في قـضايا العقيدة الكبرى: «إذا تتبّع المتتبِّع ما في كتاب الله مما حاجّ بـه عبـاده في إقامة

(١) المنطق : ٢/ ١٤٤ .

التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات الرسالة والنبوّة، وإثبات المعاد، وحشر الأجساد، وطرق إثبات علمه بكلِّ خفيٍّ وظاهر، وعموم قدرته ومشيئته، وتفرّده بالملك والتدبير، وأنّه لا يستحقّ العبادة سواه؛ وجد الأمر في ذلك على ما ذكرناه من تصرُّف المخاطَبة منه سبحانه في ذلك على أجلّ وجوه الحِجَاج، وأسبقها إلى القلوب، وأعظمها ملاءمة للعقول، وأبعدها من الشكوك والشُّبَه في أوجز لفظ وأبينه وأعذبه وأحسنه وأرشقه، وأدلّه على المراد»[(١)].

ويقف ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) عند قول الله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٤٦] مبيّنًا هذا النوع من التصريف في الحجاج وما يتبعه من دلائل التفكُّر في الأنفس والآفاق في قوله: «وتصريف الآيات اختلاف أنواعها بأن تأتي مرة بحجج من مشاهدات في السماوات والأرض، وأخرى بحجج من دلائل في نفوس النَّاس، ومرة بحُجج من أحوال الأمم الخالية التي أنشأها الله، فالآيات هنا هي دلائل الوحدانيَّة، فهي متَّحدة في الغاية مختلفة الأساليب متفاوتة في الاقتراب مِن تناول الأفهام عامِّها وخاصِّها، وهي أيضًا مختلفة في تركيب دلائلها من جهتي المقدّمات العقليَّة وغيرها، ومن جهتي الترغيب والترهيب ومن التنبيه والتذكير، بحيث تستوعب الإحاطة بالأفهام على اختلاف مدارك العقول»[(٢)].

(١) الصواعق المرسلة: ١/ ٤٦٠ .

(٢) التحرير والتنوير : ٦/ ١٠٥

فالتصريف في الأساليب الحِجاجيّة، يكون بالتعبير عن الموضوع الواحد بأفانينَ مبدِعةٍ من القول، فتتنوّع أساليبه تبعًا للموضوع، ونوع المخاطب، والغرض الذي يأتي الحجاج من أجله فتارة يبكّت الخصم ويفحمه من أقرب الطرق، وحينًا يسلك معه مسلك المجاراة، أو الاستدراج، أو الكلام المنصف، وآونة يأتيه بالتسليم العقليّ؛ ليستثير ذهنه للتفكير، ووقتًا يسلك معه سبل الاستدلال المختلفة المبنيّة على مقدِّمات ونتائج[(١)].

تصريف المعاني الحِجاجيّة في عقيدة البعث والجزاء:

والبعث من الأمور الغيبيّة التي لا يمكن للإنسان الإحاطة بكلِّ تفاصيلها، فقواه «الحسِّيَّة والعقليّة تقف في حقيقة المصير عند أمرين:

الأوّل: إثبات ظاهرة الموت؛ لأنّ آثارها مشاهَدة محسوسة.

والثاني: إثبات حتميّة وجود جزاء بعد الموت، ومفارقة هذه الحياة.

دون أن تستطيع الوصول إلى تفاصيل ذلك، وأنَّى للإنسان أن يصل إلى معرفة تفاصيل المصير بقواه القاصرة وعلمه المحدود؟ »[(٢)] لكن عقول الكفَرة أبت التسليم بهذه العقيدة، فجاء الحجاج على أهل الضلال في قضية البعث مصرَّفًا في معانيَ عدّة وأساليب متنوِّعة:

١. عرْض افتراءات المنكرين، والردّ عليها بأنّ البعث حقيقة غيبيّة

(١) للاستزادة من أساليب الاحتجاج ينظر : بلاغة الاحتجاج العقلي في القرآن الكريم.

(٢) أصول الإيمان بالغيب وآثاره : ٣٧٥- ٣٧٦.

واقعة، لكنّ علّة التصديق تكمن في نفوسهم؛ إذ قالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾[سورة المؤمنون]، ورأوا في عقيدة البعث من العجب ما بلغ الغاية، فانطلقوا يستهزئون بالنبيّ ﷺ، ومن ذلك ما جاء عنهم في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ ۗ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾[سورة سبأ].

وما أبلغ الردّ عليهم بالإضراب عن افتراءاتهم التي حاولوا أن يلبسوها لبوس المنهج العلميّ، ومضَوا يقسّمونها طعنًا في النبيّ ﷺ إذ دعاهم إلى الإيمان بعقيدة البعث؛ لكن تبيّن بالسبر بطلان ادعاءاتهم، فحُجُّوا، ودُمغت افتراءتهم، وأُظهر السبب الرئيس في هذا العجب، الذي يكمن في نفوسهم المِراض، وعقولهم القاصرة عن الإيمان بالآخرة، والتسليم بالغيبيَّات.

٢. سرْد القصص المشهودة التي عاينها المنكرون بأنفسهم في الدنيا: نحو ما جاء في قصّة بقرة بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[سورة البقرة].

ومنها قصّة أولئك الخارجين من ديارهم فرارًا من الموت، حين أماتهم الله ثم بعثهم، كما قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ

وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾[سورة البقرة].

٣. قياس بعث الأموات على أحوال أخرى معهودة لدى المنكرين، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾[يس: ٧٨ - ٨١].

وقد اشتهر القياس في قضيّة البعث والحساب التي ينكرها المشركون ولا تتصوّرها عقولهم، فاستُدلّ عليه بالقياس بطرق عدّة، لا يكاد يخلو منها كتاب يتحدّث عن جدل القرآن وأدلّته العقليّة[1]، أعرضها مرتّبة وفق ترتيب الآيات في المصحف:

أوّلها: قياس الحياة بعد الموت على اليقظة بعد النوم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾[الأنعام: ٦٠].

ثانيها: قياس إعادة الإنسان بالبعث على ابتداء خلقه، قال تعالى:

(١) ينظر: الرد على المنطقيين: ٢/ ٦٨- ٧٠، وأعلام الموقعين: ١/ ١٣٠، والبرهان في علوم القرآن: ٢/ ٢٦، والإتقان: ٤/ ٥٣- ٥٤.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٩]، وقال ﷻ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٤] .

ثالثها: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات، نحو: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [سورة الروم: ١٩].

رابعها: قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [سورة يس]، وقد اجتمع في هذه الآية قياسات عدّة: الإعادة على الابتداء، والإعادة على إخراج النار من الشجر الأحضر، والإعادة على خلق السماوات والأرض.

خامسها: قياس الإعادة على خلق السماوات والأرض نحو: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة غافر: ٥٧].

٤ . ويأتي الاستدلال على حتميَّة البعث ببيان علّته، وذلك نحو قول الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة النحل].

وهكذا يقرِّر القرآن حقيقة الموت والبعث في غير آية، وبطرق متنوِّعة تتنافس في تقريب المعنى وتأكيده؛ فليس أثر دقَّة على مِسمار كدقَّتين، ولا

رشْفة ماءٍ على قلبٍ صادٍ كرشْفتين.

٦. التصريف في القَصص:

للقَصص القرآنيِّ نصيب وافر من تصريف القول، فتارة يُنظَر إلى جِدَّة عَرْض القصَّة الواحدة وتنوُّع طرائقها التعبيريَّة من سياق لآخر على ضوء التناسُب بين القصة ومقصود السورة التي ضمَّتها، والعبرة التي انطوت عليها. وتارة أخرى يُنظَر إلى تصريفها في السياق الواحد وما يحمله من تقابُل في المعاني، وبراعة في الانتقال بينها، وإحكام في الربط بين حلقاتها، وإبداع في النظم والصياغة. وكلُّ هذا يكسوها حُلَّة قشيبة في كلِّ مرَّة، ويجنِّبها التَّكرار والإملال. لذا قامت كثير من الدراسات حول القصص القرآنيِّ – قديمًا وحديثًا – تتناوله من جانب المتشابِه اللفظيِّ والتناسب مبيِّنة أسرار تصريف القول فيه من سياق إلى آخر.

فقد تنبَّه الرمانيُّ –كما تقدم – إلى هذا النوع البديع من التصريف، وأشار الباقلانيّ إلى بلاغته بقوله: «قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصَّة الواحدة، ورأيناه [أي: القرآن] غير مختلِف ولا متفاوت، بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة، فعلمنا بذلك أنَّه ممَّا لا يقدر عليه البشر؛ لأنَّ الذي يقدرون عليه قد بيَّنَّا فيه التفاوت الكثير عند التَّكرار، وعند تبايُن الوجوه، واختلاف الأسباب... والقرآن على اختلاف ما يتصرَّف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة، يجعل المختلِف كالمؤتلِف والمتباين كالمتناسِب» [١].

كما سلَّط محمد أبو زهرة الضوء على قيمة هذا التصريف بالقصص

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني: ٨٨ – ٨٩.

قائلاً: «من صور التصريف البيانيّ بالقصص القرآنيِّ بيان بعض الأحكام الشرعيّة، فإنّ ذلك يثبت هذه الأحكام ويدعمها» (1).

ويعرض د.محمد عبدالعظيم المطعنيّ (١٤٣٠هـ) قضية تصريف حكاية الأحداث في القرآن بقوله: « لماذا اختلفت أساليب الحكاية والمحكي عنه واحد؟ والجواب:

أولاً: أن الاختلاف راجع في الأغلب إلى اختلاف الأحوال، ففي كلِّ عبارة جاءت على منهج معين؛ رعاية ومناسبة لمقام الحديث، ويتَّصل بهذا المظهر من مظاهر التحدِّي، حيث يكون المعنى الأصل واحداً، ويحدث بتكراره زيادات ومعان ثانية لم يزدد بها إلا حلاوة وطلاوة، على خلاف المعهود في بلاغة الناس، فإن التَّكرار فيه يعرِّضه للقوَّة والضعف والتهافت، وإن وُفق في موضع خُذل وسقط في موضع آخر.

ثانياً: الفروق اللفظيّة التي يجيء عليها التَّكرار، عندما نبحث عن أسرارها يتجلّى لنا بوضوح لماذا آثر القرآن لفظًا على لفظ، وأسلوبًا على أسلوب مما يؤدِّي في النهاية إلى الإقرار اليقينيّ بإعجاز القرآن » (2).

وتأتي القصة القرآنيّة في مواضع مختلفة من كتاب الله تعالى، ومن حكمته في ذكر القصّة ذاتها في سور عدّة متباينة فيما يذكر منها ومتغايرة في أسلوبها ومختلفة إيجازًا وإطنابًا، تقديمًا وتأخيرًا، وفي اكتمال جوانبها، فتُذكر القصة موجزة أحيانًا، وتُسلِّط الضوء على مرحلة معيَّنة بأحداث جديدة،

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن : ٣١٢ .

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ١/ ٣٦٥ .

وأحيانًا ترد في سياق مطنَب حافل بالتفاصيل التي يتطلبَّها المقام، وآونة ترد الأحداث نفسها بتصريف في أسلوبها، فهي لا تتكرّر، إنما تتصرّف وتتكامل، وتوجِّه الأنظار إلى جوانب منها تتعلَّق بما ترد فيه من السياقات، وترتبط بالتناسب والمتشابه، والمتتبِّع لقصص الأنبياء يجد مصداق ذلك فيما تكرَّر ذكره منها.

ويعقد محمد أبو زهرة مبحثًا بعنوان: قصص القرآن لون من تصريف بيانه. يذكر فيه كيف تتنوع القصص وتصوّر مشاهدها بالعبارات فكأنها ترى، وكأن الإنسان يعيش وقائعها لتنساب إليه العبرة في غير التباس(١)، ومن الشواهد على التصريف في القصص القرآني:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٢ –٧٣].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣ – ٢٤٤].

جاء الاستدلال في الشاهدين على البعث بقصتين مغزاهما واحد هو إثبات قدرة الله على البعث، وصُرِّفت كلٌّ منهما بطريق يناسب سياقها ومقامها.

(١) ينظر : المعجزة الكبرى القرآن : ٢٠٣– ٢٢٧ .

٧. التصريف في الأمثال:

المَثَل هو «تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر»[(١)].

يقول د.عبد الغنيّ الراجحيّ عنه: «قد يُقال في ضابطه: إنّه جملة من القول تستقلّ بذاتها، وتشتهر بالقبول والتداول، فتنتقل عما وردت فيه أوّلاً، إلى كلّ ما يصلح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وقد يُتوسَّع في ضابطه، فيمتدّ إلى كلّ كلام بليغ شائع حَسَن مشتمِل على تشبيه رائع، أو استعارة تمثيليّة، أو كلمة جامعة، أو موعظة نافعة، أو كتابة بديعة، ثمَّ إنّه كثيرًا ما يُطلَق- لاسيما في القرآن الكريم- ويُراد به الحالة والشأن القريب، والوصف العجيب، والقصّة الطريفة -سواء كان في الكلام تشبيه أم لا»[(٢)].

ويتبين التصريف في الأمثال بتدبر الشاهدين الآتيين:

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[الأنعام: ٧١].

قال تعالى:﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ

(١) أعلام الموقعين: ١/ ١٥٠ .

(٢) النهج القويم في دراسة علوم القرآن: ٥٣- ٥٤ .

تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحج :٣١]

هذا مثَلان ضربهما الله ﷻ للضلالة والحَيرة التي تكتنف من يرتدّ بعد الهداية، ومن يتوزّع قلبه بين صراط الحميد، وآلهة متعدِّدة من العبيد! فلا يدري من أين أقبل، ولا أين يريد! ويتفرَّق إحساسه؛ فيتخبّط في تيه لا نهاية له، هائمًا على وجهه في الفلوات والبيد. جُعل هذا المثل مقدِّمة يتّرتب عليها نتيجة تقرِّر أنّ الأمن في ظلِّ عقيدة التوحيد، بينما الخوف والحَيرة في هجير الشرك، والضلال البعيد، ففي الأول استهوته الشيطان وتوزعته حيرة الشرك وأصحابه يدعونه إلى الهدى، وفي المثل الآخر سقط سقوطًا مريعًا من السماء فتخطفته الريح وطوحت به في مكان مفزع بعيد جدًّا.

وبتدبر ما يشمله التصريف في البيان القرآني، يتبين أنه لا يقتصر على الأنواع المستنبطة السابقة، بل يمكن أن يأتي في وجوه المخاطبات التي تأتي لمعين أو لغير معين، وكذا تختلف في مجال المدح والذمّ والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والتكريم والتوبيخ إلى غير ذلك(١)، ويأتي التصريف في الفواصل القرآنية(٢)، وكذا في الخبر والإنشاء والتعبير بكل واحد منهما عن الآخر، ولا يكفي المقام لتفصيل كل الأنواع، فحسبي من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن أراد الاستزادة يمكنه الرجوع إليها.

(١) للاستزادة من التصريف في وجوه الخطاب، ينظر: وجوه الخطاب في سورة الإسراء، رسالة ماجستير لسارة البديع.

(٢) للاستزادة من التصريف في الفواصل القرآنية، متشابه الفواصل القرآنية دراسة بلاغية، لسارة البديع.

المبحث الثالث

القيمة البلاغيّة للتصريف

أبان القرآن الكريم في غير آية عن سرِّ تصريف بيانه المعجِز كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء:٤١]، وقوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنعام: ١٠٥]. وجاء لفظ التصريف المقصود من هذا البحث الذي يتضمن التحول الأسلوبي باختلاف السياق في عشر آيات[١].

وقال الخطيب الإسكافيُّ (ت٤٢٠هـ): «إذا أورد الحكيم -تقدَّست أسماؤه- آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غيَّر فيها لفظة عمَّا كانت عليه في الأولى، فلا بدَّ من حكمة هناك تطلب، وإن أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها، فليس لأنَّه لا حكمة هناك، بل جهلتم» [٢].

وتتلخص **القيمة البلاغية للتصريف فيما يأتي:**

١. إبراز المعنى بما يكتنفه من أبعاد مختلفة، بطرق متباينة تؤديه أتمّ أداء وأوفاه.

---

(١) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٤٠٨ .

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل : ١/ ٢٥٠-٢٥١ .

٢. التصرُّف في البلاغة من غير نقصان عن المرتبة العليا؛ فللتصريف قيمة عظيمة في أداء المعاني وتقريرها، وهو «فنٌّ بيانيٌّ دقيق المسلك، بعيد الغَور، يتسنَّم به الكلام ذروة البلاغة. وهو سرٌّ عظيم من أسرار إعجاز مَثَل البيان الأسمى في معانيه وعرض موضوعاته، فمع تفرُّق المعنى الواحد في القرآن، وتبايُن أوقات نزوله، إذ به يمثِّل وَحدة متكاملة يعرضها البيان الخالد وَفق نظام بديع، تنساب ألفاظه ملائمة لسياقها وموضوعها والعبرة التي تنطوي عليها في انسجام عجيب، وسبك متين، وتفنُّن دقيق»[1].

٣. **التأثير في نفوس المخاطَبين على اختلاف أنواعهم بطرق متعدِّدة، وصولاً إلى الإقناع والإذعان:** فـ «التعامل مع النفس البشريّة بجميع قواها لغايات الإقناع والتغيير، والاستجابة والتأثير، يقتضي التنويع في الأساليب والوسائل التي لها قدرة على تحريك هذه القُوى، فالضرب على أوتار النفس المتعدِّدة من شأنه أن يُخضِع النفس، ويقهر تفوُّقها في الجدَل»[2].

ويلفت محمد أبو زهرة الأنظار إلى هذا النوع من التصريف مع ربطه بالأغراض البلاغيَّة في قوله: «عند توجيه الله تعالى نظر المجادِل إلى الحقائق من غير اتجاه إلى إلزام من أوَّل الأمر، أو بعد إلزامه وإفهامه يكون تصريف البيان ومناحي التأثير، وتكون العبارات التي تخاطب العقل والوجدان، وتمسّ مواطن الإحساس، وتتنوّع المناهج، وتتضافر المعاني، وللألفاظ جدّتها وطلاوتها، ومع التكرار أحيانًا تزداد الفائدة، وتكثر الثمرات،

(١) التصوير البياني في آيات الأمن والخوف : ٣١٩ .

(٢) المقابلة في القرآن الكريم : ٤٨ .

وتتنوّع الأساليب من استفهام إلى تعجُّب إلى تهديد إلى إخبار، ويختلف الاتجاه إلى مواضع الاستدلال وينابيعه، فمرَّة يكون الاستدلال بردِّ المسائل إلى أمور بدهيَّة معروفة، أو حقائقَ مشهورةٍ مألوفة يخرّ المجادل أمامها صاغرًا، وأحيانًا يضرب الله تعالى الأمثال؛ ليقرِّب الحقائق ويدنيها »[١].

٤. تحقيق الغرض الأسمى والمطلب الأرفع للبيان القرآني، وهو الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والأخذ بيد المخاطَب نحو الصواب، باستخدام شتى الطرق لتهيئة المتلقِّي لاستقبال الدعوة برضًى، يشرق معه وجه الحقّ أمامه جليًّا؛ فيسير وراء المعنى في تصريفه، وتجدُّده بسبله البلاغية المتنوِّعة، وكلَّما أمعن المتدبّر فكره في أساليب البيان القرآنيّ المختلفة، وقف على بلاغة في الألفاظ لا تُحَدّ، وثراء في المعاني لا ينفد، وتصريف في العقول يتجدَّد، تتنوَّع فيه مناهج التأثير بالتنقُّل بين أساليبه البديعة، وأدلّته المعجزة حتى تتفتَّق عن لطائفَ جليلة تتنافس في تقرير المعاني وترسيخها، وقد استقرأ د.أحمد أبو زيد تصريف البيان في موضوع العقيدة أهمِّ الجوانب المؤثِّرة في تهذيب النفوس وإقبالها على الخير ونفورها من الشرّ، ومحلِّ الإنكار الشديد من الفئات البشريَّة الضالَّة، فخرج من استقرائه بنتيجة مفادها أنَّ القرآن لا يسير على أسلوب واحد في النَّظْم بل يصرِّف القول على أوجهٍ وأساليبَ شتَّى تتبارى في البلاغة، ليتمَّ بها تقرير الحقائق أتمَّ تقرير[٢].

(١) المعجزة الكبرى: ٤٠٨- ٤٠٩.

(٢) ينظر: التناسب البياني في القرآن: ٨١، ٨٣

٥. **تجديد نشاط المخاطب للإقبال على تلاوة القرآن، وتمثل أساليبه،** من أجل ذلك عُدّ التصريف جانبًا مهمًّا من جوانب الإعجاز القرآنيّ، يقول محمد عبد العظيم الزرقانيّ (١٣٦٧هـ): «ومن عجب أنَّه في تحويله الكلام من نمط إلى نمط؛ كثيرًا ما تجده لا يُجارى في سرعته، ثُمَّ هو على هذه السرعة الخارقة لا يمشي مُكِبًّا على وجهه، مضطربًا أو متعثرًا، بل هو محتفِظ دائمًا بمكانته العُليا في البلاغة يمشي سويًّا على صراط مستقيم... لقد خلع هذا التصرُّف والافتنان لباسًا فضفاضًا من الجِدَّة والرَّوعة على القرآن، ومسحه بطابَع من الحلاوة والطلاوة، حتى لا يملَّ قارئه ولا يسأم سامعه، مهما كثرت القراءة والسماع، بل ينتقل كلٌّ منهما من لون إلى لون، كما ينتقل الطائر في روضة غَنَّاء من فَنن إلى فَنن ومن زهر إلى زهر» [١].

٦. إيصال معانيه تامة إلى مختلف الأفهام التي تنطوي عليها النفوس البشرية: ويقف ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) عند هذا النوع من التصريف في الحجاج مبينًا ما يتبعه من دلائل التفكر في الأنفس والآفاق في قوله: «وتصريف الآيات اختلاف أنواعها ... فهي متَّحدة في الغاية مختلفة الأساليب متفاوتة في الاقتراب مِن تناول الأفهام عامِّها وخاصِّها، وهي أيضًا مختلفة في تركيب دلائلها من جهتي المقدّمات العقليَّة وغيرها، ومن جهتي الترغيب والترهيب ومن التنبيه والتذكير، بحيث تستوعب الإحاطة بالأفهام على اختلاف مدارك العقول» [٢].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن : ٢/ ٢٦٩- ٢٧٠.

(٢) التحرير والتنوير : ٦/ ١٠٥ .

٧. زيادة العبرة والموعظة وتذكير الناس بعاقبة الفجرة من الأمم السابقة، لاستحضار خشية الله والخوف من عذابه. ولتسلية النبي ﷺ والمؤمنين بذكر رحمة الله ووعده ومعيته للمؤمنين.

٨. في ذكر القصة ذاتها في عدة سور استكمال لجوانب القصة، فتُذكر موجزة تارة ومطنبة تارة أخرى، ويسلط الضوء فيها على جانب من الأحداث في كل سياق يتعلق بالمقام وقرائن الأحوال والسياق، تكرار القصة في مواضع من القرآن يضفي على بيانه العظيم جمالا وبياناً لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله. ومع تكرار بعض القصص في سور مختلفة إلا أننا لا نجد أي خلل أو تناقض، ولا غرو فالقرآن كلام الله تعالى.

٩. الحِجاج على أهل الضلال بتصريف المعنى الواحد في سياقات مختلفة، تتبوَّأ أسمى درجات البلاغة [(١)].

١٠. تمكين العبرة والموعظة، وتقرير المعاني المهمّة لتذكير الناس، وبخاصة أهل الضلال الذين يتذرّعون بأقبح الأباطيل لأجْل التمادي في الغواية: وقد أكّدت هذه القيمة في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾[الإسراء: ٤١]، وقوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[الأنعام: ١٠٥].

١١. زيادة التدبّر في القرآن الكريم، فالتصريف إعجاز في الأسلوب، يجمع بين الإجمال والتفصيل، والإبهام والوضوح، وإمعان الفكر فيه يزيد من المعارف والأسرار.

(١) ينظر: النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): ١٠١- ١٠٢.

الخاتمة

وبعد، فإن من فضل الله عليّ أن كانت هذه الجولة في إعجاز التصريف القرآني التي تنقَّلت فيها مع أساليبه البديعة، وأفانينه المعجزة؛ مُنعِمة النظر فيما يندرج تحته من أنواع، مبيِّنة من أوردها من العلماء، متوسمة ما وراءها من مقاصد ولطائف.

فكلّ ما ذكرته من التصريف في المعاني والأساليب ما هو إلاّ غيض من فيض وقطرة من بحر، ويظهر بتدبُّر القرآن « في كلِّ ما تصرّف فيه من الأنواع أنّه على سمت شريف، ومرقب منيف، يبهر إذا أخذ في النوع الرِّبيّ، والأمر الشرعيّ، والكلام الإلهيّ، الدالّ على أنه يصدر عن عزّة الملكوت، وشرف الجبروت، وما لا يبلغ الوهم مواقعه: من حكمة وأحكام، واحتجاج وتقرير، واستشهاد وتقريع، وإعذار وإنذار... تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب، مجلوّة عليك في منظر بهيج، ونظم أنيق، ومعرض رشيق، غير معتاصٍ على الأسماع ولا مغلَق على الأفهام، ولا مُستكرَه في اللفظ، ولا مُستوحَش في المنظر »[1].

وهكذا يتنقل البيان الإلهيّ المعجز بين المعاني؛ ليقرِّر قضايا التوحيد البالغة الأهمّيَّة ويهذِّب النفوس ويسهّل لها دروب الفهم والتأثر بأوجهٍ متغايرة، وأساليبَ شتَّى تتبارى في البلاغة، ليتمَّ بها تقرير الحقائق أتمَّ تقرير، بتنوّع في الأسلوب والعرض، ليوجِّه الأنظار، وينبه العقول،

(١) إعجاز القرآن للباقلاني : ٣٢٥ .

ويطلقها من القيود التي استحكمت فيها.

وبعد هذا العرض الموجز الذي سعى إلى الكشف عن الجوانب الوصفية لأسلوب التصريف، آن لي أن أسجل أبرز ما بينته هذه الدراسة:

- ناقشت الدراسة معنى التصريف في القرآن، وتفوّقه على غيره من المصطلحات التي حاولت منافسته كالتكرار والترداد والتشابه، وثبت تفوُّقه عليها ومواءمته للبيان الإلهيِّ المعجِز؛ فهو مصطلح قرآنيّ.

- أظهر البحث كيف صُرِّفت القصص والمعاني والألفاظ في القرآن بطرائق شتَّى في مواطن متفرِّقة؛ لتتحقّق بذلك مقاصده بأبلغ الأساليب وأبدعها، فلا تكرار في مشاهده المتنوعة، بل تنوُّع عجيب وتفنُّن بديع، انفرد به بيانه الفذّ.

- يعدّ التصريف في القرآن بما أتى عليه من أساليب متنوِّعة من أبرز مظاهر الإعجاز القرآنيّ، حيث يصوِّر المعاني بأساليب مختلفة تعطي جوانب النفس -الحسِّيَّة والمعنويّة- نصيبها المطلوب من التأثير، فيذكِّر المؤمنين، ويهدي الكافرين، ويفحم المعاندين، وهو في كل هذه الأساليب مبرَّأ عن التناقض .

- يختلف تصريف المعاني تبعًا للسياقات المختلفة مما يعمق الإحساس بقوَّة المعنى وبراعة الأسلوب، وهذا جزء من علم التناسب بين المحكم والمتشابه في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

- جاء التصريف القرآنيِّ لخدمة مقاصد الكتاب الكريم، وامتاز برقيِّ

الأسلوب ووضوح المعالم مع الإسهام الكبير في تجلية المعاني والتأثير الوجدانيِّ، ولم يقتصر على جانب واحد، بل تنافست فيه الأساليب المعجزة في إبراز المعاني بألفاظها وتراكيبها.

- أكَّدت الدراسة أن توارد الألفاظ والتراكيب على معنًى واحد مع استقلال كل أسلوب بمعنًى لا يكون في غيره لصياغة صورة متكاملة للمعنى القرآني الجليل بأداء بديع سمة مميزة للتصريف القرآني.

- أبانت الدراسة عن بلاغة التصريف في التعبير بالماضي عن المستقبل للدلالة على تحقُّق الوقوع، فتبدو أهوال القيامة حين تصرّف بهذا الأسلوب وكأنها قد وقعت رأي العين، وعاين أصحابها أحداثها من أمن ونعيم تتوق إليه النفوس، إلى فزع وهول تنخلع له القلوب، ويتجدد نشاط المتلقي ويستحضر الصورة بتجددها حين تصرّف المعاني في السياق نفسه إلى المضارع.

- جلّى البحث القِيَم البلاغيّة الوظيفية لتصريف المعاني في القرآن الكريم، كاشفًا عن بلاغة استعمال كل منها لمقتضى الحال.

هذا وإنني أحمد الله ﷻ على ما بلَّغني إيَّاه من إتمام هذا البحث وإخراجه، وأسأله سبحانه أن يباركه، ويجعله فاتحة خير! وأستغفره سبحانه من كلِّ خطأ، أو تقصير. وأسأله أن يجعل ما صرفت فيه من جهد ثِقَلاً في ميزاني!

ولله الحمد أولاً وآخرًا، وصلى الله وسلَّم على خير خلقه محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم: المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٨هـ .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود الحنفي، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ .
- أصول الإيمان بالغيب وآثاره، د. فوز كردي: دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.
- إعجاز القرآن، أبوبكر الباقلاني، شرح وتعليق د. محمد عبدالمنعم خفاجي: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق طه عبد الرءوف سعد: دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣ م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي وبهامشه حاشية أبي الفضل الكازروني، تحقيق عبد القادر حسونة، إشراف مكتب البحوث والدراسات: دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ .
- بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق د.حفني محمد شرف: نهضة مصر للطباعة والنشر.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ .
- بلاغة الاحتجاج العقلي في القرآن الكريم، زينب كردي، رسالة دكتوراه

غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ.
- بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، د.عبد الله النقراط: دار قتيبة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- بيان إعجاز القرآن، الخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن).
- البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون: مكتبة الخانجي، مصر .
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق د.حفني محمد شرف: وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٤١٦هـ .
- التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: مؤسسة التاريخ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ .
- تصريف المعاني في القرآن الكريم، د.عبدالعزيز العمار: بحث منشور في مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام: العدد ٢٤، ١٤٣٣هـ
- التصوير البياني في آيات الأمن والخوف، زينب كردي: دار غراس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، وبهامشه تفسير النهر الماد من البحر لأبي حيان نفسه: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- تقرير الشمس الإنبابي على شرح السعد التفتازاني لتلخيص المفتاح وحاشيته المشهورة بالتجريد: مطبعة السعادة، مصر، ١٣٣٠هـ .
- التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي، أحمد أبو

زيد: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ١٩٩٢م.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- حاشية ابن عرفة الدسوقي على مختصر السعد (ضمن شروح التلخيص) : دار الكتب العلمية، بيروت.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. محمد عبدالعظيم المطعني: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د.محمد أبو موسى: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٢١هـ.
- درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، تحقيق د.محمد مصطفى آيدين: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الرد على المنطقيين، ابن تيمية، تقديم وتعليق د.رفيق العجم: دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق د.علي بن محمد الدخيل الله: دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة

العلوي، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ .

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، البهاء السبكي، تحقيق د.خليل إبراهيم خليل: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق د. النبوي شعلان: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- في ظلال القرآن، سيد قطب: دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية السادسة والعشرون، ١٤١٨هـ .
- لسان العرب، ابن منظور: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م .
- متشابه الفواصل القرآنية دراسة بلاغية، د.سارة البديع: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ١٤٣٤هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد: المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ .
- المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٩٠هـ .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي: دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٨هـ .
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، عني به: د.محمد عوض مرعب، فاطمة أصلان: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .

- مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ .
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف السكاكي، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ .
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد خليل عيتاني: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ .
- مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، تحقيق أحمد بن علي: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ .
- من بلاغه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ط١، دار اشبيليا، الرياض، ١٤٢٢هـ
- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو القاسم السلجماسي، تقديم وتحقيق علال الغازي: مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- المنطق، ابن سينا: المكتبة الشاملة.
- النكت في إعجاز القرآن للرماني (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله، ود.محمد زغلول سلام: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.
- النهج القويم في دراسة علوم القرآن، د. عبدالغني الراجحي: مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

أسماء سور القرآن الكريم
عند الإمام البخاري من خلال صحيحه

دراسة تأصيلية تطبيقية

إعداد

د. حاتم بن عابد القرشي

د. حاتم عابد القرشي .

- الأستاذ المساعد في قسم القراءات -كلية الشريعة والأنظمة -جامعة الطائف .
- حصل على درجة الماجستير من قسم التفسير وعلوم القرآن- جامعة أم القرى بمكة المكرمة بأطروحته: (تحقيق كتاب مباحث التفسير لابن المظفر الرازي (ت٦٣١هـ)).
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم التفسير -كلية القرآن -الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحته: (تحقيق البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي من آية ٣٥ إلى ٩١ من سورة البقرة).

ملخص البحث:

تناول البحث مسألة أسماء سور القرآن من غير مصادرها المعتادة ككتب التفسير وعلوم القرآن، فتركز البحث حول أسماء سور القرآن عند الإمام البخاري في صحيحه وخاصة في تبويباته؛ لما لها من أهمية كبيرة لا تخفى. ويعتبر صحيح البخاري من المراجع الهامة في مسائل علوم القرآن نظراً لمكانته وتقدم مؤلفه.

وبرز من خلال البحث منهج البخاري في تسمية السور فنجد أنه يسمي كل سورة باسم لها ونادراً ما يذكر عدة أسماء أو يعلل الأسماء. كما قد تعددت صيغ البخاري في تسميته للسور فتارة يسميها بمطلعها إما بكلمة أو كلمتين وربما بمطلعها من الحروف المقطعة. كما أن البخاري ذهب إلى جواز تسمية السور بإضافتها إلى الاسم المفرد ونص على ذلك في تبويباته وعليها جرى صنيعه.

ومن خلال الدراسة التطبيقية برز منهج البخاري في قصده إفراد كل سورة باسم يخصها وربما اعتمد على المأثور وقد يجتهد عند عدمه. كما قام الباحث بالنظر في نسخ صحيح البخاري للاطلاع على الفروقات في تسمية السور، ومن ثم مقارنة تسمية البخاري للسور مع بعض الكتب المعاصرة في أسماء السور، ومن نتائج ذلك ظهر أنهم أحياناً يعزون اسم السورة لمصادر متأخرة بينما هي عند البخاري في الصحيح وعزوها له هو الأدق.

ويأمل الباحث أن يكون هذا البحث مساهمة جادة في تصويب النظر حول المراجع الأصيلة في مختلف العلوم للاستفادة منها في تخصص الدراسات القرآنية.

Abstract

The current research work investigates the subject of the names of the Holy Qur'an's chapters (*Suras*) from unconventional sources like the books of Qur'anic explication and the books of the Science of Qur'an. It focuses on the names of the Holy Qur'an's chapters in Imam Bukhari's *sahih* (authentic collection of Prophetic Muhammad traditions), especially through the book's sections because of their great, indisputable significance. Bukhari's Sahih is one of the most important references in the science of Qur'an due to the book's status, and the distinction of its author among early Muslim scholars.

Through the discussion Bukhari's methodology of naming the Qur'anic chapters becomes evident. He gives each chapter (*sura*) a specific name, and he occasionally gives several names for the same chapter, without justifying his choice of names. Bukhari's method in naming the chapters vary as well; as he sometimes names a chapter after its first word, or two words, and on other occasions, he names it after the individual letters with which the chapter begins. Furthermore, Bukhari approved in his book naming the Qur'anic chapters by using the genitive case with the singular noun, a practice he regularly follows.

The application reveals Bukhari's methodology in designating a specific name to every chapter, basing his choices either on previous scholarly

works, or on his own judgment, if no previous work existed. The researcher also investigated different copies of Bukhari's *Sahih* to gain insight into the differences in naming the chapters, and then compared Bukhari's chapters names with names listed in some contemporary books. This led to the conclusion, that researchers sometimes attribute the name of the *sura* to later works, while, in fact, these names are mentioned in Bukhari's book, and thus, should be attributed to him.

The researcher hopes that his research work is a significant contribution towards correcting the misconceptions that surround authentic references in various fields of knowledge in order to benefit from them in the field of Qur'anic studies.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله المتفضل على عباده بوافر النعم، المتفرد بالعظمة والجبروت، وأصلي وأسلم على خليله المصطفى ونبيه المجتبى محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الكرام، أما بعد:

فإن القرآن الكريم وعلومه هو خير مَعِين تتوجه له الهمم بالبحث والدراسة، فهو كلام رب العالمين، وهو كتاب الهداية للخليقة كافة، وكتاب حِكَم وأحكام وعبادات ومعاملات وعقائد وقصص، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لا في حروفه ولا في حدوده فهو النور المبين من رب العالمين.

وإن مسائل القرآن وعلومه كثيرة، وقد أولاها سلفنا الصالح وسائر العلماء العناية الكبيرة فبحثوا مسائلها ودونوا فيها المصنفات بشكل مفرد وبشكل مجموع، وما زالت العناية متواصلة ببحث تلك المسائل وإبراز كل جديد مفيد فيها.

وفي هذا الصدد توجهت همتي بالبحث في موضوع من موضوعات علوم القرآن وهو موضوع "أسماء سور القرآن" مسلطاً الضوء فيه على كتاب إمام من أئمة المسلمين ورمز من رموز الأمة الإسلامية العظام، وهو الإمام البخاري عليه رحمة الله. فجاء بحثي الذي سَمَّيْتُه "أسماء سور القرآن عند الإمام البخاري من خلال صحيحه" ليشكل لبنة أرجو أن تكون مفيدة، وقِيمَة مضافة لحقل مكتبة الدارسات القرآنية.

وإن موضوع أسماء سور القرآن الكريم أحد الموضوعات التي حظيت بعناية العلماء؛ لما فيها من حكم وفوائد[1] في تعلقها بكتاب الله ومعانيه، ولقد عقد فيها إمام المفسرين ابن جرير الطبري فصلاً في مقدمة تفسيره[2] فقال: "القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه".

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال النقاط التالية:

١. أن البخاري من جِلَّة العلماء المتقدمين ويحسن إبراز منهجه في مسائل علوم القرآن، ومنها أسماء سور القرآن، وذلك -حتماً- سيساهم في بيان مراحل تأريخ هذا العلم وعناية العلماء به. وكان صحيح البخاري محل عناية المفسرين في مسائل علوم القرآن ومنها تسمية السور، فهذا القاضي ابن عطية ينقل في تفسيره المحرر الوجيز[3] عن البخاري في صحيحه في تسمية سورة الفاتحة ويصرِّح باسمه فقال: "قال البخاري: سميت أم الكتاب؛ لأنه يبدأ بكتابتها في المصحف...".اهـ.

٢. قوة القول تكون بتقدم القائل به، فكلما كان القائل بالقول أقرب إلى عصر النبوة كان قوله مقدَّماً على قول غيره، والبخاري توفي في

(١) في فوائد تسوير سور القرآن، انظر كتاب د. محمد الشايع أسماء سور القرآن ص (٨-٩).

(٢) (١/ ٨٩).

(٣) (١/ ٧٠).

منتصف القرن الثالث الهجري، وفي نسبة اسم أي سورة له نسبتها لزمن متقدم وهو أولى من نسبتها لمتأخر عنه، فمثلاً سورة التحريم تسمى سورة الـمُتحرّم وبهذا ذُكرت في صحيح البخاري، وقد نسبها باحثون معاصرون[1] لابن الجوزي في تفسيره وهو متوفى في القرن السادس (ت٥٩٧هـ)، وللسيوطي المتوفى في القرن العاشر (ت٩١١هـ)، ولا شك أن نسبتها للبخاري المتوفى في القرن الثالث (ت ٢٥٦هـ) أولى وأحرى بحقيقة البحث العلمي. وفي هذا تظهر أهمية بحث المسائل العلمية في غير مظانها.

٣. أهمية تراجم وتبويب البخاري في صحيحه عند العلماء، فإن لذلك اهتماماً بارزا لديهم وقد ألفت فيه المؤلفات[2]، والغوص في أسرار تبويب البخاري لصحيحه من بوابة الدراسات القرآنية يُعد إضافة

---

(١) انظر أسماء سور القرآن لـ د.محمد الشايع ص (١٦٩)، وأسماء سور القرآن لـ د. نورة الدوسري ص (٤٥٩).

وهنا لابد من تسجيل كلمة ثناء واعتذار لكل من د. محمد الشايع ود. منيرة الدوسري، فإنهما قد بذلا جهداً كبيراً ومشكوراً في بحثيهما عن أسماء سور القرآن وقد استقصيا وجمعا أسماء السور من مراجع عدة ككتب التفسير وكتب الحديث وغيرها. وإن فوات نسبة بعض أسماء سور القرآن للبخاري مع نسبتها لمتأخرين لا يقلل من جهديهما، ولهما في ذلك أوسع العذر، فإن بحثيهما جَمْع لكل أسماء السور ومن شتى المراجع فمن المتوقع فوات بعض الأسماء وفوات نسبتها للمتقدمين، كما أنهما يعذران في عدم تتبع نسخ صحيح البخاري؛ لكون بحثيهما أوسع مقصداً من بحثي هذا. وأبحاثنا إنما هي مكملة لبعضها بعضاً وفي النهاية تصب في مصلحة الدارسات القرآنية.

(٢) سيأتي ذكر هذه الكتب عند الحديث عن أهمية تراجم البخاري.

علمية لمنهج البخاري في صحيحه وإبرازاً لمزيد من الإفادة في تخصص الدراسات القرآنية وتكشيفاً لها في غير مظانها.

أهداف البحث:

١. إبراز اعتناء البخاري بأسماء سور القرآن.

٢. الكشف عن منهج البخاري في أسماء سور القرآن.

٣. فحص نسبة أسماء سور القرآن في أبحاث المعاصرين للبخاري أو متأخرين عنه.

الدراسات السابقة:

١. منهج الإمام البخاري في التفسير من خلال كتابه الصحيح، رسالة ماجستير لسيد أحمد خطري، كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى عام ١٤١٥هـ ولم يتعرض لموضوع سور القرآن بتاتاً.

٢. بحث "تثوير علوم القرآن من خلال كتاب التفسير من صحيح البخاري" للدكتور مساعد الطيار، وهو بحث محكم ومنشور إلكترونياً في مجلة الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود. وكَتب فيه الكاتب أسطراً معدودة ومفيدة عن منهج البخاري في تسمية سور القرآن، ولم يستوف موضوع سور القرآن عند البخاري؛ نظراً لاشتمال البحث على أنواع أخرى من علوم القرآن، وعدم تقصده لهذا النوع بالذات.

منهج البحث:

قام البحث على منهج الاستقراء والتحليل والنقد، فقمت في الشق النظري باستقراء كل موضع في صحيح البخاري[1] ذكر فيه اسماً لسورة من القرآن، وعلى رأس ذلك تراجم أبواب البخاري في صحيحه بدءاً بكتاب التفسير وفضائل القرآن ثم باقي الصحيح، وقمت باستخلاص منهجه في أسماء سور القرآن.

وأما قسم الدراسة التطبيقية في البحث فقد ركزت فيها على تسمية البخاري لسور القرآن - فهي مدار البحث - مع موازنتها بما ورد في السنة، وفي كتب الدراسات القرآنية التي سبقت البخاري أو عاصرته تقريباً[2]، مع

---

(١) اعتمدت في تسمية البخاري لأسماء السور على طبعات مؤسسة الرسالة ناشرون - الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-؛ نظراً لدقتها واعتناء المحققين بها، وفي ذكر أسماء السور لنُسَخ الصحيح الأخرى اعتمدت على النسخة اليونينية التي هي أعظم أصل يُوثَّقُ به في نسخ صحيح البخاري والتي اعتُنِي بها أشد الاعتناء ضبطاً وتصحيحاً ومقابلة على الأصول الصحيحة التي رواها الحفاظ الإمامُ اليونينيُ (ت٧٠١هـ) ومن أبرز ما ميزها جمعه واستيعابه للروايات المتعددة للصحيح، وعقد لها مجلس سماع بحضور الإمام النحوي ابن مالك، وطبعت بعد ذلك في المطبعة الأميرية بأمر من السلطان عبد الحميد رحمه الله وطبعت ببولاق عام ١٣١١هـ ثم أعيد إخراج هذا النسخة الفريدة بإشراف وعناية د. محمد زهير ناصر الناصر وطبعت بدار طويق عام ١٤٢١هـ الطبعة الأولى، وعلى هذه الأخيرة اعتمدت في ذكر فروقات نسخ البخاري في تسميته للسور وبالتالي يكون الاعتماد أصلاً على اليونينية التي أوثق نسخة وأجمعها في نسخ الصحيح. كما استعنت في تحرير فروقات نسخ البخاري بكتاب إرشاد الساري للقسطلاني؛ لكونه من أدق شروحات الصحيح في ضبط نسخه.

(٢) كمعاني القرآن للفراء، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، وتفسير ابن جرير، وبعض كتب عد الآي كأسماء القرآن لابن شاذان الرازي (توفي في القرن الثالث)، وعدد سور القرآن =

عدم قصد استقراء جميع التفاسير - ولاسيما المتأخرة - لخروج ذلك عن مقصد البحث.

ثم النقد لبعض الكتب المعاصرة التي ألفت في أسماء سور القرآن(١) في نسبة الاسم المذكور لصحيح البخاري، ولن أشير لها في حالة عدم الحاجة؛ كعزوهم اسم السورة للمروي عن النبي ﷺ أو عن صحابته، أو في حالة نسبتها للبخاري في صحيحه بشكل صحيح. وإنما أبين ذلك عند نسبتهم للسورة لمن هو بعد البخاري من محدثين أو مفسرين، أو عند نسبة الاسم خطأ للبخاري وما شابه.

وليس من مقاصد البحث استقراء أسماء السورة الواحدة كلها؛ وإنما مدار الدراسة التطبيقية تسمية البخاري للسور ثم النظر لوجودها من عدمه في المصادر محل العناية.

وإذا ورد اسم السورة -المترجم لها البخاري- في السنة فإني أثبت دليلها من السنة -وإذا ورد في الأحاديث المرفوعة الصحيحة اكتفيت به عن ذكر الوارد عن الصحابة وغيره من مراجع غالباً-، ولن أتوسع بذكر المصادر في علوم القرآن أو التفسير التي ذكرت هذا الاسم. كما أنه ليس من مقاصد البحث الاعتناء بتعليل تسمية السور أو مقاصد ذلك؛ لكونها خارج حدود

= لابن عبد الكافي (توفي في القرن الخامس).

(١) ككتابي د. محمد الشايع ود. منيرة الدوسري، وأغفلت كتاب أسماء القرآن الكريم وأسماء سوره وآياته للد. آدم بمبا؛ لأنه لم يشتمل على كل سور القرآن وإنما بعضها، كما أنه لم ينسب منها شيئاً وإنما مجرد ذكر لها.

البحث.

كما قمت في بحثي بما يلي:

١. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني مع عزوها إلى سورها ورقم الآية في المتن حين ورودها لأول مرة.

٢. خَرَّجت الأحاديث النبوية بذكر رقم الحديث، وما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وما لم أجده فيهما فأجتهد في تخريجه من كتب السنة بحسب الجهد.

٣. اجتهدت في الترجيح واختيار الأقوال الراجحة فيما عرضته مما كان فيه خلافاً في مسائل تسمية السور دون أفراد أسماء السور.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: اشتملت على أهمية البحث، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

تمهيد: وفيه النقاط الآتية:

- ترجمة البخاري والتعريف بصحيحه.
- أهمية تراجم أبواب البخاري.
- تعريف السورة.
- حكم تسمية سور القرآن.

المبحث الأول: أسماء سور القرآن عند البخاري وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صيغ البخاري في تسمية أسماء السور.

المطلب الثاني: منهج البخاري في أسماء السور.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية لسور القرآن في الصحيح ونقد المؤلفات المعاصرة في سور القرآن.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

قائمة المراجع.

تمهيد:

ترجمة البخاري:[1]

اسمه ونسبه وولادته:

الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه[2] الجُعْفِي مولاهم[3] البخاري، إمام المحدثين وقدوة الحفاظ الناقد المجتهد. كان جده المغيرة مجوسياً فأسلم، وكان والده من كبار المحدثين ومن تلاميذ الإمام مالك، ترجم له البخاري ترجمة موجزة في التاريخ الكبير.[4] ولد البخاري بعد صلاة الجمعة من شهر شوال سنة (١٩٤هـ) في مدينة

---

(١) اعتمدت في الترجمة على مرجعين أساسين هما: جزء فيه ترجمة البخاري للذهبي، وكتاب سيرة الإمام البخاري للمباركفوري، والأخير من أجود وأجمع ما كتب عنه، وينظر في ترجمته أيضاً: الجرح والتعديل (٧/ ١٩١)، وفيات الأعيان (٤/ ١٨٨)، وتهذيب الكمال (٢٤/ ٤٣٠)، وطبقات الحنابلة (٢/ ٢٤٢)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢١٢)، ومقدمة فتح الباري (١/ ٦٦٩). وأفرده جمع بالتصنيف سوى من ذكرت.

(٢) اختلف في ضبط (بَرْدِزْبَه) والذي أثبته هو المختار عند ابن ماكولا في الإكمال (١/ ٢٥٩)، وهو اسم فارسي ويعني المزارع. ينظر الإكمال، والتوضيح لابن الملقن (٢/ ٤٦). وهذا يشير إلى أن البخاري كان أعجمي النسل.

(٣) نُسب إلى الجعفي ولاء؛ لأن المغيرة جد البخاري أسلم على يد أمير بخارى يمان الجعفي، قال المباركفوري في سيرة البخاري (١/ ٥٥): "كان العرف السائد أن الإنسان إذا أسلم على يدي رجل نُسب إلى قبليته وكانت تسمى هذه النسبة نسبة الولاء في الإسلام، ولم يكن المغيرة بمعزل عن هذا العرف العام، ولذلك نُسب -هو وكل ولد له من بعده حتى الإمام البخاري- جعفياً". اهـ.

(٤) التاريخ الكبير (١/ ٣٤٢).

بخارى[١] الواقعة في خرسان، وكان ذلك في خلافة الأمين، عاش البخاري يتيماً وتولت والدته رعايته في كنف أسرة متدينة خيرة غنية.

طلبه للعلم:

طلب البخاري الحديثَ وهو ابن عشر سنين، ومال قلبه إلى حفظ الأحاديث وفقهها من سن مبكرة فقاده هذا للتميز. وكان حريصاً على تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها، ومعرفة علل الأحاديث والاطلاع على أحوال رواة الحديث ومقارنة الأسانيد بعضها البعض واستنباط المسائل من الأحاديث.

كان بداية طلبه للحديث في خرسان ثم خرج مع أمه وأخيه لمكة فرجعا وأقام هو في طلب الحديث، وواصل رحلته في طلب الحديث فزار العراق والشام ومصر وزار في الحجاز مكة والمدينة والطائف وجدة. بالإضافة إلى أخذه من شيوخ مَرو وبَلْخ ونيسابور والرَّي وغيرها.

وتميز البخاري بقوة الحفظ والذاكرة، قال محمد بن الأزهر: "كنت في مجلس سليمان بن حرب والبخاري يسمع ولا يكتب، فقيل لبعضهم: ماله لا يكتب؟ فقال: يرجع إلى بخارى ويكتب من حفظه"[٢].

ولقد أثنى عليه جمع غفير من كبار العلماء، فقال الإمام أحمد بن حنبل:

---

(١) هي من أكبر مدن أوزبكستان، وكانت تقع تحت الاحتلال السوفيتي قبل تفككه. انظر موسوعة ويكبيديا.

(٢) انظر فتح الباري (١/ ٤٨٧).

"ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل".[1] وقال ابن خزيمة: "ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخاري"[2].

أخلاقه:

لقد ورث البخاري من والده ثروة كبيرة، وكان يعطي المال لمن يضارب به ليتفرغ لخدمة العلم النبوي، قال البخاري: "ما توليت شراء شيء ولا بيعه، وقد كنتُ أُكفى ذلك".[3] وكان يساعد طلبة العلم والشيوخ والمحدثين بماله، فكان يعين طلبة العلم ويشجعهم على الانهماك في طلب العلم النبوي، ويحسن إلى أهل العلم كثيراً. وقد أنشأ مكاناً للرباط بقرب بخارى.

وكان سمحاً رحيماً في تعاملاته المالية، وكان بعيداً عن التعصب، وصاحب رأي وتدبير، وكان متواضعاً زاهداً وشديد الحياء، عفيف اللسان حتى اشتُهرت عنه عبارته التي قال فيها ما يدل على تورعه من غيبة الخلق قال: "أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً".[4]

شيوخه:

أخذ البخاري عن شيوخ كثر ومن أشهرهم محمد بن سلام البِيْكَنْدِي

(١) جزء الذهبي ص (٤٩).
(٢) المصدر السابق.
(٣) تاريخ بغداد (٢/ ١١) وجزء الذهبي ص (٥٤).
(٤) تاريخ بغداد (٢/ ١٣).

(ت٢٢٥هـ)، وعبد الله المُسْنَدي (ت٢٢٩هـ)، وعبد الله الحُميدي (ت٢١٩هـ)، ومحمد بن يحيى الذُّهلي (ت٢٥٨هـ).

تلامذته:

حدَّثَ عنه خلائق، منهم الإمام مسلم (ت٢٦١هـ)، والترمذي (ت٢٧٩هـ)، وأبو حاتم الرازي (ت٢٧٧هـ)، وابن خزيمة (ت٣١١هـ)، والفَرَبْرِيّ (ت٣٢٠هـ) وهو راوي الصحيح عنه.

مؤلفاته:

له مؤلفات عظيمة[١] تبوأت مكانتها السامية في المكتبة الإسلامية، وبدأ التأليف مبكراً كما بدأ طلب العلم وسماع الحديث، فألف أول كتبه وهو في سن الثامنة عشرة[٢]، وأشهر مؤلفاته هي:

كتاب الصحيح، وسيأتي الحديث عنه، والتاريخ الكبير ألفه حينما كان في الثامنة عشرة من عمره. وكتاب خلق أفعال العباد. وغيرها.

وفاته:

مات البخاري في شهر شوال سنة (ت٢٥٦هـ) وقد بلغ من العمر اثنتين وستين سنة، رحمه الله.[٣]

---

(١) أوصل المباركفوري مؤلفات البخاري إلى أربعة وعشرين مؤلفاً. انظر سيرة البخاري (١/ ٢٨٠-٣١٤).

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٧).

(٣) نقل ابن الملقن في التوضيح (٢/ ٤٦) الإجماع على تاريخ ولادة البخاري ووفاته.

التعريف بصحيح البخاري:

اسم الكتاب وعدد أحاديثه:

سَمَّى البخاريُ كتابَه بـ"الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسُننه وأيامه" وهذا ما جزم به الحافظ ابن حجر.[1]

وزاد ابن الملقِّن[2] والعيني[3] كلمة "المختصر" فيكون: "الجامع الصحيح المختصر ...".

بيد أن الكتاب اشتهر باسمه المختصر "صحيح البخاري" وأول من ذكر هذا الاختصار هو البخاري نفسه فنقل عنه الفَرَبْرِيّ قال[4]: "سمعته يقول: ما كتبت في الصحيح حديثاً حتى اغتسلت قبله وصليت ركعتين". فانتشر الاسم المختصر وغلب عليه.

وبلغ عدد أحاديث الصحيح (٧٢٧٥) سبعة آلاف ومئتين وخمسة وسبعين حديثاً بالمكرر كما ذكر ابن الصلاح[5]، وبإسقاط المكرر تكون

(١) هدى الساري ص (١٠).

(٢) التوضيح (٢/ ٢٦).

(٣) عمدة القاري (١/ ٥).

(٤) جزء فيه ترجمة البخاري للذهبي ص (٣٩).

(٥) مقدمة ابن الصلاح ص (١٦٢). وهذا العدد بحسب رواية الفربري، بحسب ما ذكره الحافظ العراقي في التقييد والإيضاح ص (٢٧).

(٤٠٠٠) أربعة آلاف حديثٍ.[١]

سبب تأليفه:

قال البخاري: كنت عند إسحاق بن راهويه فقال رجل معه: لو جمعتم كتاباً لسنن النبي ﷺ، فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب.[٢]

مدة تأليفه:

ألف البخاري صحيحه في ستة عشر عاماً قال البخاري: "صنفت الصحيح في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى". وعلَّق الذهبي عليه كلامه فقال: "جزاه الله عن الإسلام خيراً، نعم ما ادَّخر لمعاده".اهـ[٣].

أهمية الصحيح ومنزلته:

إن كتاب صحيح البخاري قد بلغ منزلة عظيمة عند المسلمين جميعاً وعند أهل العلم
خصوصاً، فهو "أصح الكتب بعد القرآن، وأجلُّها، وأعظمها، وأعمُّها نفعاً بعد الفرقان"[٤]، ويكفيه رفعة اعتباره أصح كتاب في الدنيا بعد القرآن الكريم، ونقل ابن الملقن[٥] إجماع الأمة على صحته، "ولا يوجد مكان على

---

(١) المصدر السابق. وقال ابن الصلاح: "إلا أن هذه العبارة قد يندرج تحتها عندهم آثار الصحابة والتابعين، وربما عُدَّ الحديث الواحد المروي بإسنادين حديثين".

(٢) انظر تاريخ بغداد (٢/ ٨)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢/ ٢٨).

(٣) جزء فيه ترجمة البخاري للذهبي ص (٤١).

(٤) التوضيح لابن الملقن (٢/ ٩).

(٥) التوضيح (٢/ ٢٧).

وجه الأرض وصل إليه الإسلام إلا وتجد صحيح البخاري فيه"[١] فعرفه العامة والخاصة. ولم ينل أي كتاب بشري في الدنيا ما ناله صحيح البخاري من منزلة وحفاوة وشرف وقبول لدى المسلمين. ومِن عِظَم مكانته اعتبر بعضُ أهل العلم شرحَ البخاري دَيْناً على الأمة، قال ابن خلدون في مقدمته[٢]: "ولقد سمعت كثيراً من شيوخنا رحمهم الله، يقولون: شرح كتاب البخاري دين على الأمة".اهـ ولم يعتبروه ديناً إلا من شيء يرونه واجباً! ومن أدلة حفاوة المسلمين به وفضله عندهم كثرة مَن قرأه على البخاري من تلاميذه وتعدد أوجه اتصال السند فيه قال المباركفوري[٣] عن الذي تميز به الصحيح: "صحيح البخاري له ميزة خاصة في هذا المجال - أي التواتر واتصال الأسانيد - فماذا ترى في تواتر كتاب قرأه تسعون ألف تلميذ على المؤلف في حياته[٤]، وقد ألف عمر النسفي الحنفي (٥٣٧هـ) شرحاً لصحيح البخاري سماه "النجاح في أخبار الصحاح" ذكر فيه أن سلسلة سنده تتصل بالإمام البخاري من خمسين طريقاً".اهـ بل شهد المخالف بعظيم مكانته، فقال توماس وليام بيل[٥]: "صحيح الإمام البخاري يُحترم أكثر من أي كتاب بعد القرآن ...هذا الكتاب لا يجمع

---

(١) سيرة البخاري للمباركفوري (١/ ٣١٧).

(٢) مقدمة ابن خلدون (١/ ٥٦٠).

(٣) سيرة البخاري (١/ ٢٦١).

(٤) انظر التوضيح لابن الملقن (٢/ ٢٣).

(٥) أورنتيل بيوكريفيكل ط. لندن ١٨٩٠م. بواسطة سيرة البخاري للمباركفوري (١/ ٣٢٤).

الوحي الذي نزل على محمد وإلهاماته وأفعاله وأقواله فحسب، بل ذُكر فيه تفسير أكثر المواضع المشكلة في القرآن".اهـ.

ولقد اشترط البخاري -كما ذكر سابقاً- الصحة في كل حديث يُضَمِّنه كتابه، وانتقى ما فيه من أحاديث من كَمٍّ كبير من الأحاديث، قال البخاري: "أخرجته من نحو ستمائة ألف حديث". وقال: "ما أدخلت فيه إلا ما صحَّ، وتركت من الصحاح كيلا يطول الكتاب".[1] وبذل البخاري جهداً مضاعفاً في تحريه الصحة والدقة فأعاد النظر فيه وتعهده بالتهذيب والتنقيح قبل أن يُخْرِجه للناس، ولذلك صنَّفه ثلاث مرات.[2] ومع هذا قام البخاري بعرضه على كبار علماء المحدثين في عصره ليطمئن بقولهم ويستمع لنقدهم، قال العقيلي[3]: "لـمَّا أَلَّفَ البخاريُّ الصحيحَ عرضه على أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي ابن المديني وغيرهم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة، إلا في أربعة أحاديث، والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة".

كما قام البخاري بجهد كبير في تكريس فقهه في صحيحه فلم يقتصر على جمع الأحاديث فحسب، قال ابن حجر[4]: "التزم فيه الصحة ... ثم رأى ألا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون

(١) انظر تاريخ بغداد (٢/ ٩).

(٢) انظر طبقات الشافعية (٢/ ٧).

(٣) هدى الساري ص (٩).

(٤) هدى الساري ص (١٠).

معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها".اهـ.

فيتضح إذن أن الغرض الأساسي لتأليف الجامع الصحيح أمران:

الأول: انتخاب وجمع تلك الأحاديث التي اتفق على صحتها المحدثون، وهو ظاهر من تسمية البخاري لكتابه مع صنيعه في جمع الأحاديث.

الثاني: استنباط المسائل الفقهية واستخراج النكات الحكمية، وهي ظاهره في صنيعه في تبوبياته.[1]

ومما يدلل على عظيم عناية الأمة بكتاب البخاري كثرة شروحه وتنوعها على مر العصور، فقد جمع صاحب كتاب إتحاف القاري بمعرفة جهود وأعمال العلماء على صحيح البخاري[2]
ثلاثمائة وخمسة وسبعين عنواناً للعلماء الذين توجهت همتهم بالتأليف نحو صحيح البخاري.

---

(١) انظر سيرة البخاري للمباركفوري (١/ ٣٣٨).

(٢) إتحاف القاري، تأليف: محمد عصام الحسني.

أهمية تراجم أبواب البخاري[١]:

كانت لتراجم أبواب البخاري مكانة خاصة عند العلماء، وقد انفرد بما تضمنته من معانٍ وحكم وفوائد عن باقي كتب السنة وهو أمر لم يسبقه إليه غيره[٢]، وأبهر العقول بتراجمه، قال الحافظ ابن حجر[٣]: "وكذلك الجهة العظمى الموجبة لتقديمه وهي ما ضمَّنه أبوابه من التراجم التي حيَّرت الأفكار وأدهشت العقول والأبصار، وإنما بلغت هذه الرتبة وفازت بهذه الخطوة لسبب عظيم أوجب عظمها وهو ما رواه أبو أحمد بن عدي عن عبد القدوس بن همام قال: شهدت عدة مشايخ يقولون حول البخاري تراجم جامعه، يعني: بيَّضَها بين قبر النبي ﷺ ومنبره وكان يصلي لكل ترجمة

(١) أفرد تراجم صحيح البخاري بالتأليف جمعٌ من أهل العلم ومن تلك المؤلفات: المتواري في تراجم أبواب البخاري لابن المُنَيِّر الاسكندراني (ت ٦٨٣هـ) وهو مطبوع، وكتاب ترجمان التراجم لابن رشيد السَّبْتي (ت ٧٢١هـ)، وكتاب مناسبات تراجم البخاري لأحاديث الأبواب لابن جماعة الكناني (ت ٧٣٣هـ) وهو محقق في رسالة ماجستير بجامعة الإمام وطبع بالدار السلفية بالهند، وكتاب تعليق المصابيح على أبواب الجامع الصحيح لأبي عبد الله الدَّماميني (ت ٨٢٨هـ)، وكتاب مناسبات تراجم أبواب البخاري لأبي حفص عمر البلقيني (ت ٨٠٥هـ)، وكتاب شرح تراجم أبواب صحيح البخاري للدهلوي (ت ١١٧٧هـ) وهو مطبوع. ينظر في ذلك سيرة البخاري للمباركفوري (١/ ٣٤١-٣٤٤) وتعليق محقق الكتاب د. عبد العليم البستوي (٣) في (١/ ٣٤٣). هذا سوى من ضمنها في شرحه للصحيح كابن الملقن في التوضيح وابن حجر في فتح الباري.

(٢) انظر رسالة شرح تراجم أبواب صحيح البخاري للدهلوي ص (٩).

(٣) فتح الباري (١/ ١٣).

ركعتين".اهـ ولذا فلا عجب عندما أولى العلماء عنايتهم بأبواب البخاري؛ لأنه "راعى في تراجم أبواب صحيحه مقاصد عالية رفيعة، وأهداف سامية نبيلة"[1]، وكان من أهم أهداف البخاري في صحيحه استنباط المسائل الفقهية والحكم والنكات وهو ما أودعه في تبويباته "ولهذا اشتهر من قول جمع من الفضلاء فقه البخاري في تراجمه"[2]، "فليس مقصوده الاقتصار على الحديث وتكثير المتون"[3]، وإنما "ساق الفقه في التراجم سياقة المخلص للسنن المحضة عن المزاحم المستثير لفوائد الأحاديث من مكامنها، المستبين من إشارات ظواهرها مغازي بواطنها. فجمع كتابه العلمين والخيرين الجمين. فحاز كتابه من السنة جلالتها ومن المسائل الفقهية سلالتها.وهذا عوض ساعده عليه التوفيق، ومذهب في التحقيق دقيق".[4]
ومن صور عناية البخاري بتراجم أبوابه أننا نجد أنه يكرر الحديث ولكن في أبواب مختلفة[5]، ومن ذلك نجده يكتفي في كثير من الأبواب بالإشارة إلى الحديث، فيقول فيه: عن فلان ويشير إلى الحديث الذي سبق ذكره، وأحياناً يكتفي بذكر الباب ويذكر آيات قرآنية فقط دون إيراد أي حديث،

(١) سيرة البخاري للمباركفوري (١/ ٣٤٠).
(٢) فتح الباري (١/ ١٣).
(٣) التوضيح لابن الملقن (٢/ ٧٠).
(٤) المتواري ص (٣٩).
(٥) لتكرار البخاري الأحاديث في صحيحه علل أخرى غير أهمية التبويب، مثل: تنوع الأسانيد وغيرها.

وكل هذا يشير إلى عنايته باستنباط الفوائد والأحكام من صحيحه، بل وتوجد تراجم ليس فيها أي حديث ولا آية ولا أثر بل مجرد فراغ[١].

وتوسع ابن حجر في الفتح[٢] في ذكر مقاصد البخاري في تراجمه في كل صورها، ثم تعقب من تنقص من التراجم بلا أحاديث فقال: "وللغفلة عن هذه المقاصد الدقيقة اعتقد من لم يمعن النظر أنه ترك الكتاب بلا تبييض، ومن تأمل ظفر، ومن جدَّ وَجَد".

تعريف السورة:

السُّورة على زنة (فُعْلَة) وهي مفردة وجمعها (سُوَر)، ومن معانيها المنزلة الرفيعة قال ابن جرير[٣]: "والسورة بغير همز المنزلة من منازل الارتفاع، ومن ذلك سور المدينة، سُمِّي بذلك الحائط الذي يحويها؛ لارتفاعه على ما يحويه".اهـ ومنه سورة القرآن؛ لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى.[٤] وقيل: السورة العلامة.[٥]

---

(١) انظر التوضيح (٢/ ٧٠-٧١).

(٢) (١/ ١٤) وينظر أيضاً في مقاصد وأساليب تراجم أبواب البخاري المتواري لابن المنير ص (٣٧-٣٨) ورسالة شرح تراجم أبواب صحيح البخاري للدهلوي ص (٩-١٣)، وسيرة البخاري للمباركفوري وبلغ بها خمس عشرة نقطة انظرها في كتابه (١/ ٣٤٥-٣٤٩). أقول: وليس مقصدنا في هذا البحث تقصي تلك المقاصد فإن البحث ليس في تراجم البخاري كلها بل يهتم بها مقيدة بأسماء سور القرآن.

(٣) تفسيره (١/ ١٠٢).

(٤) انظر الصحاح للجوهري (٢/ ٦٩٠).

(٥) انظر تاج العروس (١٢/ ١٠٢)، وكتاب أسماء القرآن وأسماء سوره لآدم بمبا ص (٤٥).

ويقال (السؤرة) مهموزة، قال ابن منظور[1]: "ومن همزها جعلها بمعنى بقية من القرآن وقطعة". وقال ابن جرير[2]: "وقد همز بعضهم السورة من القرآن، وتأويلها في لغة من همزها: القطعة التي أفضلت من القرآن عما سواها وأبقيت، وذلك أن سُؤرَ كل شيء البقية منه. تبقى بعد الذي يؤخذ منه، ولذلك سميت الفضلة من شراب الرجل يشربه، ثم يفضلها فيبقيها في الإناء سؤرا".اهـ.

والسورة في الاصطلاح: ورد في تعريفها اصطلاحاً عدد من التعريفات، فعرَّفها إبراهيم الجعبري (ت٧٣٢هـ) بقوله[3]: "قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات". وفيه تكرار بذكر (القرآن) و(آي)، وأجود منه تعريف الزرقاني قال[4]: "طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع".

وأسلوب القرآن هو أول من ابتكر هذا المعنى الاصطلاحي للفظة (السورة) في عشرة مواضع تسعة منها بالإفراد ومرة بالجمع كقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣]، وكقوله: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [التوبة: ٦٤]، وكقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾

(١) لسان العرب مادة (سور).
(٢) تفسيره (١/ ١٠٣).
(٣) البرهان (١/ ٢٦٤).
(٤) مناهل العرفان (١/ ٣٥٠).

[هود: ١٣]. "فتدل المواضع السابقة على أن السورة مجموعة محددة في القرآن الكريم منزلة من عند الله".[1] وأجمع العلماء أن عدد سور القرآن مائة وأربعَ عشرةَ سورة.[2]

حكم تسمية سور القرآن

الأصل في تسمية السور، أن تنفرد كل سورة باسم يُميِّزها عن بقية السور، وذلك طبقاً لمنطق تسمية الأشياء؛ لأن الاسم يوضع أصلاً لتمييز المسمَّى عن بقية المسميات، وقد تتعدد أسماء السورة الواحدة، وذلك تبعاً للآثار الواردة في ذلك[3]، وفي الغالب أن لكل سورة اسماً واحداً اشتُهرت به، وكان عليه عمل المسلمين في الزمن المتأخر في كتابته في المصاحف.[4] وقد يكون للسورة اسم واحد وهو الأكثر، وقد يكون لها اسمان كسورة النحل، ويقال لها سورة النِّعَم، وقد يكون لها أكثر من اسمين، وبلغت أسماء سورة الفاتحة بضعة وعشرين اسماً[5]، وبعض أسماء سورة الفاتحة ثبت عن رسول الله ﷺ[6]، وبهذا نعلم أن أصل تسمية السور وتعدد أسمائها معروف

(١) أسماء القرآن الكريم وأسماء سوره لآدم بمبا ص (٤٦).

(٢) انظر عدد سور القرآن لابن عبد الكافي ص (٧٤).

(٣) أسماء القرآن الكريم وأسماء سوره لآدم ص (٥١).

(٤) لم يكن من عادة الصحابة والتابعين كتابة أسماء سور القرآن في المصاحف، بل كان الأمر جارياً على تجريد المصاحف منها، قال ابن تيمية: "ولهذا أمر الصحابة والعلماء بتجريد القرآن، وأن لا يكتب في المصحف غير القرآن، فلا يكتب أسماء السور ولا التخميس والتعشير". اهـ انظر مجموع الفتاوى (١٣/ ١٥٠).

(٥) انظر البرهان للزركشي (١/ ٣٦٦-٣٦٧).

(٦) مثل: "أم القرآن" ثبت مرفوعا في الصحيحين، في البخاري حديث رقم (٤٧٠٤)، =

من عهد نزول الوحي وعلى لسان المصطفى ﷺ والصحابة ومن بعدهم التابعين[1]، وكل هذا محل اتفاق لا إشكال فيه؛ ولكن ثمة خلاف وقع بين أهل العلم في مصدرية تسمية السور هل هو توقيفي أم اجتهادي؟ وسأجتهد في اختصار الكلام في هذه المسألة بما يحقق المقصود[2] فأقول:

اختلف فيها العلماء فذهب الزركشي والسيوطي[3] إلى أن أسماء سور القرآن توقيفية من الرسول ﷺ، ويُسْتَدل لهذا بأدلة منها:

١. أنه ورد تسمية بعض السور عن رسول الله ﷺ كما في حديث أبي مسعود البدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (الآيتان من آخر سورة

= ومسلم حديث رقم (٣٩٤)، واسم "السبع المثاني" ثبت مرفوعاً في البخاري حديث رقم (٤٧٠٤).

(١) من المسائل التي يمكن بحثها، مصادر تسمية سور القرآن، وعند النظر نجد أن هناك مصادر متفقة عليها وهي الأحاديث المرفوعة وما ثبت عن الصحابة باعتبار احتمالية رفعه، وأما من اعتبر أن التسمية من باب الاجتهاد لا التوقيف فتكون مصادر التسمية لديه أوسع ويدخل فيها ما سبق إضافة لما رُوي عن التابعين ومن بعدهم من العلماء، وكذلك - من مصادر التسمية لديه - الاجتهاد وإعمال الرأي، وذلك بالاجتهاد في استخراج اسم للسورة من خلال النظر في مضامينها ومقاصدها.

(٢) انظر في مسألة حكم تسمية السور أسماء سور القرآن لمحمد الشايع ص (١٤-١٨)، وأسماء سور القرآن لمنيرة الدوسري ص (٧٢-٧٧)، وأسماء القرآن وأسماء سوره لآدم بمبا ص (٤٧-٥٠).

(٣) انظر البرهان (١/ ٣٦٧)، والإتقان (٢/ ٣٤٧). وهو الظاهر من كلام ابن جرير في تفسيره (١/ ٩٤).

وهنا نكتة هامة، وهي أنه قد يشتبه على البعض حكم مسألة ترتيب السور بحكم تسمية السور؛ مما يجعله يخلط في الحكم والنتيجة، ومما يقع في ذلك أن ينسب قول التوقيف في تسمية السور للجمهور، وهو غير دقيق، وقد اشتبه عليه هذا بنسبة القول للجمهور في ترتيب السور.

البقرة، من قرأهما في ليلة كَفَتاه).[١] وما رواه أبو أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران).[٢]

٢. وجود سور باسم واحد مع أن باب الاجتهاد سيساهم في إضافة اسم آخر لها، مثل سورة الحج فلا يُعْرَف لها اسمٌ آخر مع إمكانية ذلك، فدل هذا على أن التسمية توقيفية.[٣]

ويمكن أن يجاب عن الدليل الأول بأن تسمية الرسول ﷺ لبعض سور القرآن لا يستلزم إطلاقه اسم على كل سورة والواقع يؤيد ذلك، إضافة إلى أن الصحابة رضوان الله عليهم نُقل عنهم تعدد التسمية في السورة الواحدة ولو كانت التسمية توقيفية على الرسول ﷺ للزموها فهم أول من الحريصين على الاقتداء بهدي النبي ﷺ.

وذهب بعض أهل العلم[٤] إلى أن التسمية اجتهادية بدلالة كثرة أسماء

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٤٠٠٨) ومسلم في صحيحه حديث رقم (٨٠٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٨٠٤). والزهراوان هما سورتي البقرة وآل عمران كما في نص الحديث، وقال النووي في سبب تسميتها بهذا: "سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما".اهـ انظر شرح النووي لصحيح مسلم (٦/ ٨٩-٩٠).

(٣) انظر أسماء سور القرآن للشايع ص (١٥).

(٤) مثل الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (١/ ٩١).

السور كالفاتحة وغيرها، وبدلالة تسمية بعض الصحابة والتابعين لبعض السور بأسماء من عندهم منسوبة لهم ولم يثبت رفعها للرسول ﷺ كما صح عن ابن عباس بتسميته لسورة التوبة بالفاضحة.[1]

وتوسط فريق من العلماء وجمع بين القولين فاعتبر بعض التسمية توقيفية وهو ما صح رفعه للرسول ﷺ، ومن التسمية ما هو اجتهادي. وفي اعتقادي أنه هو الراجح؛ لكونه يجمع بين ما ثبت عن رسول الله ﷺ في تسمية بعض السور وما ورد من تعدد أسماء لسور أخرى ولثبوت اجتهاد الصحابة والتابعين في تسمية السور، فهذا القول هو الذي يجمع بين الأدلة ويسلم من الاعتراض. والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٣٠٣١).

المبحث الأول:

أسماء سور القرآن عند البخاري

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صيغ البخاري في تسمية أسماء السور:[1]

لقد تعددت أساليب الإمام البخاري في صحيحه عند تسميته لسور القرآن، وبعد استقراء كل مواضع ذكر أسماء السور القرآنية في الصحيح نخرج بهذه الأساليب:

أ- تسمية السور بمطلعها: وهذا الغالب في تسميات البخاري لسور القرآن، فقد سَمَّى ستين سورة بمطلعها يعني أكثر من نصف سور القرآن، واختلفت أساليبه في ذلك فجاءت في أربع صور مختلفة وهي:

١. تسمية السورة بأول آية فيها: وبلغت خمساً وعشرين سورة، سواء كانت بداية السورة بالحروف المقطعة أو بغيرها، وإن كانت بغيرها قد يختار التسمية بكلمة أو كلمتين أو أكثر، وهي كالتالي:

۞ التسمية بالحروف المقطعة: سمَّى بعض السور بأول آية مما افتتح

(١) اجتهدت في حصر فروق روايات صحيح البخاري في تسميته للسور، وذلك للتثبت من أسماء السور؛ وثانياً لحصر تلك الفروق واستخلاص منهج البخاري من خلالها. وكان اعتمادي في ذلك على نسخة الإمام اليونيني والمطبوعة في المطبعة الأميرية وإرشاد الساري، كما ذكرت ذلك سابقاً. وإن بعض الفروقات كذكر التسمية من عدمه أغفلتها لعدم تأثيرها فيما نحن بصدده. كما أشير إلى عدم عزوي لمواضع السور من الصحيح؛ لكونها معلومة باسمها ولئلا تكثر الحواشي بلا فائدة تذكر.

بالحروف المقطعة مثل سورة مريم قال: "سورة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾"، وسورة طه قال: "سورة ﴿طه ۝١﴾"، وسورة يس قال: "سورة ﴿يسٓ ۝١﴾".

۞ وأما السور غير المفتتحة بالحروف المقطعة مما سماها بأول آية فيها فلها صور وهي:

- التسمية بكلمة، مثل: سورة الرحمن قال: "سورة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١﴾"، وسورة الطور قال: "سورة ﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾"، وسورة الحاقة قال: "سورة ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١﴾"، وسورة القارعة قال: "سورة ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١﴾"، وسورة الضحى قال: "سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾".
- التسمية بكلمتين، مثل: سورة المطففين قال: "سورة ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١﴾". وسورة الشمس قال: "سورة ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾"، وسورة قريش قال: "سورة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾".
- التسمية بأكثر من كلمتين، مثل: سورة التكوير قال: "سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾"، وسورة العلق قال: "سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾"، وسورة الكوثر قال: "سورة ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾"، ومثلها سورة الكافرون، والنصر، والمسد، والإخلاص، والمعوذتين سمّاها بأول آية فيها.

٢. التسمية بأول آيتين فيها: وقع هذا في سورتين اثنتين فقط وهما: سورتي

الروم والشورى، فقال: "سورة ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾"، وقال: "سورة ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾".[1]

٣. التسمية بجزء من أول آية فيها ويسميها إما بحرف، أو بكلمة واحدة، أو أكثر، وهي كالتالي:

- تسميتها بحرف، مثل: سورة ص قال: "سورة ﴿صٓ﴾". وهي جزء من أول آية فيها.[2]
- التسمية بكلمة واحدة، مثل: سورة التوبة قال: "سورة ﴿بَرَآءَةٌ﴾"، وسورة الصافات قال: "سورة ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾"، وسورة المرسلات قال: "سورة ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾"، وسورة التكاثر قال: "سورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾"، وسورة الماعون قال: "سورة ﴿أَرَءَيْتَ﴾".
- التسمية بأكثر من كلمة، مثل: سورة المعارج قال: "سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾"، وسورة الإنسان قال: "سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾، وسورة الأعلى قال: "سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾".

٤. يسميها بمطلعها مع ذكر ضابط لها: مثل سورة فصلت قال البخاري: "سورة حم. السجدة". فسماها بمطلعها من الحروف

(١) رغم أنهما مفتتحتان بالحروف المقطعة لم يكتف بأول آية بل جاء بالآيتين الأوليين ولو كانت من الحروف المقطعة ليُفرِّق بين سورة الشورى وبين باقي سور الحواميم، وبين سورة الروم وبين المفتتحة بـ (ألم).

(٢) بينما في سورة القلم لم يكتف بتسميتها بسورة (ن) بل قال البخاري: "سورة ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾".

المقطعة ولئلا تشتبه بغيرها أضاف لها كلمة (السجدة)؛ ليميزها بموضع سجود التلاوة فيها عن غيرها من الحواميم. وسورة الزخرف قال: "سورة حم. الزخرف". وسورة الجاثية قال: "سورة حم. الجاثية". فسَمَّى هذه السور بمطلعها مع ذكر قيد لها يميزها عن أخواتها؛ وذلك لتشابه مطالعها، كما أنه لم يكتف بإيراد القيد دون المطلع بل جمع بينهما.

ب- يسمي السورة بما اشتهر من أسمائها: مثل سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء، وسورة يونس، وسورة هود، وسورة يوسف، وسورة الفتح، وسورة الواقعة، وسورة الحديد، وسورة الممتحنة، وسورة المدثر، وسورة القيامة، وسورة البروج، وسورة الطارق.

المطلب الثاني:

منهج البخاري في أسماء السور

بعد استقراء ونظر لصنيع البخاري في تدوينه لأسماء سور القرآن في صحيحه نخرج بهذه المعالم في منهجه:

١. تجويز البخاري إضافة السورة إلى الاسم المفرد، فيقول: "سورة البقرة" ولا يقول السورة التي يذكر فيها البقرة، وهذه من المسائل المختلف فيها، فذهب بعض أهل العلم[(١)] إلى حرمة أن يقال سورة البقرة وسورة النحل ... إلخ، أي بإضافة السورة إلى الاسم المفرد، واعتبروا الصواب أن يقال: السورة التي يذكر فيها البقرة، وهكذا. واستدلوا بحديث مرفوع وهو ما رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تقولوا: سورة البقرة، ولا سورة آل عمران، ولا سورة النساء، وكذا القرآن كله، ولكن قولوا: السورة التي يذكر فيها البقرة والتي يذكر فيها آل عمران، وكذا القرآن كله).[(٢)] وهذا الحديث ضعيف ولم يثبت - كما أنه معارض بما هو أصح منه - وقد ضَعَّفه البيهقي[(٣)] والزيلعي[(٤)] وابن كثير وقال في تفسيره[(٥)]: "هذا حديث غريب ولا يصح رفعه".

---

(١) انظر الإتقان للسيوطي (١/ ٢١٢).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٤٧)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٥١٩).

(٣) شعب الإيمان (٤/ ١٧٢).

(٤) تخريج أحاديث الكشاف (١/ ١٧٣).

(٥) (١/ ١٥٦).

والذي صح في هذا إنما هو عن الحجاج بن يوسف كما في صحيح مسلم.[1] ورُوي أيضاً موقوفاً على ابن عمر.[2] وهو معارض بما هو أصح منه فقد ثبت في الصحاح تسمية الرسول ﷺ للسور بإضافة السورة إلى الاسم فقال: (اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران).[3]

وذهب الجمهور[4] إلى صحة إضافة السورة إلى الاسم المفرد؛ لثبوت ذلك عن رسول الله ﷺ كما في الحديث السابق وغيره. كما أنه لم يثبت النهي عن ذلك. وهو الراجح وعليه عامة عمل المسلمين على مر القرون.

وبالنظر في صنيع البخاري في صحيحه فنجده أن يذهب إلى قول الجمهور بكل وضوح وصراحة، فقد بَوَّب في صحيحه في كتاب الفضائل[5] فقال: "باب من لم ير بأساً أن يقال: سورة البقرة، وسورة كذا" ثم خرَّج البخاري ثلاثة أحاديث تشهد لما ترجم له، ومنها ما خرجه عن أبي مسعود قال: قال النبي ﷺ: (الآيتان من آخر سورة البقرة ..).[6] وحديث

(١) حديث رقم (١٢ط٩٦).

(٢) أخرجه البيقهي في شعب الإيمان (٤/ ١٧٣).

(٣) سبق تخريجه ص (١٨).

(٤) هو الثابت عن الصحابة كابن مسعود وغيره، وهو قول البخاري - وسيأتي عزوه إليه - والنووي في شرح صحيح مسلم (٦/ ٨٧)، والقرطبي في تفسيره (١/ ٢٩)، وابن حجر في فتح الباري (٩/ ٨٨) وعزاه إلى الجمهور.

(٥) صحيح البخاري ص (٩١٠) ط. الرسالة.

(٦) سبقت تخريجه ص (١٨)، وهذا الموضع في صحيح البخاري حديث رقم (٥٠٤٠).

عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتُها من سورة كذا وكذا).[١] ولا شك أنه بتبويبه السابق ثم إيراده لأحاديث عن المصطفى عليه الصلاة والسلام - وهو يعتقد صحتها - وكذا صنيعه في تبويباته لسور القرآن فأكثر أبوابه في كتاب التفسير يسميها بهذا الوضع وفي كتاب فضائل القرآن يقول: "باب فضل سورة البقرة" و"باب فضل سورة الفتح"؛ فإن هذا يدل على تجويزه لذلك.

ولو اعترض معترض بأن تبويب البخاري السابق يدل على عدم اختياره لقول الجمهور، لقلنا له أن تبويب البخاري ليس فيه ما يشير إلى توقفه في المسألة، كما أن قول البخاري لا يؤخذ بمجرد تبويبه ذاك؛ بل مجمل صنيعه في الصحيح، فتبويبه يضاف له إيراده للأحاديث المرفوعة التي أجازت تسمية السور بأسمائها مفردة وكذا تبويباته الأخرى، وهذا يجعلنا نقطع بموافقته لقول الجمهور. وإنما كان تبويبه للإشارة إلى القول الآخر قال ابن حجر[٢] عن تبويبه هذا: "أشار بذلك إلى الرد على مَنْ كَره ذلك وقال لا يقال إلا السورة التي يذكر فيها كذا".اهـ

٢. حرص البخاري على إفراد كل سورة بباب واسم مستقلين ولو لم يُسْنِد فيه حديثاً، فبوَّب للسور بغير قصد إخراج الأحاديث أو ذكر تبويبات أخرى، فقام في ثمان وعشرين[٣] سورة بالتبويب لها دون إسناد أي

(١) حديث رقم (٥٠٤٢).

(٢) فتح الباري (٩/ ٨٧).

(٣) هي سور: المؤمنون، والنمل، والعنكبوت، وفاطر، والذاريات، والحديد، والمجادلة، =

حديث فيها، وإنما اكتفى بتسمية السورة مع شرح لبعض غريبها، وأحياناً يذكر بعض ما فيها من قراءات وتوجيهها[1]. وأحياناً يبوِّب للسورة ولا يورد فيها إلا تفسيراً لكلمة أو كلمتين كما في سورة المعارج، والعصر، والهمزة، ففي سورة العصر بوَّب لها ثم لم يأت إلا بقول للفراء في بيان العصر، قال البخاري: "سورة والعصر. قال يحيى: الدهر، أقسم به"[2]. وسورة الهمزة بوَّب لها ثم قال: "(الحُطَمة) اسم النار، مثل (سَقَر) و(لَظَى)".اهـ.

٣. تعدد الأسماء للسورة: كانت عادة البخاري في تسميته لكل سور القرآن ذكر اسم واحد لها، إلا أنه في أول سورة، وهي سورة الفاتحة خالف في ذلك وذكر لها أكثر من اسم فقال[3]: "باب ما جاء في فاتحة الكتاب وسُمِّيت أم الكتاب".اهـ ويَحتمل هذا أنه يَذكر للسورة أكثر من اسم إذا صح هذا لديه في الحديث المرفوع.

٤. تعليل التسمية: لم يهتم البخاري في صحيحه بتعليل تسمية السور،

= والملك، والحاقة، والمعارج، والمزمل، والإنسان، والبروج، والطارق، والغاشية، والفجر، والبلد، والشرح، والقدر، والعاديات، والقارعة، والتكاثر، والعصر، والهمزة، والفيل، وقريش، والماعون، والكافرون.

(٢) كما في سورة الانفطار قال البخاري: "وقرأ الأعمش، وعاصم: {فعَدَلَك} بالتخفيف، وقرأه أهل الحجاز بالتشديد. وأراد: معتدل الخلق، ومن خَفَّف يعني: في أي صورة شاء، إما حسن، وإما قبيح، أو طويل، أو قصير".اهـ.

(٣) يحيى هو الفراء كما ذكر ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٧٢٩).

(٣) ص (٧٧٤) ط. الرسالة ناشرون.

ووقع عنده في موضع واحد فقط إيراد لسبب التسمية كما في سورة الفاتحة، فقال[١]: "وسُمِّيت أم الكتاب؛ أنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة".اهـ.

٥. الاختصار وعدمه: اختلف منهج البخاري في تسميته لسور القرآن من حيث الاختصار

وعدمه، كما أننا نجزم بأنه لم يكن من مقاصد البخاري في تسميته للسور مجرد الاختصار، رغم أنه سلك الاختصار في بعض أسماء السور كما فعل في سورة البلد فقال: "سورة ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾"، وسورة التكاثر قال: "سورة ﴿أَلۡهَىٰكُمُ﴾". وسورة الماعون قال: "سورة ﴿أَرَءَيۡتَ﴾". بينما في سورة العلق بوَّب لها بأول آية فيها كاملة فقال: "سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾". ولم يقتصر فيها على كلمة من الآية اختصاراً فلو قال: "سورة (اقرأ)" لم تشتبه بغيرها من السور وكان أكثر اختصاراً. ويظهر من هذا عدم التزام البخاري بمنهج الاختصار في تسمية السور، وإنما يختار من ذلك؛ فتارة يختصر وتارة لا يختصر.

٦. منهجه في التسمية بمطلع السورة:اتضح معنا سابقاً أن غالب تسميات البخاري لسور القرآن كان بمطلعها ومنهجه في ذلك تنوعت مسالكه، فتارة يختار أول كلمة من أول آية فيها، مثل سورة التوبة قال: "سورة ﴿بَرَآءَةٌ﴾". وفي بعض مواضع هذا المسلك يضيف حرفاً ليبين أن

(١) السابق.

تسميتها بمطلعها لا بالاسم المشتهر لها؛ كما في سور: الصافات، والضحى، والعصر فسمّاها بمطلعها بدليل إضافته لحرف القسم في أولها، فقال: سورة ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ وسورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١﴾ وسورة ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١﴾. وتارة يختار كلمتين أو ثلاثة من أول السورة أو يسميها بكامل الآية الأولى أو أول آيتين، وسبقت أمثلة هذا في المطلب الأول.

٧. منهجه في تسمية السور بالحروف المقطعة: احتوى القرآن على تسع وعشرين سورة افتُتحت بالحروف المقطعة، ولم يسم البخاري منها بافتتاحيتها من الحروف المقطعة سوى ثلاث عشرة سورة، أي أقل من النصف وهي سور (مريم، وطه، والروم، وص، وغافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، وق، والقلم). وكان تارة يكتفي بالحروف المقطعة مثل: سور (﴿صٓ﴾، و﴿قٓ﴾، و﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾). وتارة يضيف عليها آية تليها مثل سورة الروم قال: سورة ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢﴾ زاد فيها الآية الثانية؛ لئلا تشتبه بغيرها مما بدأ بنفس مطلعها كسورة البقرة وآل عمران. أو يسلك مسلكاً آخر؛ كما فعل في سورة الشورى، والزخرف فكان يسميها بمطلعها من الحروف المقطعة (حم) ويضيف عليها ما يميزها عن أخواتها من الحواميم، ففي سورة الشورى ذكر باقي الحروف المقطعة فقال: "سورة ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢﴾"، فتميزت عن باقي الحواميم، أو يضيف عليها كلمة مثل سورة الزخرف قال: "سورة (حم. الزخرف)".

٨. اجتهاده في التسمية: كان البخاري يجتهد في إطلاق اسم على سورة،

رغم أنه يُخْرِج في صحيحه اسماً أخر لها عن الصحابة، فمثلاً في سورة مريم بوَّب لها بقوله: "سورة ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾"، وأخرج في الصحيح لها اسماً آخر ومنسوب لزمن الصحابة، فقد أخرج[1] عن علقمة، قال: "كنا جلوسا مع ابن مسعود، فجاء خبَّاب، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرءوا كما تقرأ؟ قال: أما إنك لو شئتَ أمرتُ بعضَهم يَقرأ عليك؟ قال: أجل، قال: اقرأ يا علقمة. فقال زيد بن حُدَير - أخو زياد بن حُدَير-: أتأمر علقمة أن يقرأ وليس بأقرئنا؟ قال: أما إنك إن شئتَ أخبرتُك بما قال النبي ﷺ في قومك وقومه؟ فقرأت خمسين آية من سورة مريم. فقال عبد الله: كيف ترى؟ قال: قد أحسن، قال عبد الله: ما أقرأ شيئاً إلا وهو يقرؤه، ثم التفتَ إلى خَبَّاب وعليه خاتم من ذهب، فقال: ألم يأنِ لهذا الخاتم أن يُلقى، قال: أما إنك لن تراه عليَّ بعد اليوم، فألقاه". فنجد أنه أورد ما يدل على ثبوت اسم سورة مريم بهذا من زمن عبد الله بن مسعود ﷺ، ومع هذا اجتهد البخاري في تسميتها بمطلعها، ولم يختر الاسم الذي عُرِفت به في زمن ابن مسعود. وقريب منها سورة الحشر فسمَّاها البخاري بسورة الحشر، ورَوى عن ابن عباس أن اسمها سورة النَّضِير، وسيأتي بيانه في تسمية السورة.

(١) حديث رقم (٤٣٩١).

المبحث الثاني:
الدراسة التطبيقية لسور القرآن في الصحيح ونقد المؤلفات المعاصرة في سور القرآن

سورة الفاتحة:[1] أطلق البخاري على هذه السورة ثلاثة أسماء هي: "الفاتحة" و"فاتحة الكتاب" و"أم الكتاب"، وفي كتاب فضائل القرآن[2] كرر تسميتها بـ"فاتحة الكتاب" فقال: "باب فضل فاتحة الكتاب". اختار البخاري من أسمائها أشهرها، ومنها ما ثبت عن النبي ﷺ، كاسم "فاتحة الكتاب" ففي الصحيحين[3] عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب). وهو أشهر أسمائها وبه سمّاها المفسرون وأكثر أهل العلم.[4]

وأما اسم "الفاتحة" فهو المشتهر للسورة ويبدو أنه اختصارٌ من "فاتحة

---

(١) اعتمدت في عنوان أسماء السور المكتوب لدينا في المصاحف، ثم أوردت تسمية البخاري وغيره.

(٢) ص (٩٠٥).

(٣) صحيح البخاري حديث رقم (٧٥٦)، وصحيح مسلم حديث رقم (٣٩٤).

(٤) انظر تفسير ابن جرير (١/ ١٣٥)، والنكت والعيون للماوردي (١/ ٤٥)، والمحرر الوجيز (١/ ٦٩) وقال ابن عطية: "لا خلاف أنها يقال لها: فاتحة الكتاب".اهـ وانظر سور القرآن لابن شاذان ص (٩٧)، وعدد سور القرآن لابن عبد الكافي ص (١٨٢). وممن سماها بهذا من المحدثين الترمذي في الجامع (٥/ ٢٠١) وأبو داود في السنن (٢/ ٧١).

الكتاب"، ونقل القاسمي[١] عن السيد الجرجاني قوله: "فاتحة الكتاب صارت علماً بالغلبة لسورة الحمد، وقد يُطْلَق عليها "الفاتحة" وحدها، فإما أن يكون علماً آخر بالغلبة أيضا، لكون اللام لازمة، وإما أن يكون اختصاراً، واللام كالعوض عن الإضافة إلى الكتاب، مع لمح الوصفية الأصلية".اهـ.

وأما "أم الكتاب" فقد روي عن النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج).[٢] وصحت تسميتها به عن الصحابة، فأخرج البخاري في صحيحه[٣] عن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه: "أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر في الأوليين بأم الكتاب ... الحديث). وأخرج مسلم في صحيحه[٤] عن أبي هريرة قال: (في كل صلاة قراءة، فما أَسْمَعَنا النبيُّ ﷺ، أسمعناكم، وما أخفى منا، أخفيناه منكم، ومن قرأ بأم الكتاب فقد أجزأت عنه، ومن زاد فهو أفضل). كما أخرج الترمذي في الجامع[٥] مرفوعاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني).

ووقع خلاف في جواز تسمية الفاتحة بـ"أم الكتاب" قال الماوردي[٦]:

(١) محاسن التأويل (٢/ ٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (٧٤٠٦).

(٣) حديث رقم (٧٧٦).

(٤) حديث (٣٩٦).

(٥) حديث رقم (٣١٢٤) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) النكت والعيون (١/ ٤٦).

"واختُلِف في تسميتها بأم الكتاب، فجوَّزه الأكثرون؛ لأن الكتاب هو القرآن، ومنع منه الحسنُ وابنُ سيرين، وزعما أن أم الكتاب اسم اللوح المحفوظ، فلا يسمى به غيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٤]".اهـ والصواب جواز تسميتها بأم الكتاب؛ لوروده في الأحاديث المرفوعة والموقوفة، وظاهر من تسمية البخاري ترجيحه جواز التسمية به.

سورة البقرة: بوَّب لها البخاري بقولة: "سورة البقرة" هو أشهر أسمائها، وهو الثابت عن رسول الله ﷺ قال: (الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأهما في ليلة كفتاه).[1]

سورة آل عمران: بوَّب لها البخاري بقوله: "سورة آل عمران"، وثبت عن المصطفى ﷺ أنه قال:(اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران)[2].

سورة النساء: سمَّاها البخاري "سورة النساء"، وهو الاسم الثابت لها عن رسول الله ﷺ، فقد أخرج مسلم في صحيحه[3] من حديث عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: (يا عمر ألا تكفيك آية الصيف؟ التي في آخر سورة النساء؟)[4].

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه.

(٣) حديث رقم (٥٦٧).

(٤) لم يستشهد د. محمد الشايع بهذا الحديث المرفوع في إثبات اسم سورة النساء، واكتفى في إثباته بما ورد عن عائشة ι فيما رواه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٤٩٩٣) قالت: =

سورة المائدة: سمَّاها البخاري "سورة المائدة"، وورد عن عدد من الصحابة كأبي موسى الأشعري ﷺ، فأخرج البخاري في صحيحه[1] عن شقيق، قال: "كنت جالسا مع عبد الله وأبي موسى الأشعري، فقال له أبو موسى: لو أن رجلا أجنب فلم يجد الماء شهرا، أما كان يتيمم ويصلي، فكيف تصنعون بهذه الآية في سورة المائدة: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾".

سورة الأنعام: سمَّاها البخاري "سورة الأنعام"، وهو الاسم المروي عن الرسول ﷺ وثبت عن ابن عباس K، فعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (نزلتْ عليَّ سورةُ الأنعام جُمْلةً واحدة يُشيعها سبعون ألف مَلَك لهم زجل بالتسبيح والتحميد).[2] وأخرج البخاري في الصحيح[3] عن ابن عباس K، أنه قال: "إذا سَرَّك أنْ تَعْلَم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام".

سورة الأعراف: سمَّاها البخاري "سورة الأعراف"، وهو الوارد عن الصحابة رضوان الله عليهم، عن عائشة l "أن رسول الله ﷺ قرأ في صلاة المغرب بسورة الأعراف فَرَّقها في ركعتين".[4]

سورة الأنفال: اسمها عند البخاري "سورة الأنفال"، وهو المعروف في

= (ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده).

(١) حديث رقم (٣٤٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٨١). وقال الهيثمي في معجم الزوائد (٧/ ٢٠): "رواه الطبراني في الصغير وفيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف".

(٣) رقم (٣٥٢٤).

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم (١٠٦٥).

زمن النبي ﷺ، فعن سعد بن أبي وقاص، قال: "لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتلت سعيد بن العاص، وأخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكتيفة، فأتيت به نبي الله ﷺ قال: "(اذهب فاطرحه في القَبَض). قال: فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله مِن قَتْل أخي، وأَخْذ سلبي، قال: فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي رسول الله ﷺ: (اذهب فخذ سيفك).[1]

سورة التوبة: سمّاها البخاري "سورة براءة"، وقد صح هذا الاسم عن عمر بن الخطاب، والبراء بن مالك رضي الله عنه، فأخرج البخاري في الصحيح[2] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه قال في قصة مناشدته لنبي الله ﷺ بعد الصلاة على رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول: "فلم يمكث إلا يسيرا، حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾".

كما أخرج البخاري في الصحيح[3] حديثاً اشتمل على الاسمين فعن زيد بن ثابت قال: "وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره، ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ حتى خاتمة براءة". فاختار البخاري الاسم الذي ورد في كل ما

(١) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (١٥٥٦). و(القبض) هو ما جُمع من الغنيمة. انظر النهاية في غريب الحديث (٤/ ٦).

(٢) حديث رقم (١٣٦٦). وأخرج في صحيحه حديث رقم (٤٣٦٤) عن البراء ﷺ قال: "آخر سورة نزلت براءة".

(٣) حديث رقم (٤٩٨٦).

رواه فيه عن الصحابة، ولم يذهب لتسميتها بما انفرد بروايته عن زيد.

سورة يونس: اسمها في صحيح البخاري "سورة يونس"، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة يونس بمكة".[١]

سورة هود: اسمها في صحيح البخاري "سورة هود"، وهو الذي ثبت عن المصطفى ﷺ، أخرج الترمذي[٢] عن ابن عباس، قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، قد شِبْتَ، قال: (شيَّبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت).

سورة يوسف: اسمها في صحيح البخاري "سورة يوسف" وهو اسمها الوحيد، وهو مروي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة يوسف بمكة".[٣]

سورة الرعد: اسمها في صحيح البخاري "سورة الرعد"، وهو مروي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الرعد بمكة".[٤]

سورة إبراهيم: اسمها في صحيح البخاري "سورة إبراهيم"، وروي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة إبراهيم بمكة"[٥].

سورة الحجر: اسمها في صحيح البخاري "سورة الحِجْر"، وروي عن

---

(١) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص (٥٢٩).

(٢) الجامع حديث رقم (٣٢٩٧) وقال الترمذي: "حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه".اهـ وحسَّن إسناده الألباني في السلسة الصحيحة حديث رقم (٩٥٥).

(٣) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص (٥٣٣).

(٤) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص (٥٣٥).

(٥) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص (٥٣٧).

ابن عباس قال: "نزلت سورة الحجر بمكة"[1].

سورة النحل: اسمها في صحيح البخاري "سورة النحل"، وروي عن ابن عباس قال: "وسورة النحل نزلت بمكة"[2].

سورة الإسراء: أطلق عليها البخاري اسم "بني إسرائيل" ويبدو أنه استند في هذا لما أخرجه في صحيحه[3] عن ابن مسعود ﷺ قال: " قال: "بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء هن من العِتَاق الأُوَل، وهُنَّ مِن تِلادِي[4]". وهو أول حديث أورده بعد تبويبه للسورة بهذا الاسم وهذا يرجح سبب تسميته بهذا الاسم. وهذا الاسم هو الذي عُرفت به السورة عند كثير من المفسرين وبه سمَّاها أبو عبيدة[5]، وابن جرير[6]، والنحاس[7]، والفضل بن شاذان[8]، ودُوِّن هذا الاسم في كثير من المصاحف المخطوطة[9]. وبه بوَّب لها الترمذي.[1] وأقدم من وقفت عليه في تسمية

(١) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص (٥٣٩).

(٢) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص (٥٤١).

(٣) حديث رقم (٤٧٠٨).

(٤) قال ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٣٨٨): "العِتَاق" بكسر المهملة وتخفيف المثناة جمع عتيق وهو القديم أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودة ... وقوله "تِلادي" بكسر المثناة وتخفيف اللام أي مما حفظ قديما ...ومراد ابن مسعود أنهن من أول ما تعلم من القرآن، وأن لهن فضلا لما فيهن من القصص وأخبار الأنبياء والأمم".اهـ.

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٧٠).

(٦) تفسيره (١٤/ ٤١١).

(٧) الناسخ والمنسوخ ص (٥٤٥).

(٨) سور القرآن وآياته ص (١٦٧).

(٩) انظر أسماء سور القرآن لمنيرة الدوسري ص (٢٤٦) وقد حصرت أكثرت من ستة عشر مصحفاً سميت به.

وبه بوَّب لها الترمذي.[١] وأقدم من وقفت عليه في تسمية السورة بـ"سورة الإسراء" هو الزجاج في معاني القرآن[٢].

سورة الكهف: اسمها عند البخاري "سورة الكهف"، وثبت عن رسول الله ﷺ، فقد روى مسلم في صحيحه[٣] عن أبي الدرداء، أن النبي ﷺ، قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال).

سورة مريم: اسمها في صحيح البخاري "سورة ﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾"، فسمَّاها البخاري بفاتحتها من الحروف المقطعة، رغم أن أشهر أسمائها "سورة مريم" وهو مروي عن أم سلمة رضي الله عنها في قصة حديثهم مع النجاشي قالت: "فقرأ صدراً من كهيعص".[٤] وسبق أن ذكرتُ[٥] اجتهاد البخاري في تسميته لها رغم أنه أخرج في صحيحه اسم "سورة مريم" منسوباً لعبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

سورة طه: اسمها في تبويب البخاري "سورة طه"، وهو مروي عن النبي ﷺ فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السماوات والأرض بألف عام).[٦]

سورة الأنبياء: بهذا الاسم سمَّاها البخاري "سورة الأنبياء"، وهو الثابت في

---

(١١) الجامع (٣/ ٢٢٥).

(٢)(٤/ ٤١١).

(٣) حديث رقم (٨٠٩).

(٤) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (١٧٤٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٠١).

(٥) ص (٢٧).

(٦) أخرجه الدارمي في السنن حديث رقم (٣٤٧٥).

الصحيح عن ابن مسعود ﷺ في قوله: "بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العِتَاق الأول ...".[1]

سورة الحج: سمَّاها البخاري "سورة الحج"، وبه عرفت في زمن النبي ﷺ، فقد أخرج أحمد والترمذي[2] عن عقبة بن عامر قال: "قلت: يا رسول الله، أَفُضِّلتْ سورةُ الحج على سائر القرآن بسجدتين؟ قال: " نعم، فمن لم يسجدهما، فلا يقرأهما".

سورة المؤمنون: بوَّب لها البخاري بقوله: "سورة المؤمنين"[3]، وذكرها بالجر باعتبار موقعها من الإعراب وأنها مضافة لكلمة "سورة"، ويقال فيها "سورة المؤمنون" على حكاية لفظ "المؤمنون" في أول السورة. وهو أشهر أسمائها، وهو معروف من زمن النبي ﷺ، فأخرج مسلم في صحيحه[4] عن عبد الله بن السائب قال: " صلى لنا النبي ﷺ: الصبح بمكة فاستفتح سورة المؤمنين ...".

سورة النور: سمَّاها البخاري "سورة النور"، وهو الثابت عن الصحابة وأخرجه البخاري في صحيحه[5] عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ، فأخرج بسنده: "عن الشيباني: سألت عبد الله بن أبي أوفى: " هل رَجَم رسول الله

(١) سبق تخريجه في سورة الإسراء.

(٢) المسند حديث رقم (١٧٣٦٤)، والجامع حديث رقم (٥٧٨).

(٣) في إحدى نسخ صحيح البخاري "المؤمنون" انظر الصحيح (٦/ ٩٩) ت. محمد الناصر.

(٤) حديث رقم (٤٥٥).

(٥) حديث رقم (٦٨١٣).

ﷺ؟ قال: نعم، قلت: قبل سورة النور أم بعد؟ قال: لا أدري".

سورة الفرقان: سمَّاها البخاري "سورة الفرقان"، وهو الثابت في زمن النبي ﷺ، وأخرجه البخاري في صحيحه[(١)] كما في القصة المشهورة الواقعة بين عمر بن الخطاب وهشام حكيم عند اختلافهم في كيفية القراءة فقال عمر بن الخطاب ؓ: "سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول ﷺ ... فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ...".

سورة الشعراء: بوَّب لها البخاري بـ"سورة الشعراء"، وهو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "وسورة الشعراء نزلت بمكة".[(٢)]

سورة النمل: بوَّب لها البخاري بـ"سورة النمل" وهو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة النمل بمكة".[(٣)]

سورة القصص: سمَّاها البخاري "سورة القصص" وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة القصص بمكة".[(٤)]

سورة العنكبوت: سمَّاها البخاري "سورة العنكبوت"، وهو مروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن رسول الله ﷺ كان يصلي في كسوف الشمس والقمر أربع ركعات وأربع سجدات وقرأ في الركعة الأولى

(١) حديث رقم (٤٩٩٢).

(٢) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص (٦٠٧).

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٢-١٤٤).

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٢-١٤٤).

بالعنكبوت ، أو الروم ، وفي الثانية بياسين".[1]

سورة الروم: سمَّاها البخاري بمطلعها فقال: "سورة ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾".[2] لم يعزه للبخاري د. محمد الشايع[3] وإنما عزاه لمتأخرين عنه كالسخاوي والفيرزابادي. وأما د. منيرة الدوسري[4] فلم تذكر هذا الاسم؛ بل نفت أن يكون للسورة اسمٌ آخر.

سورة لقمان: قال البخاري: "سورة لقمان"، وهو مروي عن البراء بن عازب ﷺ، قال: "كان رسول الله ﷺ يصلي بنا الظهر، فنسمع منه الآية بعد الآيات، من سورة لقمان، والذاريات".[5]

سورة السجدة: قال البخاري في تبويبه لها: "سورة السجدة"[6]، وهو مروي عن أبي سعيد الخدري ﷺ، روى النسائي في السنن[7] عن أبي سعيد قال: "كنا نحزر قيام رسول الله ﷺ في الظهر والعصر، فحزرنا قيامه في الظهر قدر ثلاثين آية قدر سورة السجدة في الركعتين الأوليين ...".

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه حديث رقم (١٧٩٢).

(٢) في إحدى نسخ البخاري "سورة الروم". انظر الصحيح (٦/ ١١٣) ت. محمد الناصر.

(٣) أسماء سور القرآن ص (١٠٦).

(٤) أسماء سور القرآن ص (٣٠٤).

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم (٨٣٠)، والنسائي في سننه حديث رقم (٩٧١). وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٤١٢٠).

(٦) في نسخة من الصحيح "تنزيل السجدة". الصحيح (٦/ ١١٥) ت. محمد الناصر، ويكون جمع بين اسم السورة المشتهر ومطلعها بدون الحروف المقطعة.

(٧) حديث رقم (٤٧٥).

وسمّاها البخاري بهذا الاسم رغم أنه أخرجه في صحيحه[١] عن أبي هريرة ﷺ قال: "كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر (ألم تنزيل) و(هل أتى على الإنسان)". ولعل البخاري اعتقد أن إطلاق أبي هريرة لقوله: (ألم تنزيل) ليس هو تسمية للسورة بقدر ما هو ذكر لمطلعها، فلم يسمها به. والله أعلم.

سورة الأحزاب: قال البخاري في تسميتها: "سورة الأحزاب"، وهو أشهر أسمائها، وروي عن بعض الصحابة ومنهم زيد بن ثابت، وأخرج حديثه البخاري في الصحيح[٢] عن زيد بن ثابت ﷺ، قال: "نسخت الصحف في المصاحف، ففقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فلم أجدها إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ...".

سورة سبأ: قال البخاري: "سورة سبأ"، وهو مروي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة سبأ في مكة".[٣]

سورة فاطر: بوَّب لها البخاري باسم "سورة الملائكة"، وليس لها اسم آخر في نسخ صحيح البخاري، وأثبت هذا الاسم ابن حجر في فتح الباري[٤]، وبوَّب الترمذي[٥] في الجامع بهذا الاسم. وكُتب في كثير من

(١) حديث رقم (٨٩١).

(٢) حديث رقم (٢٨٠٧).

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٢-١٤٤).

(٤) (٨/ ٥٤٠) وانظر إرشاد الساري (٧/ ٣١١).

(٥) (٥/ ٣٦٣).

المصاحف من القرن الرابع وما بعده[1]. ولم أقف على ذكر لهذا الاسم في عهد الصحابة، وإنما رُويت عمن بعدهم كقتادة[2] وغيره.

سورة يس: قال البخاري: "سورة ﴿يسٓ ۝١﴾" وهو تسمية لها بمطلعها، ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: (اقرؤوا يس على موتاكم).[3]

سورة الصافات: سمَّاها البخاري "سورة (والصافات)" بإثبات الواو كما في مطلع السورة[4]، وهكذا ذكرها العيني[5] والقسطلاني[6]. وهكذا وردت في سور القرآن لابن شاذان الرازي[7] وأغفل نسبتها لصحيح البخاري د. الشايع ود. منيرة في كتابيهما، وعزوها للنسفي والزمخشري وهما متأخران.[8]

سورة ص: سمَّاها البخاري بمطلعها فقال: "سورة ﴿صٓ﴾"، وثبت

---

(١) انظر أسماء سور القرآن لمنيرة الدوسري ص (٣٢٤) وقد ذكرت عشرة نسخ من المصاحف بهذا الاسم.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢/ ١١٧).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن حديث رقم (٣١٢١). وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٥٨٦١).

(٤) الصحيح (٦/ ١٢٣) ت. محمد الناصر.

(٥) عمدة القاري (١٩/ ١٣٤).

(٦) إرشاد الساري (٧/ ٣١٣).

(٧) ص (٢٤٢).

(٨) انظر أسماء سور القرآن للشايع ص (١٢٢)، وأسماء سور القرآن لمنيرة الدوسري ص (٣٣٦).

عن بعض الصحابة فأخرج البخاري في الصحيح[1] عن ابن عباس قال: "ص ليس من عزائم السجود".

سورة الزمر: سمَّاها البخاري باسمها المشتهر "سورة الزمر"، وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها، فروى الترمذي في جامعه[2] عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر".

سورة غافر: بوَّب لها البخاري قال: "سورة المؤمن"[3]، وقد ورد عن النبي ﷺ، فروى الترمذي[4] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ حم المؤمن إلى (إليه المصير) وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح".

سورة فصلت: بوَّب لها البخاري بقوله: "سورة حم السجدة"، سمَّاها بمطلعها من الحروف المقطعة وأضاف كلمة السجدة ليميزها عن غيرها من الحواميم. ووردت هذه التسمية عن بعض الصحابة، فأخرج عبد الرزاق[5]

(١) حديث رقم (١٠٦٩).

(٢) حديث رقم (٢٩٢٠) قال الترمذي: "حديث حسن غريب". قال الألباني: "إسناده جيد". انظر السلسة الصحيحة حديث رقم (٦٤١).

(٣) وفي نسخة للبخاري "سورة حم". انظر الصحيح (٦/ ١٢٦) ت. محمد الناصر. قال القسطلاني في إرشاد الساري (٧/ ٣٢٤): "لأبي ذر والأصيلي سورة المؤمن ولغيرهما حم".اهـ.

(٤) الجامع حديث رقم (٢٨٧٩) قال الترمذي: " حديث غريب ".

(٥) المصنف حديث رقم (٥٨٥٩).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "سجود القرآن عشر: الأعراف، والنحل، والرعد، وبني إسرائيل، ومريم، والحج، والفرقان، وطس الوسطى، والم تنزيل، وحم السجدة ".

سورة الشورى: بَّوب لها البخاري بقوله: "حم عسق"، فسمَاها بمطلعها من الحروف المقطعة وأضاف لها الآية الثانية؛ ليميزها عن أخواتها من الحواميم. ووردت عن رسول الله ﷺ، فأخرج الطبراني(١) عن ميمونة، قالت: "قرأ رسول الله ﷺ (حم عسق) فقال: (يا ميمونة أتقرئين "حم عسق" لقد نسيت ما بين أولها إلى آخرها) فقرأتُها، فقرأها رسول الله ﷺ". ولم ينسب د. محمد الشايع(٢) هذا الاسم للبخاري، وإنما أقدم من عزاه له ابن جرير في تفسيره(٣).

سورة الزخرف: بوَّب لها البخاري بقوله: "سورة حم الزخرف"، فسمَّاها بمطلعها ثم أضاف لها اسمها المشتهر "الزخرف"؛ لتمييزها عن باقي الحواميم. وقد نُسب هذا الاسم لابن عباس قال: "نزلت بمكة سورة حم الزخرف".(٤)

---

(١) المعجم الكبير (٢٨/ ٢٤) حديث رقم (٧٥) وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٠٢-١٠٣): "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني محمد بن عبدوس".

(٢) أسماء سور القرآن ص (١٣٣-١٣٤).

(٣) تفسير ابن جرير (٢٠/ ٤٦٤).

(٤) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص (٢١٤).

سورة الدخان: اسمها في الصحيح "سورة الدخان"، وفي إحدى نسخ البخاري[١] "حم الدخان". وأما الاسم الأول فقد رُوي عن النبي ﷺ، فعن الحسن أن النبي ﷺ قال: (من قرأ سورة الدخان في ليلة الجمعة غفر له ما تقدم من ذنبه).[٢]

وأما الاسم الآخر "حم الدخان" فجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت بمكة سورة حم الدخان".[٣] ورُوي في حديث ضعيف عن النبي ﷺ أنه قال: (من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك).[٤]

ونُسب هذا الاسم "حم الدخان" عند د. محمد الشايع[٥] إلى الواحدي في الوسيط، وتفسير السمعاني، ونسبته د. منيرة الدوسري[٦] لتفسير الواحدي والحاكم في المستدرك، ولم ينسباه لصحيح البخاري.

---

(١) الصحيح (٦/ ١٣١) ت. محمد الناصر. وانظر إرشاد الساري (٧/ ٣٣٥).

(٢) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص (٢٢٢). وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٤٦٣٢).

(٣) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص (٢١٤).

(٤) أخرجه الترمذي في الجامع حديث رقم (٢٨٨٨) وجاء فيه: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعمر بن أبي خثعم يضعف قال محمد: وهو منكر الحديث". وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٥١١٢).

(٥) أسماء سور القرآن ص (١٣٦).

(٦) أسماء سور القرآن ص (٣٦٥).

سورة الجاثية: سمَّاها البخاري "سورة حم الجاثية"، وفي نسخة[1] "حم الجاثية". والاسم الأول "حم الجاثية" نُسب إلى ابن عباس، قال: "أنزل بمكة سورة حم الجاثية".[2] وأما الاسم الثانية "الجاثية" فقد عنون به ابن جرير[3] والنحاس[4]، ونسبته د. منيرة الدوسري[5] للبخاري، بينما لم ينسبه له د. محمد الشايع[6]. وأما "حم الجاثية" فنسبه د. الشايع[7] ود. منيرة الدوسري[8] للواحدي والحاكم ولم ينسباه للبخاري.

سورة الأحقاف: اسمها في الصحيح "سورة الأحقاف" وفي نسخة[9] "سورة حم الأحقاف". والاسم الأول "الأحقاف" ورد عن زمن النبي ﷺ، فأخرج أحمد[10] عن ابن مسعود ؓ أنه قال: (أقرأني رسول الله ﷺ سورة من الثلاثين، من آل حم قال: يعني الأحقاف قال: وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين). وأما الاسم الآخر "حم

(١) الصحيح (٦/ ١٣٣) ت. محمد الناصر. وانظر إرشاد الساري (٧/ ٣٣٨).

(٢) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص (٢١٤).

(٣) تفسيره (٢١/ ٧٢).

(٤) إعراب القرآن (٤/ ١٣٩).

(٥) أسماء سور القرآن ص (٣٧٧).

(٦) أسماء سور القرآن ص (١٣٨).

(٧) أسماء سور القرآن ص (١٣٨).

(٨) أسماء سور القرآن ص (٣٧٨).

(٩) الصحيح (٦/ ١٣٣) ت. محمد الناصر. وانظر إرشاد الساري (٧/ ٣٣٩).

(١٠) المسند حديث رقم (٣٩٨١).

الأحقاف" فورد عن ابن عباس K أنه قال: "نزلت سورة حم الأحقاف بمكة".[١]

ولم ينسب في كتابي[٢] د. الشايع ود. منيرة هذا الاسم للبخاري ولا لغيره من مصادر محددة،

وأما الاسم الآخر "حم الأحقاف" فنسباه[٣] للواحدي بينما الأولى نسبته لصحيح البخاري.

سورة محمد: بوَّب لها البخاري بقوله: "سورة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾" فسمَّاها بمطلع السورة، ونُسب إلى عبد الله بن الزبير رضي الله عنها قال: "نزلت بالمدينة سورة (الذين كفروا)".[٤]

سورة الفتح: سمَّاها البخاري "سورة الفتح"، وهو الاسم المعروف لها منذ زمن النبي ﷺ وأخرجه البخاري في صحيحه[٥] عن عبد الله بن مغفل قال: "رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته، وهو يقرأ سورة الفتح يُرَجِّع[٦] ". وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرَجَّعتُ كما رَجَّع".

---

(١) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص (٢١٤).

(٢) أسماء سور القرآن للشايع ص (١٤٠)، وأسماء السور لمنيرة الدوسري ص (٣٨١-٣٨٢).

(٣) أسماء سور القرآن للشايع ص (١٤٠)، وأسماء السور لمنيرة الدوسري ص (٣٨١-٣٨٢).

(٤) انظر الدر المنثور (١٣/ ٣٤٩) وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥) حديث رقم (٤٢٨١)، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٧٩٤).

(٦) قال ابن حجر في فتح الباري (٨/ ١٤) عن معنى يرجع: "يرجِّع بتشديد الجيم، =

سورة الحجرات: سمَّاها البخاري "سورة الحجرات"، ونُسب إلى ابن عباس عنه قال: "نزلت سورة الحجرات بالمدينة".[1] ولم ينسبه د. الشايع، ود. منيرة الدوسري للبخاري.[2]

سورة ق: قال البخاري: "سورة ﴿قٓ﴾"، سمَّاها بمطلعها من الحروف المقطعة، ونُسب إلى ابن عباس أنه قال: "نزلت سورة ق بمكة".[3] وقريب منه ما ذكره جابر بن سَمُرة ﷺ، فأخرج مسلم في صحيحه[4] عن جابر بن سمرة قال: "إن النبي ﷺ كان يقرأ في الفجر بـ(ق والقرآن المجيد) وكان صلاته بعد تخفيفا".

سورة الذاريات: سمَّاها البخاري بمطلعها فقال: "سورة ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾". وهو اسمها عند الفراء[5].

سورة الطور: بوَّب لها البخاري بمطلعها فقال: "سورة

= والترجيع ترديد القارئ الحرف في الحلق".اهـ وقال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٢٠٢): "الترجيع ترديد القراءة".اهـ وينظر كتاب الترجيع في القراءة مفهومه وأحكامه لـ د. ناصر القثامي. نشر الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه تبيان.

(١) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص (١٧).

(٢) أسماء سور القرآن للشايع ص (١٤٤)، وأسماء السور لمنيرة الدوسري ص (٣٩٤). لم ينسبه د. الشايع لأي أحد، بينما اكتفت د. منيرة بنسبته لابن عباس ولابن الزبير ولم تعزه لكتب المفسرين أو المحدثين.

(٣) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص (١٧).

(٤) حديث رقم (٤٥٨).

(٥) معاني القرآن (٣/ ٨٢).

﴿وَٱلطُّورِ ١﴾". وهو اسمها عند الفراء[١]. وأخرج البخاري في صحيحه[٢] رواية فيها أن اسمها (الطور) بلا واو، فأخرج عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله ﷺ: "قرأ في المغرب بالطور".

سورة النجم: بوَّب لها البخاري بمطلعها فقال: "سورة ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾". وأخرجه البخاري[٣] عن زيد بن ثابت أنه قال: "قرأت على النبي ﷺ (والنجم) فلم يسجد فيها".

سورة القمر: بوَّب لها البخاري بمطلعها فقال: "سورة ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾"، وهو ثابت منذ زمن النبي ﷺ، فأخرج مسلم في صحيحه[٤] عن أبي واقد الليثي، قال: "سألني عمر بن الخطاب: عما قرأ به رسول الله ﷺ في يوم العيد؟ فقلت: "بـ(اقتربت الساعة)، و(ق والقرآن المجيد)".

سورة الرحمن: سمَّاها البخاري "سورة ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ١﴾"، وهو الوارد في زمن النبي ﷺ وعن صحابته، فأخرج الترمذي[٥] عن جابر قال: "خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها...".

---

(١) معاني القرآن (٣/ ٩١).

(٢) حديث رقم (٧٦٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٤٦٣).

(٣) حديث رقم (١٠٧٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٥٧٧).

(٤) حديث رقم (٨٩١) وفي رواية: (اقتربت الساعة وانشق القمر).

(٥) الجامع حديث رقم (٣٢٩١). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢١٥٠).

سورة الواقعة: قال البخاري في تبويبه لها: "سورة الواقعة"، وصح عن النبي ﷺ قوله: (شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت).[1]

سورة الحديد: قال البخاري في تبويبه لها: "سورة الحديد"، ورُوي عن ابن عباس أنه قال:

"أنزلت سورة الحديد بالمدينة".[2]

سورة المجادلة: قال البخاري في تسميتها: "سورة المجادلة"[3]، وورد عن خولة بنت ثعلبة t، فأخرج أحمد[4] عنها قالت: "فِيَّ والله وفي أوس بن صامت أنزل الله ﷻ صدر سورة المجادلة".

سورة الحشر: قال البخاري في تبويبه لها: "سورة الحشر"، ورُوي عن النبي ﷺ، فأخرج أحمد والترمذي[5] عن معقل بن يسار، عن النبي ﷺ قال: (من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وَكَّل اللهُ به سبعين ألف

---

(١) سبق تخريجه في سورة هود.

(٢) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص (١٧).

(٣) وضُبطت في النسخة اليونينية لصحيح البخاري (٦/ ١٤٧) ت. محمد الناصر بكسر الدال (المجادِلة). ولم يشر لذلك د. الشايع في كتابه ص (١٥٦)، ود. منيرة في كتابها ص (٤٢٦) وإنما نسباه للمتأخرين كابن عاشور والخفاجي. وفي كل الأحوال فإن اليونيني هو متقدم على الخفاجي وابن عاشور.

(٤) المسند حديث رقم (٢٧٣١٩).

(٥) المسند حديث رقم (٢٠٣٠٦)، والجامع حديث رقم (٢٩٢٢).

ملك يصلون عليه حتى يمسي ...).

وورد في صحيح البخاري اسمٌ آخر لها، فأخرج البخاري[1] عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر، قال: "قل سورة النضير". ومع هذا لم يسمها بما أخرجه هو عن ابن عباس، واختار اسماً آخر لها في تبويبه، رغم أنه أخرج هذا الحديث في نفس تبويبه للسورة باسم سورة الحشر.

سورة الممتحنة: سمَّاها البخاري "سورة الممتحنة"، ورُوى عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الممتحنة بالمدينة".[2]

سورة الصف: قال البخاري: "سورة الصف"، وعرفت بهذا الاسم منذ زمن النبي ﷺ،

فأخرج أحمد[3] عن عبد الله بن سلام قال: "تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فلم يقم أحد منا، فأرسل إلينا رسول الله ﷺ رجلاً فجمعنا، فقرأ علينا هذه السورة، يعني سورة الصف كلها".

سورة الجمعة: قال البخاري: "سورة الجمعة"، وبهذا عرفت من زمن

---

(١) حديث رقم (٤٠٢٩) وبرقم (٤٨٨٣) وفي رواية (٤٨٨٢): "قلت: سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النضير". ولعل البخاري يميل إلى تقديم هذه الرواية على الأخرى؛ ولذا لم يسم السورة بما ورد في رواية ابن عباس "سورة النضير"، وكما هو معلوم فإن البخاري قد أودع في صحيحه كثيراً من علمه في علل الأحاديث. والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص (١٧).

(٣) حديث رقم (٢٣٧٨٨).

النبي ﷺ، فأخرج البخاري في صحيحه[1] عن أبي هريرة ﷺ، قال: "كنا جلوسا عند النبي ﷺ، فأنزلت عليه سورة الجمعة". وسيأتي في سورة (المنافقون) حديثٌ آخر فيه ذِكْر لسورة الجمعة.

سورة المنافقون: ورد لها في صحيح البخاري اسمان وهما "سورة المنافقين" - بالجر على الإضافة - وهي نسخة أبي ذر، وباقي النسخ فيه "سورة ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾"[2]. أما الاسم الأول فهو معروف من زمن النبي ﷺ فأخرج الترمذي[3] من حديث زيد بن أرقم أنه قال: "فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين". وأخرج مسلم في صحيحه[4] عن ابن عباس "أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر، يوم الجمعة: الم تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان حين من الدهر، وأن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة، والمنافقين ".

وأما الاسم الآخر فهو تسمية لها بمطلع السورة وعليه غالب نسخ صحيح البخاري، ولم ينسبه له د. الشايع ود. منيرة الدوسري[5]، وإنما نسبه د. الشايع للنسائي والثعالبي في تفسيريهما والفيروزآبادي في بصائره، ونسبته د. منيرة للثعالبي.

---

(١) حديث رقم (٤٨٩٧).

(٢) الصحيح (٦/ ١٥٢) ت. محمد الناصر. وانظر فتح الباري (٨/ ٦٤٤).

(٣) حديث رقم (٣٣١٣) وقال الترمذي: "حديث حسن".

(٤) حديث رقم (٨٧٩).

(٥) أسماء سور القرآن للشايع ص (١٦٥) وأسماء السور لمنيرة الدوسري ص (٤٤٩).

سورة التغابن: سمَّاها البخاري "سورة التغابن"، ورُوي عن ابن عباس أنه قال: "نزلت سورة التغابن بالمدينة".[(١)]

سورة الطلاق: قال فيها البخاري: "سورة الطلاق"، وورد عن ابن عباس أنه قال: " نزلت
سورة الطلاق بالمدينة".[(٢)] ولم ينسبها د. محمد الشايع[(٣)] لأي أحد.

سورة التحريم: ورد لها في نسخ صحيح البخاري اسمان، ففي نسخة أبي ذر "سورة ﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾"[(٤)]، وأما في باقي النسخ فإن اسم السورة هو "سورة الـمُتَحَرَّم".[(٥)] ورُوي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الـمُتحرَّم بالمدينة".[(٦)] ولم ينسب أياً من الاسمين للبخاري د. الشايع ود. منيرة

(١) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص (١٧)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ص (٧٤٥).

(٢) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص (١٧)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ص (٧٤٥).

(٣) أسماء سور القرآن ص (١٦٧).

(٤) قال القسطلاني في إرشاد الساري (٧/ ٣٩٢): "ولأبي ذر سورة (لم تحرم)". وذكر ابن عاشور في التحرير والتنوير (٢٨/ ٣٠٧) اسم السورة بهذا الشكل "سورة اللِّم تحرم" ونسبه لنسخة أبي ذر، وقال في توجيه هذا الاسم: "على حكاية جملة (لم تحرم) وجعْلِها بمنزلة الاسم وإدخال لام تعريف العهد على ذلك اللفظ وإدغام اللامين".اهـ ولم يذكر الاسم الآخر "سورة المتحرم" رغم ثبوته عند اليونيني في نسخته من الصحيح.

(٥) الصحيح (٦/ ١٥٦) ت. محمد الناصر.

(٦) انظر الدر المنثور (١٤/ ٥٦٨). وورد الاسم في معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧هـ) سورة "المحرم" ورجح محققه أن الاسم هو "المتحرم" فقال: الأرجح أن (المحرم) تحريف =

الدوسري[1]، وإنما نسباه لمتأخرين كابن الجوزي والسيوطي وابن عاشور، وبعض المصاحف المخطوطة المتأخرة.

سورة الملك: في تبويب البخاري قال: "سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾"، وفي نسخة "سورة الملك".[2] وجاء الاسم الأول عن النبي ﷺ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، أنه قال: (إن سورة من القرآن، ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غُفِر له، وهي سورة (تبارك الذي بيده الملك)).[3] كما روي الاسم الآخر عن ابن مسعود قال: " مات رجل فجاءته ملائكة العذاب فجلسوا عند رأسه فقال: لا سبيل لكم إليه، قد كان يقرأ سورة الملك".[4] ولم تنسب د. منيرة الدوسري[5] اسم "سورة الملك" لصحيح البخاري رغم أنها نسبته للترمذي والحاكم. بينما لم ينسبه د. محمد الشايع لأي أحد.[6]

= المتحرم، فهي سورة التحريم والمتحرم، كما في حـ، ش. انظر معاني القرآن (٣/ ١٦٥).

(١) أسماء سور القرآن للشايع ص (١٦٩) وأسماء السور لمنيرة الدوسري ص (٤٥٩).

(٢) الصحيح (٦/ ١٥٨) ت. محمد الناصر. قال القسطلاني في إرشاد الساري (٧/ ٣٩٧): "سورة (تبارك الذي بيده الملك)، ولغير أبي ذر (سورة الملك)".

(٣) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (٧٩٧٥)، والترمذي في الجامع حديث رقم (٢٨٩١) وقال: "حديث حسن"، وأبو داود في السنن حديث رقم (١٤٠٠).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم (٨٦٥٠).

(٥) أسماء سور القرآن ص (٤٦٣).

(٦) أسماء سور القرآن ص (١٧١).

سورة القلم: سمَّاها البخاري بـ"سورة ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾"، وهي تسمية لها بمطلعها، وورد عن ابن عباس أنه قال: "نزلت سورة ن والقلم بمكة".[١] ولم ينسبه د. محمد الشايع لأي أحد[٢]، بينما نسبته د. منيرة الدوسري[٣] للبخاري ولغيره.

سورة الحاقة: سمَّاها البخاري بـ"سورة الحاقة"، وورد اسمها هذا في عهد النبي ﷺ، فقال عمر بن الخطاب: "خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة ...".[٤]

سورة المعارج: بوَّب لها البخاري بقوله: "سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾"، وهي تسمية بمطلع السورة. وبهذا سمَّاها الفراء[٥]، والفضل بن شاذان[٦]. وقريب منه رُوي عن ابن عباس[٧] قال: "نزلت سورة (سأل) بمكة".

سورة نوح: بوَّب لها البخاري بقوله:"سورة ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا﴾"، وهي

---

(١) انظر الدر المنثور (١٤/ ٦١٧) ونسبه للنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) أسماء سور القرآن ص (١٧٦).

(٣) أسماء سور القرآن ص (٤٧٥).

(٤) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (١٠٧). أشار الألباني إلى انقطاع سنده، عند كلامه على حديث رقم (٦٥٣١) في السلسلة الضعيفة.

(٥) معاني القرآن (٣/ ١٨٣).

(٦) سور القرآن ص (٣٣٦).

(٧) (١٤/ ٦٨٦).

تسمية بمطلعها. وروي قريب منه عن ابن الزبير رضي الله عنه قال: "نزلت سورة (إنا أرسلنا نوحاً) بمكة".[1] وفي نسخة أبي ذر "سورة نوح".[2] وهو اسم السورة عند الفراء[3]، وأبو عبيدة[4]. ولم ينسب د. محمد الشايع ود. منيرة الدوسري[5] هذا الاسم "سورة نوح" للبخاري.

سورة الجن: قال البخاري في تبويبه لها: "سورة ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾" وهي تسمية له بمطلعها، ورُوي قريباً منه عن عائشة رضي الله عنها قالت: "نزلت سورة (قل أوحي) بمكة".[6]

سورة المزمل: سمَّاها البخاري بما اشتهر به فقال: "سورة المزمل"، وروُي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة المزمل بمكة إلا آيتين ...".[7]

سورة المدثر: قال البخاري في تسميته لها: "سورة المدثر"، وروُي عن ابن عباس ر ضي الله عنهما قال: "نزلت سورة المدثر بمكة".[8] ولم يعزه د.

(١) انظر الدر المنثور (١٤/ ٦٨٦) وعزاه لابن مردويه.

(٢) الصحيح (٦/ ١٦٠) ت. محمد الناصر. وانظر إرشاد الساري (٧/ ٤٠٠).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٨٧).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٧١).

(٥) أسماء سور القرآن للشايع ص (١٨١)، وأسماء سور القرآن لمنيرة الدوسري ص (٤٨٥).

(٦) انظر الدر المنثور (٥/ ١٥) وعزاه لابن مردويه.

(٧) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص (٧٥١).

(٨) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص (٧٥٧).

محمد الشايع[١] للبخاري ولا لغيره على وجه التحديد.

سورة القيامة: قال البخاري في اسمها: "سورة القيامة"، وروُي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة القيامة بمكة".[٢] ولم يعزه د. محمد الشايع[٣] للبخاري ولا لغيره.

سورة الإنسان: قال البخاري في تبويبه لها: "سورة ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾"، سُمِّيت بهذا الاسم من عهد الصحابة، فأخرج البخاري في صحيحه[٤] عن أبي هريرة ﷺ قال: "كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر (ألم تنزيل) و(هل أتى على الإنسان)". وهو اسمها عند أبي عبيدة[٥].

ولم يعزه د. محمد الشايع[٦] للبخاري وإنما عزاه لمن هو بعده؛ كالفيروزآبادي، والسخاوي، والبقاعي، والألوسي، وكذا فعلت د. منيرة الدوسري[٧] فقد عزت هذا الاسم للطبري، والحاكم في مستدركه، ولم تعزه للبخاري.

سورة المرسلات: بوَّب لها البخاري بقوله: "سورة ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ﴾"، وهو

---

(١) أسماء سور القرآن ص (١٨٤).

(٢) انظر الدر المنثور (١٥/ ٩٥).

(٣) أسماء سور القرآن ص (١٨٥).

(٤) سبق عزوه في سورة السجدة.

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٩).

(٦) أسماء سور القرآن ص (١٨٦).

(٧) أسماء سور القرآن ص (٤٩٨-٤٩٩).

تسمية لها بمطلعها بدلالة إضافة حرف القسم، وهكذا اسمها في جميع نسخ الصحيح.[1] وبهذا الاسم سمَّاها الفضل بن شاذان[2].

وجانب الصواب د. محمد الشايع[3] ود. منيرة الدوسري[4] في نسبتهم للبخاري أنه سمَّاها "سورة ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾" بدون واو القسم، بينما الثابت في تبويب البخاري إثبات واو القسم كما ذكرت سابقاً. ثم إنهما نسبا تسمية السورة بإثبات واو القسم لمن بعد البخاري، فنسبه د. محمد الشايع للفيروزابادي، ونسبته د. منيرة الدوسري للطبري. ونِسْبَتَه للبخاري بلا شك أنه أولى.

سورة النبأ: قال البخاري في اسمها: "سورة ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾"، وثبتت هذه التسمية عن رسول الله ﷺ فيما رواه ابن عباس من قوله ﷺ: (شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت).[5] وروي عن ابن عباس أنه قال: "نزلت سورة (عم يتساءلون) بمكة"[6] وبهذا الاسم سمَّاها أبو عبيدة[7]، والفضل ابن شاذان[8].

---

(١) وهذا الذي أثبته القسطلاني في إرشاد الساري (٧/ ٤٠٨).

(٢) سور القرآن ص (٣٥٨).

(٣) أسماء سور القرآن ص (١٨٨).

(٤) أسماء سور القرآن ص (٥٠٤-٥٠٥).

(٥) سبق تخريجه في سورة هود.

(٦) انظر الدر المنثور (١٥/ ١٨٩).

(٧) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٢).

(٨) سور القرآن ص (٣٦٠).

ولم ينسب د. محمد الشايع[1] هذا الاسم للبخاري، ونسبه لمن هو بعده كالفيروزابادي.

وكذلك د. منيرة الدوسري[2] لم تنسبه للبخاري بينما نسبته لمن هو بعده من محدثين كالحاكم، أو مفسرين كالزمخشري، والثعالبي وغيرهم.

سورة النازعات: سمَّاها البخاري بقوله: "سورة ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾"، فسماها بمطلعها بإثبات حرف الواو، وبهذا الاسم سمَّاها الفضل بن شاذان[3].

سورة عبس: بوَّب لها البخاري بقوله: "سورة عبس"، وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة عبس بمكة".[4] وهكذا سمَّاها الفراء[5]، وأبو عبيدة[6]، والفضل بن شاذان[7].

ولم ينسب هذا الاسم للبخاري د. محمد الشايع ود. منيرة الدوسري[8] بل نسباه إلى الحاكم في المستدرك والفيروزابادي.

---

(١) أسماء سور القرآن ص (١٩٠).

(٢) أسماء سور القرآن ص (٥٠٩).

(٣) سور القرآن ص (٣٦٣).

(٤) انظر الدر المنثور (١٥/ ٢٣٩) وعزاه إلى ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي.

(٥) معاني القرآن (٣/ ٢٣٥).

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٦).

(٧) سور القرآن ص (٣٦٥).

(٨) أسماء سور القرآن للشايع ص (١٩٤)، وأسماء سور القرآن لمنيرة الدوسري ص (٥١٨).

سورة التكوير: سمَّاها البخاري بمطلعها فقال: "سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾"، وثبتت هذه التسمية عن رسول الله ﷺ فيما رواه ابن عباس أنه قال: (شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت).[1] وبهذا الاسم سمَّاها الفراء[2].

سورة الانفطار: سمَّاها البخاري بمطلعها فقال: "سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾"، وورد في حديث المصطفى ﷺ من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت).[3]

وبهذا الاسم سمَّاها الفراء[4]، وأبو عبيدة[5].

سورة المطففين: سمَّاها البخاري بمطلعها فقال: "سورة ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾"، ورُوي عن ابن عباس قال: "لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كَيْلاً، فأنزل الله سبحانه ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك".[6]

---

(١) سبق تخريجه في سورة هود.

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٣٩).

(٣) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (٤٨٠٦)، والترمذي في الجامع حديث رقم (٣٣٣٣). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٨١).

(٤) معاني القرآن (٣/ ٢٤٣).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٨).

(٦) أخرجه ابن ماجه في السنن حديث رقم (٢٢٢٣).

سورة الانشقاق: سمَّاها البخاري بمطلعها فقال: "سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾"، وورد عن النبي ﷺ قال: (مَنْ سَرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين، فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت).[١] وبهذا الاسم سمَّاها الفراء[٢]، وأبو عبيدة[٣].

سورة البروج: قال البخاري في تبويبه لها: "سورة البروج"، وبه سمَّاها الفراء[٤] والفضل بن شاذان[٥]. ولم يعزه للبخاري أو لغيره د. محمد الشايع ود. منيرة الدوسري.[٦]

سورة الطارق: قال البخاري في تبويبه لها: "سورة الطارق"، وبه سمَّاها الفراء[٧] والفضل بن شاذان[٨]. ولم يعزه للبخاري أو لغيره د. محمد الشايع ود. منيرة الدوسري.[٩]

سورة الأعلى: في تبويب صحيح البخاري قال: " سورة ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ

(١) سبق تخريجه في سورة الانفطار.

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٤٩).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٩١).

(٤) معاني القرآن (٣/ ٢٥٢).

(٥) سور القرآن ص (٣٨٠).

(٦) أسماء سور القرآن للشايع ص (٢٠١)، وأسماء سور القرآن لمنيرة الدوسري ص (٥٣٥).

(٧) معاني القرآن (٣/ ٢٥٤).

(٨) سور القرآن ص (٣٨٢).

(٩) أسماء سور القرآن للشايع ص (٢٠٢)، وأسماء سور القرآن لمنيرة الدوسري ص (٥٣٨).

رَبِّكَ ﴾"، وهي تسمية بمطلعها، وفي نسخة من الصحيح اسم آخر "سورة الأعلى".[1] قال القسطلاني: "ثبت سورة الأعلى لأبي ذر".[2]

أما الاسم الأول فإنه لم ينسبه للبخاري د. محمد الشايع ود. منيرة الدوسري[3]، وإنما نسباه خطأ له بزيادة كلمة "الأعلى" فقالا: "سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾" ولم تثبت هذه الزيادة في نسخ صحيح البخاري، والظاهر أنهما اعتمدا على بعض النسخ المطبوعة. كما أنهما لم ينسبا للبخاري - أو لغيره - الاسم الثاني "سورة الأعلى". وهذا الأخير سَمَّى به الفراء[4] والفضل ابن شاذان.[5]

سورة الغاشية: جاء تبويب البخاري تسميتها بأول آية فيها فقال: "سورة ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾"، وثبت هذا الاسم في كلام الصحابة، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين، وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية".[6]

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٦٨) ت. الناصر.

(٢) إرشاد الساري (٧/ ٤١٦).

(٣) أسماء سور القرآن للشايع ص (٢٠٣)، وأسماء سور القرآن لمنيرة الدوسري ص (٥٤٠-٥٤٢).

(٤) معاني القرآن (٣/ ٢٥٦).

(٥) سور القرآن ص (٣٨٤).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٨٧٨).

وأورد اسماً آخر ففي نسخة أبي ذر جاء مختصراً "سورة ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ ﴾"[١]. ولم يذكره في كتابهما د. الشايع ود.منيرة الدوسري.[٢]

سورة الفجر: بوَّب لها البخاري بقوله: "سورة ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١﴾" بإثبات الواو كما في مطلع السورة وهو الثابت في كل نسخ صحيح البخاري[٣]، وجاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: "نزلت سورة (والفجر) بمكة"[٤]. وبه سمَّاها الفضل بن شاذان[٥]. ولم ينسبه د. محمد الشايع[٦] للبخاري وإنما نسبه لعبد الرزاق الصنعاني والفيروزابادي.

سورة البلد: بوَّب لها البخاري بمطلعها فقال: "سورة ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾". ولم أقف عليه بهذا الاختصار لمن قبل البخاري.[٧]

سورة الشمس: جاء تبويب البخاري لها بمطلعها فقال: "سورة

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٦٨) ت. الناصر، وإرشاد الساري (٧/ ٤١٧).

(٢) أسماء سور القرآن للشايع ص (٢٠٥)، وأسماء سور القرآن لمنيرة الدوسري ص (٥٤٥).

(٣)الصحيح (٦/ ١٦٩) ت. محمد الناصر، وانظر إرشاد الساري (٧/ ٤١٧).

(٤)انظر الدر المنثور (١٥/ ٣٩٢).

(٥) سور القرآن ص (٣٨٨).

(٦) أسماء سور القرآن ص (٢٠٦). نسبة اسم السورة لعبد الرزاق تحتاج تأكداً من إثبات المؤلف لها، وأنها ليست من نساخ الكتاب، أو أضيف عند طباعة الكتاب. وهذا يسري على كثير من الكتب، فالمطلوب التأكد من أنها من صنيع المؤلف وليست مدخلة عليه من ناسخ أو طابع.

(٧) نسبه د. الشايع ص (٢٠٧)، ود. الدوسري ص (٥٥١) للبخاري، والشوكاني ولم ينسباه لغيرهما.

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾"، وثبت عن النبي ﷺ، فعن جابر ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل ﷺ: (لولا صليت بسبح اسم ربك، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير، والضعيف، وذو الحاجة).[1]

سورة الليل: جاء تبويب البخاري لها بمطلعها فقال: "سورة ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾"، وثبت من كلام النبي ﷺ، كما في الحديث السابق في سورة الشمس.

سورة الضحى: سمَّاها البخاري "سورة ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾" بإثبات الواو كما في مطلع السورة وهو الثابت في كل نسخ صحيح البخاري[2]، وبه بوَّب الترمذي في الجامع.[3] وصح عن النبي ﷺ أنه قال لمعاذ: (اقرأ والشمس وضحاها، والضحى، والليل إذا يغشى، وسبح اسم ربك الأعلى)[4]. فيحتمل الواو قبل (الضحى) أن تكون عاطفة، وتحتمل أن تكون حكاية لاسم السورة بمطلعها.

سورة الشرح: جاء تبويب البخاري لها بمطلعها فقال: "سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾"، وفي نسخة أبي ذر بزيادة "لك" قال:"سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾"، قال

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٧٠٥)، ومسلم في صحيحه حديث رقم (٤٦٥).

(٢) الصحيح (٦/ ١٧٢) ت. محمد الناصر.

(٣) (٥/ ٤٤٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٤٦٥).

القسطلاني[١]: "ثبت لفظ (لك) لأبي ذر".

أما الاسم الأول فقد رُوي عن عائشة t قالت: "نزلت سورة (ألم نشرح) بمكة".[٢] وسَمَّى به الفراء[٣] والفضل بن شاذان[٤]. ونسبه للبخاري د. محمد الشايع ود. منيرة
الدوسري[٥]. وأما بزيادة (لك) فلم ينسباه للبخاري، ولم أقف عليه عند غير البخاري.

سورة التين: سمَّاها البخاري "سورة ﴿وَٱلتِّينِ﴾" بإثبات الواو كما في مطلع السورة، وهو الثابت في كل نسخ صحيح البخاري[٦]، ورُوي عن ابن عباس أنه قال: "أنزلت سورة (والتين) بمكة".[٧] ونسبه للبخاري د. محمد الشايع، ولم تنسبه له د. منيرة الدوسري بل نسبته للحاكم في مستدركه.[٨]

سورة العلق: جاء تبويب البخاري لها بأول آية فيها فقال: "سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾"، ورُوي عن ابن عباس قال: "أول ما نزل من القرآن بمكة

(١) إرشاد الساري (٧/ ٤٢٤) بتصرف.

(٢) انظر الدر المنثور (١٥/ ٤٩٥) وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) معاني القرآن (٣/ ٢٧٥).

(٤) سور القرآن ص (٤٠٠).

(٥) أسماء سور القرآن للشايع ص (٢١٣)، وأسماء سور القرآن لمنيرة الدوسري ص (٥٦٢).

(٦) الصحيح (٦/ ١٢٣) ت. محمد الناصر.

(٧) انظر الدر المنثور (١٥/ ٥٠٦) وعزاه إلى ابن مردويه وغيره.

(٨) أسماء سور القرآن للشايع ص (٢١٥)، وأسماء سور القرآن لمنيرة الدوسري ص (٥٦٤).

(اقرأ باسم ربك الذي خلق)".[1]

سورة القدر: جاء تبويب البخاري لها بمطلعها فقال: "سورة ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾"، وفي بعض نسخ البخاري "سورة القدر"[2]. وسَمَّى به الفراء[3] والفضل بن شاذان[4].

ولم تنسب د. منيرة الدوسري[5] أياً منهما لصحيح البخاري، وأما د. محمد الشايع[6] فنسب له اسماً واحداً وهو ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ ولم ينسب له الآخر.

سورة البينة: جاء تبويب البخاري لها بمطلعها فقال: "سورة ﴿لَمۡ يَكُنِ﴾"، ورُوي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة (لم يكن) بالمدينة".[7] وبه سُمِّيت عند الفراء[8] والفضل بن شاذان[9].

سورة الزلزلة: جاء تبويب البخاري بأول آية فيها فقال: "سورة ﴿إِذَا

(١) انظر الدر المنثور (١٥/ ٥١٩) وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) الصحيح (٦/ ١٧٥) ت. محمد الناصر، وانظر إرشاد الساري (٧/ ٤٢٩) وزاد القسطلاني في نسخة "إنا أنزلناه في ليلة القدر".

(٣) معاني القرآن (٣/ ٢٨٠).

(٤) سور القرآن ص (٤٠٧).

(٥) أسماء سور القرآن ص (٥٧١-٥٧٢).

(٦) أسماء سور القرآن ص (٢١٩).

(٧) انظر الدر المنثور (١٥/ ٥٧٠) وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) معاني القرآن (٣/ ٢٨١).

(٩) سور القرآن ص (٤٠٩).

﴿زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١﴾"، وفي نسخة لأبي ذر "سورة ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾"[١].
ولم أقف على الاسم الأول كما هو بتمامه عند غير البخاري، ولم تنسبه له د. منيرة الدوسري.[٢] بينما نسبه له د. محمد الشايع.[٣]

وأما الاسم الآخر فرُوي عن النبي ﷺ، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ "إذا زلزلت" عدلت له بنصف القرآن)[٤]، وبه سمّاها أبو عبيدة[٥] والفضل بن شاذان[٦] والترمذي[٧]. ولم ينسب هذا الاسم للبخاري د. محمد الشايع[٨] وإنما نسبه للطبري، والفيروزابادي، والصنعاني. ونسبته للبخاري د. منيرة الدوسري.[٩]

سورة العاديات: سمّاها البخاري "سورة ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ﴾"، بإثبات الواو كما في مطلع السورة وهو الثابت في كل نسخ صحيح البخاري[١٠]، ورُوي

---

(١) انظر إرشاد الساري (٧/ ٤٢٩).

(٢) أسماء سور القرآن ص (٥٨١).

(٣) أسماء سور القرآن ص (٢٢٤).

(٤) أخرجه الترمذي في الجامع حديث رقم (٢٨٩٣)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (١٣٤٢).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٣٠٦).

(٦) سور القرآن ص (٤١٢).

(٧) الجامع (٥/ ١٥).

(٨) أسماء سور القرآن ص (٢٢٤).

(٩) أسماء سور القرآن ص (٥٨١).

(١٠) الصحيح (٦/ ١٧٦) ت. محمد الناصر.

عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: (كان يقرأ في صلاة المغرب بنحو ما تقرؤون والعاديات ونحوها من السور).[1] وبه سمَّاها الفضل بن شاذان[2]. ولم تنسبه د. منيرة الدوسري[3] لصحيح البخاري وإنما نسبته للطبري، والقرطبي، والحاكم وغيرهم، وأما د. محمد الشايع[4] فنسبه له.

سورة القارعة: بوَّب لها البخاري بقوله: "سورة ﴿ٱلْقَارِعَةُ ①﴾"، ورُوي عن ابن عباس أنه قال: "نزلت سورة القارعة بمكة"[5] وبه سُمِّيت عند الفراء[6] والفضل بن شاذان[7]. ولم ينسبه لصحيح البخاري د.الشايع، ولا د. منيرة الدوسري.[8]

سورة التكاثر: بوَّب لها البخاري بأول كلمة في السورة فقال: "سورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾"، وهو اسمها عند الفراء[9]، وأبو عبيدة[10]. واخطأت د.منيرة

(١) أخرجه أبو داود في السنن حديث رقم (٨١٣).
(٢) سور القرآن ص (٤١٤).
(٣) أسماء سور القرآن ص (٥٨٦).
(٤) أسماء سور القرآن ص (٢٢٦).
(٥) انظر الدر المنثور (١٥/ ٦٠٥) وعزاه لابن مردويه.
(٦) معاني القرآن (٣/ ٢٨٦).
(٧) سور القرآن ص (٤١٦).
(٨) أسماء سور القرآن للشايع ص (٢٢٧)، وأسماء سور القرآن لمنيرة الدوسري ص (٥٩٠).
(٩) مخطوط عدد آي القرآن للفراء ص (١٥٢)، بواسطة محقق سور القرآن لابن شاذان تحقيق بشير الحميري ص (٤١٩) ح (١).
(١٠) مجاز القرآن (٢/ ٣٠٩).

الـدوسري[١] عنـدما عَـزَتْ للبخـاري أنـه سـمَّاها "سـورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾" بينما نسبت اسم "سورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾" للطبري.

سورة العصر: سمَّاها البخـاري "سـورة ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾" بإثبـات الـواو كـما في مطلـع الـسورة[٢]، ورُوي عـن ابـن عبـاس أنـه قـال: "نزلـت سـورة (والعصر) بمكة"[٣]. وبهذا سمَّاها أبو عبيدة[٤]، والفضل بـن شـاذان[٥]. ولم تنـسبه د. منـيرة الـدوسري[٦] لـصحيح البخـاري وإنـما نـسبته للطـبري، والزمخشري، والنسفي وغيرهم، وأما د. محمد الشايع[٧] فنسبه له.

سورة الهمزة: بـوَّب لهـا البخـاري بمطلعهـا فقـال: "سـورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾"، ورُوي عن ابن عباس قال: "أنزلت (ويل لكل همزة) بمكة".[٨]

سورة الفيـل: بـوَّب لهـا البخـاري بمطلعهـا فقـال: "سـورة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾"، وورد عند بعض الصحابة، فعن المعرور بن سـويد قـال: "خرجنـا مـع عمـر

(١) أسماء سور القرآن ص (٥٩٠).

(٢) الصحيح (٦/ ١٧٧) ت. محمد الناصر.

(٣) انظر الدر المنثور (١٥/ ٦٢١) وعزاه لابن مردويه.

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٣١٠).

(٥) سور القرآن ص (٤٢١).

(٦) أسماء سور القرآن ص (٥٩٣).

(٧) أسماء سور القرآن ص (٢٣٠).

(٨) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم (٢٢٨٣).

بـن الخطـاب ﷺ حجَّاجـاً فـصلى بنـا الفجـر فقـرأ (ألم تـر) و(لإيـلاف قريش)".[1]

سـورة قـريش: بـوَّب لهـا البخـاري بمطلعهـا فقـال: "سـورة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١﴾"، ورُوي عـن ابـن عبـاس قـال: "نزلـت سـورة (لإيـلاف قريش) بمكة".[2] وفي نسخة أبي ذر[3] سقط لفظ (قريش) فصار اسمها "سورة ﴿لِإِيلَٰفِ﴾"، وبهذا سمَّاها أبو عبيدة[4]، والفضل بن شاذان[5]. ولم يذكره د. محمد الشايع، ولا د. منيرة الدوسري.[6]

سورة الماعون: بوَّب لها البخاري لها فقال: "سورة ﴿أَرَءَيۡتَ﴾"، وبهذا سمَّاها أبو عبيدة[7]، والفضل بن شاذان في سور القرآن[8]. ولم تنسبه د. منيرة الدوسري[9] للبخاري، وإنما نسبته للطبري، والثعلبي ومن بعدهم. وأما د. محمد الشايع[10] فنسبه له.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم (٢٢٨٣).

(٢) انظر الدر المنثور (١٥/ ٦٧٠) وعزاه لابن مردويه.

(٣) انظر إرشاد الساري (٧/ ٤٣٤).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٣١٢).

(٥) سور القرآن ص (٤٢٦).

(٦) أسماء سور القرآن للشايع ص (٢٣٣)، وأسماء سور القرآن لمنيرة الدوسري ص (٦٠٣).

(٧) مجاز القرآن (٢/ ٣١٣).

(٨) ص (٤٢٨).

(٩) أسماء سور القرآن ص (٦٠٥).

(١٠) أسماء سور القرآن ص (٢٣٤).

سورة الكوثر: جاء تبويب البخاري لها بمطلعها بأول آية فيها فقال: "سورة ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾"، ورُوي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة (إنا أعطيناك الكوثر) بمكة".[١]

سورة الكافرون: بوَّب لها البخاري بمطلعها فقال: "سورة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾"، وصح هذا الاسم عن عن أبي هريرة ﷺ قال: "إن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد".[٢]

سورة النصر: بوَّب لها البخاري بمطلعها فقال: "سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾"، بإنقاص آخر كلمة من الآية الأولى، وبهذا سمَّاها أبو عبيدة[٣]. رغم أن البخاري أخرج في صحيحه[٤] من حديث عائشة t أنها قالت: " ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه (إذا جاء نصر الله والفتح) إلا يقول فيها: (سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي)". فلعله لم يعتبر ما ورد عن عائشة أنه اسم لها.

وأخطأت د. منيرة الدوسري[٥] عندما نسبت للبخاري أنه سمَّاها بإضافة كلمة (والفتح) والصواب عدم ذكره لها في تبويبه للسورة. وكان

(١) انظر الدر المنثور (١٥/ ٦٩٥) وعزاه لابن مردويه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٧٢٦).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٣١٥).

(٤) حديث رقم (٤٩٦٧).

(٥) أسماء سور القرآن ص (٦٢٠).

د.الشايع[١] أكثر دقة فنسب تسمية السورة للبخاري كما ذكرت سابقاً.

سورة المسد: جاء تبويب البخاري لها بمطلعها فقال: "سورة ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾"، وفي نسخة أبي ذر سقطت قوله: (وتب).[٢] وأخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " قال أبو لهب عليه لعنة الله للنبي ﷺ: تبا لك سائر اليوم، فنزلت: (تبت يدا أبي لهب وتب)" وفي رواية: " فنزلت: (تبت يدا أبي لهب)".[٣]

ولم ينسب د. محمد الشايع[٤] الثاني للبخاري وإنما نسب الأول فقط، بينما نسبت د. منيرة الدوسري[٥] الثاني للبخاري ولم تنسب له الأول.

سورة الإخلاص: جاء تبويب البخاري لها بمطلعها بأول آية فيها فقال: "سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾"، وفي نسخة أبي ذر "سورة الصمد".[٦] أما الاسم الأول فصح عن النبي ﷺ، فعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: (أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟) قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن).[٧] وأما الاسم الثاني

(١) أسماء سور القرآن ص (٢٤٢).
(٢) انظر إرشاد الساري (٧/ ٤٣٧).
(٣) حديث رقم (١٣٩٤) و(٤٩٧٣).
(٤) أسماء سور القرآن ص (٢٤٣).
(٥) أسماء سور القرآن ص (٦٢٦).
(٦) الصحيح (٦/ ١٨٠) ت. محمد الناصر، وانظر إرشاد الساري (٧/ ٤٨٣).
(٧) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٨١١).

(سورة الصمد) فلم ينسبه لأحد د. الشايع[١]، ونسبته د. منيرة الدوسري[٢] للطبرسي والرازي والألوسي ولم تنسبه لصحيح البخاري.

سورة الفلق: جاء تبويب البخاري لها بمطلعها بأول آية فيها فقال: "سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾"، وصح هذا الاسم عن النبي ﷺ، فعن عقبة بن عامر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (ألم تر آيات أُنْزِلت الليلة لم ير مثلهن قط، قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس).[٣]

ولم تنسبه د. منيرة الدوسري[٤] لأحد؛ بل نفت وقوفها على هذا الاسم عند أحد من المفسرين فقالت: "لم أقف على مُفسِّر سمَّاها بهذا الاسم". ولو سلَّمنا بذلك في شق المفسِّرين، فكان الأولى أن تنظره عند غيرهم كالمحدثين - كما فعلت في مواضع من كتابها - وتنسبه للبخاري في صحيحه، كما نسبت[٥] اسم سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ للبخاري!

سورة الناس: جاء تبويب البخاري لها بمطلعها بأول آية فيها فقال: "سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ "، وورد هذا الاسم عن الرسول ﷺ كما في الحديث السابق في سورة الفلق. وبه سمَّاها أبو عبيدة[٦].

(١) أسماء سور القرآن ص (٢٤٩).

(٢) أسماء سور القرآن ص (٦٣٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٨١٤).

(٤) أسماء سور القرآن ص (٦٣٨).

(٥) أسماء سور القرآن ص (٦٤٣).

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٣١٧).

الخاتمة

وفيها أبرز النتائج:

بعد تطواف في صحيح البخاري وتبويباته أَصِل - بفضل الله - لخاتمة البحث، وأرقم هنا أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي، وهي على النحو التالي:

أولاً: يُعَدُّ صحيح البخاري من المراجع المهمة في مسائل علوم القرآن نظراً لتقدم مؤلفه ومكانته العلمية.

ثانياً: اعتنى البخاري بتسمية سور القرآن كلها فلم يغادر سورة بلا تسمية.

ثالثاً: ندر أن يذكر البخاري عدة أسماء لسورة واحدة، ولم يقع ذلك إلا في سورة الفاتحة، كما لم يهتم بتعليل تسمية السورة عدا مرة واحدة في سورة الفاتحة.

رابعاً: تباين منهج البخاري في تسمية السور، وتنوعت أساليبه فيها.

خامساً: فات على مؤلفين معاصرين في سور القرآن عزو أسماء سور كثيرة لصحيح البخاري، مع عزوها لمتأخرين عنه أو نفي أن يكون أحد ذكر هذا الاسم مع وجوده في صحيح البخاري.

سادساً: أهمية الاطلاع على نسخ صحيح البخاري ولا سيما مع تقدم زمن رواته، وإغفال ذلك تسبب لدى مؤلفين معاصرين في نسبة أسماء سور لمتأخرين مع ذكرها في صحيح البخاري ونسخه.

وفي خاتمة البحث أسأل الله أن يلهمنا الرشد والصواب وأن يرزقنا من العلم أنفعه وأن يرزقنا التعلق بكتابه العزيز وعلومه على الوجه الذي يحبه ويرضيه، وما كان من توفيق في كتابة هذا البحث فمن الله وحده، وأستغفر الله من الزلل والخلل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



فهرس المصادر والمراجع

- إتحاف القاري بمعرفة جهود وأعمال العلماء على صحيح البخاري، لمحمد عصام عرار الحسني، ط. اليمامة للتوزيع – دمشق، الأولى ١٤٠٧هـ.
- أسماء سور القرآن الكريم، لمحمد بن عبد الرحمن الشايع، ط. دار كنوز إشبيليا – الرياض، الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م من إصدارات الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه تبيان.
- أسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة محمد الدوسري، ط.دار ابن الجوزي – الدمام، الأولى ١٤٢٦هـ.
- إعراب القرآن، لأحمد بن محمد النحاس، ت. د. زهير غازي زاهد، ط. عالم الكتب - بيروت، الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن عبدالله الزركشي، ت. د. يوسف المرعشلي وآخرون، ط. دار المعرفة - بيروت، الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م
- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، ط. مؤسسة التاريخ - بيروت، الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- تخريج أحاديث الكشاف (تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري) لعبد الله بن يوسف الزيلعي، ت. عبد الله السعد، ط. دار ابن خزيمة – الرياض، الأولى ١٤١٤هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي،

ت. سامي بن محمد السلامة، ط. دار طيبة - الرياض، الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، لزيد الدين عبد الرحيم العراقي، ت. عبد الرحمن محمد عثمان، ط. دار الفكر ١٤٠١هـ.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح لأب حفص عمر ابن الملقن، ت. الفريق العلمي بدار الفلاح، ط. وزارة الأوقاف بدولة قطر، الأولى ١٤٢٩هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، ت. د. عبد الله التركي، ط. مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت. مجموعة، ط. مؤسسة الرسالة ناشرون - بيروت، الأولى ١٤٢٨هـ.
- الجامع الكبير، لأبي عيسى بن سورة الترمذي، ت. بشار عواد معروف، ط. دار الغرب الإسلامي - بيروت، الثانية ١٩٩٨م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، ت. د.عبدالله التركي، ط. مركز هجر - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- رسالة شرح تراجم أبواب صحيح البخاري، لأحمد الدهلوي، ط. دار الحديث – بيروت، الرابعة ١٤٠٧هـ
- زاد المسير في علم التفسير، لعبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط. المكتب الإسلامي - بيروت، الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط. مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- سنن ابن ماجه، ت. بشَّار عوَّاد معروف، ط.دار الجيل-بيروت، الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت. صدقي محمد جميل، ط. دار الفكر ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- سور القرآن وآياته وحروفه ونزوله، لأبي العباس الفضل بن شاذان الرازي، ت. بشير الحميري، ط. دار ابن حزم – الرياض، الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م
- سيرة الإمام البخاري، لعبد السلام المباركفوري، ت. د. عبدالعليم البستوي، ط. دار عالم الفوائد – مكة، الأولى ١٤٢٢هـ
- شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين البيهقي، ت. عبد العلي حامد، ط. الدار السلفية – الهند.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت. محمد فؤاد عبدالباقي، ط. دار إحياء الكتب العربية، توزيع دار الكتب العلمية - بيروت، بدوت تاريخ.
- عدد سور القرآن، لعمر بن عبد الكافي، ت. خالد أبو الجود، ط. مكتبة الإمام البخاري – القاهرة، الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. درا السلام - الرياض، الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- الكشاف، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، ت. محمد عبدالسلام شاهين، ط. دار الكتب العلمية - بيروت الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. ومعه أربعة حواشي لابن المنير وابن حجر وغيرهم.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم الأنصاري الشهير بابن منظور، ط. الدار المصرية، وهي مصورة من طبعة بولاق.
- المتواري على تراجم أبواب البخاري، لناصر الدين أحمد ابن المنير، ت. صلاح الدين مقبول أحمد، ط. مكتبة العلا – الكويت، الأولى ١٤٠٧هـ.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ت. محمد فؤاد سزكين، ط. مكتبة الخانجي – القاهرة، بدون تاريخ.
- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، ت. محمد فؤاد عبدالباقي، ط. دار الفكر - بيروت، الثانية ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت. السيد عبدالعال، ط. وزارة الأوقاف بقطر، الثانية ١٤٢٨هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل، ت. شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت، الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد الطبراني، ت. حمدي السلفي، ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
- مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصطلاح، لابن الصلاح، ت. عائشة

عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ط. دار المعارف-القاهرة، بدون تاريخ.

- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى الفراء، ت. عبد الفتاح شلبي وآخرون، ط. الهيئة المصرية للكتاب، عام ٢٠٠٠م.
- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لأبي جعفر محمد بن أحمد النحاس، ط. المكتبة العلامية عام ١٣٥٧هـ.
- النكت والعيون، لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي، ت. السيد بن عبدالمقصود، ط. مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، بدون تاريخ.

ما سكت عنه الإمام ابن الجزري
من أصول النشر وطرقه

إعـــداد

د. سامي محمد سعيد عبدالشكور

د. سامي محمد سعيد عبدالشكور

- الأستاذ المشارك بقسم الدراسات القرآنية –كلية الأداب والعلوم الإنسانية –جامعة طيبة بالمدينة المنورة.
- حصل على درجة الماجستير من قسم القراءات –الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحته : القراءات الشاذة بين الرواية والتفسير وأثرهما في التفسير والأحكام .
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم القراءات –الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحته : مُبْرِز المعاني بشرح حِرز الأماني "دراسة وتحقيق" .

ملخص البحث

تتلخص فكرة هذا البحث في قيام مسائله على كتاب "النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري ، وعلى وجه الخصوص في أصول كتاب النشر ، وطرقه التي سكت عنها الإمام ابن الجزري ولم يضمنها كتابه النشر، فجمعت تلك الكتب واستقصيت تلك الطرق منها؛ لتكون من باب الوفاء لهذا العالم الجليل، ومن جهة أخرى للإسهام في تعقب كتب أصحاب التحريرات على طيبة النشر ، من زيادة أوجه ، أو منعها ، علماً بأن تلك الأصول أو الطرق هي موافقة لما ذكره (الإمام ابن الجزري) من الأصول والطرق المذكورة (في كتاب النشر) من حيث إيصال السند وصحته .

وبالله التوفيق ،،

Abstract

The rationale of this research work is summed up in relating its research questions to the well-known book *al-Nashr fī al-qirā▪āt al-▪ashr* (Writings in the Ten Qur'anic Readings) by Imam Ibn Al-Jazari, with emphasis on the origins of this book, and the methods about which Imam Ibn Al-Jazari was silent and did not include in his book. These volumes were collected and listed, and the methods were extracted and documented, which amounts to a tribute to this prolific scholar, and which contributes to tracking the books of those who wrote on the science of *tahrirat* (distinguishing the nuances of the types of readings), whether to add to it or prohibit it. These origins and methods are consistent with those that Imam Ibn Al-Jazari stated in the above mentioned book, with relation to the documentation of narration and authenticity of authority.

مقدمة البحث :

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، المنعم المتفضل على عباده، في كل وقت وحين، القائل جل في علاه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾[(١)] وأصلي وأسلم على من أرسله ربه رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، القائل : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[(٢)]، والقائل "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف"[(٣)]، ومن خلال النظر في كتب القراءات، وعلومها، وأصولها وطرقها وتحريراتها، ونصوص الإمام ابن الجزري في كتاب النشر الذي هو عمدة القارئين، لكل من أتى بعده إلى عصرنا هذا بلا منازع، فكان الاشتغال بهذا الكتاب، ونصوصه فخراً لكل باحث، وطالب علم، ولقد منَّ الله عليَّ، من خلال النظر، والتأمل لهذا الكتاب، ونصوص الإمام ابن الجزري فيه من الوقوف على قضية مهمة، وجديرة بالاهتمام عند الباحثين في علم القراءات على وجه الخصوص، وهذه القضية تعتبر من باب الوفاء ورد الجميل لهذا العالم، ولهذا الكتاب الجليل، ولا غرو أن عنوان البحث، قد أفصح عن هذه القضية، ألا وهي تتبع الكتب التي سكت عنها الإمام ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر، والتي من خلال هذه

---

(١) الزمر آية : ٩ .

(٢) صحيح البخاري، ٩/ ٧٤، (٤٧٣٩)

(٣) صحيح مسلم، صلاة المسافرين، ١٨٩٦

الوريقات سأستقصي جاهداً بعون الله، تتبع أصول النشر، وطرقه التي سكت عنها الإمام ابن الجزري في كتابه "النشر في القراءات العشر"، ولا شك أن أسئلة كثيرة، قد ترد على هذا البحث، من حيث الأدلة على أن هناك أصولاً تركها ابن الجزري، وكيفية معرفة ذلك، وكيف السبيل لمعرفة تلك الطرق في شيء سكت عنه صاحب الكتاب، ؟ فكل هذا سيكشفه البحث إن شاء الله، ولا ريب أن أهمية مثل هذا الموضوع لا تخفى على طالب العلم لكونها ستكشف عن كتب جديدة تضاف للكتب التي أوردها ابن الجزري في كتابه وهذا هو لب الموضوع والتي لا ينكرها أحد كما سوف تسهم في تعقب، ومتابعة الروايات، مع مناقشة أقوال المحررين، وأحكامهم، إلى غير ذلك من الأمور المهمة المتصلة بهذا البحث، والسبب الذي أوجب اختيار هذا الموضوع هو الحاجة الملحة لإثراء علم الدراية من علم القراءات إذ لا يخفى على الباحثين قلة الأبحاث في هذا الجانب، فعلم القراءات كما هو معلوم إما علم رواية أو دراية، فأما الرواية فلا مجال للبحث فيها لأنها طريقنا الموصلة لقراءة القرآن، وهي ثابتة صحيحة سطرها العلماء الأثبات في كتبهم إلى يومنا هذا، ورأيت بعد هذه المقدمة أن أردف بتمهيد أبين فيه مصطلحات البحث والحديث عن ابن الجزري وكتابه النشر في القراءات العشر، ثم مبحثين: المبحث الأول: أبين فيه منهج الإمام ابن الجزري في كتابه النشر عند إيراده الكتب التي اعتمد عليها في إثبات مروياته من خلال الطرق الأدائية التي نص عليها، والمبحث الثاني: أبين فيه الكتب التي سكت عنها الإمام ابن الجزري، ثم خاتمة وفهارس، كما أني وبعون الله

سأكشف من خلال منهج الإمام ابن الجزري، أن الأصول والطرق التي سكت عنها الإمام ابن الجزري، معتبرة عند أهل الفن، بالأدلة القاطعة، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

تمهيد:

التعريف بمصطلحات البحث :

أولاً : السكت :

ويدل معناه في اللغة على خلاف الكلام تقول: سكت يسكت سكوتاً، ورجل سكيت[1].

وهو ما يطابق العمل في هذا البحث من سكوت الإمام ابن الجزري عن بعض الكتب التي روى منها الروايات حين التقييد .

ثانياً : أصول النشر :

الأصول: جمع أصل ويأتي أحد معانيها في اللغة على أنها أساس الشيء[2] .

والنشر : هو فتح الشيء، وتشعبه، ومنه نشرت الكتاب خلاف طويته.[3]

وعلى المعنى اللغوي تكون اصول النشر : هي الأساس الذي رجع إليه إلمام ابن الجزري من أمهات كتب القراءات واعتمد عليه في إثبات ما وصل إليه من قراءات وتوثيق ما صح لديه من روايات من الطرق الآخذة عنها في كتابه النشر في القراءات العشر بالنص والأداء .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٨٩ بتصرف.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٠٩ بتصرف.

(٣) المصر السابق ٥/ ٤٣٠.

والمعروف عند المتقدمين لظف "الكتب" أي كتب النشر أو كتب الإمام الداني وأما لفظ أصول النشر فهو مما اصطلح عليه ويكثر دوره عند المشتغلين بعلم القراءات من المتأخرين، في إشارة منهم إلى تلك الكتب التي اعتمد عليها الإمام ابن الجزري في سوق رواياته وذكرها في مقدمة النشر .

وأما طرق النشر : فيقصد بالطريق عند القراء ما تشعب عن الراوي عن الإمام فيسمى طريقاً، فالإمام من أئمة القراءات العشرة يسمى "إماماً" ومن أخذ عن أحدهم يسمى راوياً، ومن أخذ عن الراوي يسمى طريقاً، وهكذا .. لذا قال ابن الجزري : "... من الأئمة العشرة قراء الأمصار ... واقتصرت عن كل إمامٍ براويين، وعن كل راوٍ بطريقين، وعن كل طريق بطريقين ..." [(١)]

وعليه فطرق النشر هي سلسلة الرجال عن ذلك الراوي إلى منتهاه من علماء القراءات المعتبرين المعدودين حتى خاتمتهم الإمام ابن الجزري .

ثالثاً : الإمام ابن الجزري وكتابه :

هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، مؤلف كتاب النشر في القراءات العشر، وكتاب غاية النهاية وتغريب النشر، وتحبير التيسير وغيرها من الكتب .

قرأ على الشيخ أبي بكر عبدالله بن الجندي، وعلى العلامة أبي عبدا لله محمد بن الصائغ، وعلى أبي محمد عبدالرحمن البغدادي، وغيرهم جلس

(١) النشر ١/ ٥٤.

للإقراء وولي مشيخة الإقراء الكتبرى بتربة أم الصالح، توفي ضحوة الجمعة لخمسٍ خلون من أول الربيعين سنة ثلاثة وثلاثين وثمانمائة للهجرة، ودفن بدار القرآن. [1]

أما كتاب النشر في القراءات العشر :

فهو الكتاب الذي ختم الله به كتب القراءات السابقة إذ قيض الله لهذا العلم الإمام ابن الجزري بعد أن قصرت الهمم، واندثرت كثير من معالمه ونسي غالب الروايات الصحيحة، حتى كاد الناس لم يثبتوا قرآناً إلا مافي الشاطبية والتيسير، ولم يعلموا قراءات سوى ما فيهما، فنهض بالعبء الثقيل وألف كتاب النشر في القراءات العشر، فحوى كتاب التيسير والشاطبية، وجمع فيه ثمانين طريقاً، وبدأ فيه ببيان بفضل حملة القرآن وضمنه أسماء القراء في الأمصار وأركان القراات الصحيحة ومعنى الأحرف السبعة، ثم ذكر الكتب التي اعتمد عليها في إثبات الروايات للقراء العشرة. ثم رتب كتابه أصولاً وفرشاً وذكر أحكام الأئمة العشرة فيه فلم يدع فيه عن الثقات حرفاً إلا ذكره ولا خلف إلا أثبته، ولا إشكالاً إلا بينه وأوضحه، ولا بعيداً إلا قربه، ولا مفرقاً إلا جمعه ورتبه، كما صرح بذلك في كتابه[2].

فجزاه الله عن أمة الإسلام خير الجزاء .

---

(١) غاية النهاية ٢/ ٢٤٩ باختصار.

(٢) الخرساني، ت ٣٤٤هـ، الغاية ١/ ٨٠.

وأما عن منهج الإمام ابن الجزري في كتابه فإني أحيل القارئ الكريم إلى الدراسة التي قام بها الباحث الأستاذ الدكتور / السالم محمد محمود الشنقيطي حفظه الله على كتاب النشر والتي لا مزيد على حسنها وجمالها، وقد كفى فيها ووفى .

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

منهجي في البحث :

- استقصاء كتب وطرق الإمام ابن الجزري التي سكت عنها وذلك من خلال الوقوف على الأسانيد ومطابقتها على كتاب النشر.
- توثيق طرق النشر المسكوت عنها من حيث اتصال السند .
- أقوم بوضع اسم الكتب المسكوت عنها ثم أعطف باسم مؤلفها ثم أبدأ بذكر اسم الإمام من أئمة القراءات ثم الراوي عنه، ثم الطريق، وأقابل ذلك على كتاب النشر ليتضح تطابق الإسناد.
- عدم إصدار أي حكم إلا بدليل قاطع يثبت صحة ذلك الحكم .
- توثيق النصوص والآثار الواردة في البحث.
- الترجمة للأعلام في أول موضع .
- الاعتناء بتنسيق البحث وفق الضوابط والشروط المنهجية الأكاديمية في الجامعات المعتبرة .
- عمل خاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

منهج الإمام ابن الجزري في إيراده أصول النشر وطرقه:

إن المتتبع لكتاب النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري يستطيع أن يتلمس منهج الإمام ابن الجزري من خلال أربعة مواضع في كتابه، ذكر فيها الكتب، والطرق التي اعتمد عليها في روايته للقراءات العشر بالنص، والأداء .

- **الموضع الأول:**

وهو الذي ذكر فيه سبب إيراده للقراءات العشر، والتأليف فيها، وإثبات ما وصل إليه منها لما رآه من قصر الهمم، واندثار معالم هذا العلم الشريف، وترك أكثر القراءات المشهورة، لظن الناس أن القراءات هي ما أثبتها كتاب الشاطبية(١)، وكتاب التيسير فقط(٢)، ومحل الشاهد هنا قوله : "واقتصرت عن كل إمام براويين، وعن كل راوٍ بطريقين، وعن كل طريق بطريقتين: مغربية، ومشرقية، مصرية، وعراقية، مع ما يتصل إليهم من الطرق، ويتشعب عنهم من الفرق"(٣). أي أن الإمام ابن الجزري يكون قد اقتصر على رواية قالون(٤)، وورش(٥) عن

(١) منظومة في القراءات السبع للإمام الشاطبي، .

(٢) في القراءات السبع للإمام أبي عمرو الداني.

(٣) النشر ١/ ٥٤.

(٤) عيسى بن مينا، ت ٢٢٠هـ، الغاية ١/ ٦١٥.

(٥) عثمان بن سعيد المصري، ت ١٩٧هـ، الغاية ١/ ٥٠٢.

الإمام نافع[١]، وعلى طريقي أبي نشيط[٢]، والحلواني[٣] عن قالون، واقتصر لأبي نشيط على طريقين: ابن بويان[٤]، والقزاز[٥] عن أبي بكر بن الأشعث[٦] عنه، فعنه، وأما ورش: فمن طريقي الأزرق، والأصبهاني[٧]، فالأزرق من طريقي إسماعيل النحاس[٨]، وابن سيف[٩]، والأصبهاني: من طريقي أبي جعفر [١٠] والمطوعي[١١] عنه، عن أصحابه فعنه، وهكذا عن كل إمام من الأئمة العشرة، ورواتهم إلى أن قال: "وجمعتها في كتاب يرجع إليه، وسفر يعتمد عليه، لم أدع عن هؤلاء الثقات الأثبات حرفاً إلا ذكرته، ولا خلفاً إلا أثبته ولا إشكالاً إلا بينته، وأوضحته، ولا بعيداً، إلا قربته، ولا مفرقاً إلا جمعته، ورتبته، منبهاً على ما صح عنهم، وشذ، وما انفرد به منفرد وفذ، ملتزماً للتحرير، والتضعيف، والترجيح، معتبراً للمتابعات، والشواهد، رافعاً إيهام التركيب بالعزو المحقق.... وأنت ترى كتابنا هذا

(١) نافع بن عبد الرحمن المدني، ت ١٦٩هـ، الغاية ٢/ ٣٣٠.

(٢) محمد بن هارون الربعي، ت ٢٥٨هـ، الغاية ٢/ ٢٧٢.

(٣) أحمد بن يزيد الصفار، ت بعد ٢٥٠هـ، الغاية ١/ ٢٢٠.

(٤) الخرساني، ت ٣٤٤هـ، الغاية ١/ ٨٠.

(٥) علي بن سعيد بن الحسن، مات قبل ٣٤٠هـ، الغاية ١/ ٥٤٣.

(٦) أحمد بن محمد البغدادي، مات قبل ٣٠٠هـ الغاية ١/ ١٣٣.

(٧) محمد بن عبدالرحيم الأصبهاني، ت ٢٩٦هـ، الغاية ٢/ ١٦٩.

(٨) إسماعيل بن عبد الله التجيبي، ت ٢٨٥هـ، الغاية ١/ ١٦٥.

(٩) عبدالله بن مالك التجيبي، ت ٣٠٧هـ، الغاية ١/ ٤٤٥.

(١٠) جعفر بن محمد الهيثم، ت ٢٤٠هـ، الغاية ١/ ١٩٧.

(١١) الحسن بن سعيد بن شاذان، ت ٣٧١هـ، الغاية ١/ ٢٠١٣.

حوى ثمانين طريقاً تحقيقاً"[1].

فبهذا يكون الإمام ابن الجزري قد أوضح الأسس، والقواعد التي بنى عليها كتابه هذا، وما صحب ذلك الجهد من جمع، واستقصاء لما صح عنهم، وتبيين، وإيضاح، وترتيبٍ، والتزامٍ بالتحرير، والتصحيح، والتضعيف، والترجيح، لتلك الروايات.

فبهذا الموضع يكون الإمام ابن الجزري، قد أغلق باب الروايات، والطرق بعده فلا يدعي بعده بشيء منها أحد، وأحيا الله به هذه الروايات من طرقها الصحيحة التي سطرها في كتابه، وزادها على ما في الشاطبية والتيسير، بعد أن كانت أربعة عشر طريقاً عن الأئمة السبع، صارت ثمانين طريقاً فجزى الله إمام القراء ابن الجزري عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء .

- **الموضع الثاني : ذكر الكتب التي روى منها القراءات العشر بالنص والأداء :**

وهي : التيسير، ومفردة يعقوب، وجامع البيان[2]، والشاطبية[3]، والعنوان[4]، والهادي[5]، والكافي[6]، والهداية[7]، والتبصرة[8]،

(١) النشر ١/ ٥٤-٥٧، باختصار.

(٢) للإمام أبي عمرو الداني.

(٣) للإمام الشاطبي .

(٤) للإمام إسماعيل الأنصاري .

(٥) للإمام أبي عبد الله القيرواني .

(٦) للإمام أبي عبد الله ابن شريح .

(٧) للإمام أبي العباس المهدوي .

(٨) للإمام أبي محمد مكي .

والقاصـد[١]، والروضـة[٢]، والمجتبى[٣]، وتلخيص العبـارات[٤]، والتـذكرة[٥]، والروضــة[٦]، والجـامع[٧]، والتجريـد، ومفـردة يعقـوب[٨]، والتلخـيص[٩]، والروضــة[١٠]، والإعــلان[١١]، والإرشــاد[١٢]، والــوجيز[١٣]، والــسبعة[١٤]، والمـستنير[١٥]، والمـبهج[١٦]، والإيجـاز، وإرادة الطالـب، وتبـصرة المبتـدئ[١٧]،

(١) للإمام أبي القاسم القرطبي .

(٢) للإمام أبي عمر الطلمنكي .

(٣) للإمام أبي القاسم الطرسوسي .

(٤) للإمام ابن بليمه. .

(٥) للإمام أبي الحسن طاهر ابن غلبون.

(٦) للإمام أبي علي الحسن المالكي .

(٧) للإمام أبي نصر الفارسي .

(٨) كلاهما للإمام ابن الفحام .

(٩) للإمام أبي معشر الطبري .

(١٠) للإمام أبي إسماعيل المعدل.

(١١) للإمام أبي القاسم الصفرواي .

(١٢) للإمام أبي الطيب غلبون .

(١٣) للإمام أبي علي الأهوازي .

(١٤) للإمام أبي بكر بن مجاهد .

(١٥) للإمام أبي طاهر بن سوار .

(١٦) للإمام أبي محمد المعروف بسبط الخياط.

(١٧) لسبط الخياط.

والمهـــذب[1]، والجـــامع[2]، والتـــذكار[3]، والمفيـــد[4]، والكفايـــة[5]، والموضـــح[6]، والمفتـــاح[7]، والإرشـــاد[8]، والكفايـــة الكـــبرى[9]، وغايـــة الاختـصار[10]، والإقنـاع[11]، والغايـة[12]، والمـصباح[13]، والكامـل[14]، والمنتهـــى[15]، والإشـــارة[16]، والمفيـــد[17]، والكنـــز[18]، والكفايـــة[19]،

(1) للإمام أبي منصور الخياط.
(2) للإمام ابن فارس الخياط.
(3) للإمام أبي فتح ابن شيطا .
(4) للإمام أبي منصور الخياط.
(5) للإمام سبط الخياط .
(6) لابن خيرون.
(7) لابن خيرون.
(8) للإمام القلانسي.
(9) للإمام القلانسي.
(10) للإمام أبي العلاء العطار
(11) للإمام أبي جعفر الباذش.
(12) للإمام أبي بكر بن مهران.
(13) للإمام أبي الكرم الشهرزوري.
(14) للإمام أبي القاسم الهذلي.
(15) للإمام أبي الفضل الخزاعي.
(16) للإمام أبي نصر العراقي.
(17) للإمام أبي عبد الله الحضرمي.
(18) للإمام أبي محمد بن الوجيه.
(19) للإمام ابن الوجيه.

والـشفعة[١]، وجمـع الأصـول[٢]، وروضـة التقريـر[٣]، وعقـد اللآلـئ[٤]، والشرعة[٥]، والقـصيدة الحـصرية[٦]، والتكملـة المفيـدة لحـافظ القـصيدة[٧]، والبستان[٨]، وجمال القراء وكمال الإقراء[٩]، ومفردة يعقوب[١٠].

هـذا مـا ذكـره الإمـام ابـن الجـزري في هـذا الموضـع، إلا أن المتأمـل في نـصوص ابـن الجـزري في هـذا الموضـع، يـستطيع أن يجـزم أن هـذه الكتـب المذكورة مما يسمى "أصول النشر" إنما ذكرها الإمام على سبيل الإجمال، فـلا نستطيع القول بـأن هـذه الكتـب كلهـا هـي أصـول النـشر، وهـو مـا تُـصدقه الطرق، والروايات لمن وقف عليها، والحق أن هذه الكتب منهـا مـا هـو مـن أصول النشر، بطرق أوصلها ابن الجزري إلى هذه الكتب وهـي : إرشـاد أبي العـز، وكفايتـه، وغايـة الاختـصار، وجـامع البيـان، وكفايـة ابـن مهـران، والعنوان، وإرشاد ابـن غلبـون، والتـذكار، والمفتـاح، والموضـح، والـوجيز،

(١) للإمام أبي عبدالله الموصلي.
(٢) للإمام أبي الحسن الديواني.
(٣) للديواني.
(٤) للإمام أبي حيان الأندلسي.
(٥) للإمام شرف الدين البارزي
(٦) للإمام أبي الحسن الحصري.
(٧) للإمام أبي الحسن القيجاطي.
(٨) للإمام أبي بكر بن الجندي.
(٩) للإمام أبي الحسن السخاوي.
(١٠) للإمام أبي محمد الصعيدي.

وجامع الفارسي، ومفردة الفحام، والمستنير، والكامل، والشاطبية، والكافي، وتلخيص أبي معشر، والمصباح، والتذكرة، والهادي، والهداية، وتلخيص العبارات، والتبصرة، وجامع الخياط، والإعلان، والتجريد، وروضة المالكي، وروضة المعدل." وعليه فما أسنده الإمام الجزري من الكتب الستة والثلاثين في نشره بطرقها المشهورة الصحيحة في مبحث الطرق الكبير، قد جاءت بطرق تقل في بعضها، وتكثر في أخرى للقراء العشرة، فكان كتاب الكامل من أكثر أصول النشر طرقاً، إذ بلغت تسعاً وعشرين ومائة طريق، ثم كتاب المستنير بأربعة عشر ومائة طريق، ثم المصباح باثنين وتسعين طريقاً.

وفي المقابل نجد أن أقل أصول النشر طرقاً هو : روضة الطلمنكي بطريق واحد، ثم إرشاد ابن غلبون بطريقين فقط، ثم الوجيز بثلاثة طرق، ثم الهادي، والقاصد بستة طرق، ثم مفردة الفحام بسبعة طرق، ثم التبصرة وسبعة ابن مجاهد بثمانية طرق، وكانت بقية الأصول بين القسمين الأولين.

وأما القسم الثاني من الكتب التي ذكرها ابن الجزري، ما لا يصدق عليه اعتبار أصول النشر؛ إنما ذكرها بدون أن يسند منها طريقاً واحداً، وهي مفردة يعقوب للبصري ومفردة الداني، والإيجاز، وإرادة الطالب، وتبصرة المبتدئ، والمهذب، والمفيد، والكنز، والشفعة، وجمع الأصول، وروضة التقرير، وعقد اللآلئ، والشرعة، والقصيدة الحصرية، والتكملة، والبستان، وجمال القراء، والإقناع، والإشارة.

فهذه الكتب ليست من أصول النشر، ولا ينبغي لطلبة العلم أن

يذكروها في أصول النشر، لعدم ذكرها في مبحث الطرق الكبير من كتاب النشر فبقي فيها النص فقط. على ظاهر النشر، إلا ما يثبت منها حين الرجوع للأسانيد والطرق كما سيتبين من خلال هذا البحث.

- **الموضع الثالث:** ذكر الأسانيد التي أدت القراءة لأصحاب الكتب التي ذكرها ابن الجزري، من طرقها.

وفي هذا الموضع أوصل الإمام ابن الجزري كتب النشر التي يصدق عليها اسم أصول النشر الستة والثلاثين الآنفة الذكر بطرقها المؤدية لأصحاب تلك الكتب بطريق الأداء، وهذا الموضع هو الذي يجب أن نأخذ منه أصول النشر، وأن نشير إليها ونعتمدها.

ومما يجب التنبيه إليه في هذا الموطن، هو قول الإمام ابن الجزري: "فهذا ما حضرنِي من الكتب التي رويت منها هذه القراءات من الروايات والطرق، بالنص والأداء"[١] .

فهذه العبارة، لم يكتبها الإمام ابن الجزري عبثاً، فهي دلالة صريحة لا تقبل التأويل بأن الإمام ابن الجزري قد ترك من أصول النشر الكثير مما هو على شرطه، فعبارة " فهذا ما حضرني" هي سبب خروج هذا البحث، وأن الكتب، والطرق التي لم تحضر على ذهن الإمام ابن الجزري أثناء تقييدها هي حق مشروع، ومعتبر في أصول النشر؛ لأن السكوت عنها لا يعني بالضرورة فساداً تطرق لكتاب، أو طريق منها، بل كل ما في الأمر أن

(١) النشر ١/ ٩٨.

أسماءها غابت حال تقييد أخواتها.

- **الموضع الرابع: ما ذكره الإمام ابن الجزري من الأصول والطرق من باب الاستعاذة وحتى نهاية الكتاب:**

إن المتأمل في نصوص ابن الجزري، في هذا الموضع، فيما ذكره من تعليقات، وشواهد، ومتابعات من باب الاستعاذة، وحتى نهاية كتاب النشر، ليتبين له أن الإمام ابن الجزري، لم يقتصر على ذكر أصول النشر، والطرق الآخذة عنها في المواضع السابقة، كما ظن بعض الباحثين، ومن خلال سبر كتاب النشر في هذا الموضع، ومن خلال تتبع طرق النشر من أصوله المشار إليها تبين للباحث أن منهج ابن الجزري في هذا الموضع قد احتفى بكثير من المسائل الهامة، فيما يخص أصول النشر، وطرقها، على النحو التالي:

المسألة الأولى : أن الإمام ابن الجزري أضاف أصولاً وطرقاً ليست مذكورة في مبحث الطرق الكبير هناك، وأضافها هنا.

ومثال ذلك قول ابن الجزري في باب ذكر اختلافهم في سورة أم القرآن : "واختلفوا في صلة ميم الجمع بواو، وإسكانها، إذا وقعت قبل محرك نحو: ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾[(1)]، و ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[(2)].. فضم الميم من جميع ذلك، ووصلها بواو في اللفظ ...

(1) الفاتحة آية : ٧.

(2) البقرة آية : ٣.

واختلف عن قالون، فقطع له بالإسكان...، وهو الذي في العنوان"[١]

فالشاهد هنا قول ابن الجزري " وهو الذي في العنوان"، ونحن نعلم أن ابن الجزري لم يسند كتاب العنوان من طريق قالون، بل أسنده عن الأزرق من طريق ابن سيف[٢] فقط عن الإمام نافع بتمامه فقال في مبحث الطرق الكبير :" أما قراءة نافع من طريق قالون و ... من سبع طرق : الأولى : .. فمن الشاطبية، والتيسير ... والثانية: من طريقي.. الهداية والكافي ... الثالثة : .. من المستنير .. الرابعة: من كتاب الغاية، ومن كتاب الكامل... الخامسة.. من المستنير من طريقين: ... السادسة : من طريقين: .. من الكامل ... والتلخيص .. المبهج ... السابعة : .. من التجريد ...، كتاب الروضة، والكافي ... من كتاب التلخيص ... المستنير .. كتاب الكفاية الكبرى ... من المصباح... غاية الاختصار، ومن كتاب الكفاية في القراءات الست". [٣]

قلت: فعلى هذا يكون كتاب العنوان أحد طرق قالون المسندة في النشر، وتضاف إلى الكتب السابقة، بنص ابن الجزري القائل : "وهو الذي في العنوان" .

قلت: وهو ما فات على الشيخ الأزميري مما جعله يقول في تحريره على النشر عن كتاب العنوان : "وفيه رواية قالون، وليست من طريق الطيبة"[٤].

---

(١) النشر ١/ ٢٧٣.

(٢) النشر ١/ ٩٩.

(٣) النشر ١/ ٩٩.

(٤) ص ٥٥.

قلت: لأن ابن الجزري لم يذكر العنوان في مبحث الطرق الآنف الذكر.

وقال في مثال آخر عن صلة ميم الجمع أيضاً لقالون: "وبالصلة قطع صاحب الهداية للحلواني"[1] .

وأنت تعلم أن ابن الجزري لم يسند كتاب الهداية لقالون، إلا من طريق أبي نشيط.[2]

والشاهد : أن ابن الجزري أسند كتاب الهداية لقالون من طريق الحلواني، وسكت الشيخ الأزميري في تحريره على النشر عن كتاب الهداية، ولم يذكره البتة[3].

وقال في موضع آخر عن إدغام: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾[4] للبزي[5] : "وبالإدغام ... وقطع به للبزي وجهاً واحداً في الهادي[6]". فنجد الإمام ابن الجزري هنا يسند كتاب الهادي للبزي بينما لا نجده مسنداً في مبحث الطرق الكبير[7]، وجعل الشيخ الأزميري، طريق

---

(١) النشر ١/ ٢٧٣.
(٢) النشر ١/ ٩٩.
(٣) ص ٥٥
(٤) المائدة آية :٤٠.
(٥) النشر ٢/ ١٠
(٦) النشر ٢/ ١٠.
(٧) النشر ١/ ٩٩.

الهادي خارجاً عن طرق النشر[١]، اعتماداً على مبحث الطرق في النشر.

وفي مثال آخر يقول الإمام ابن الجزري : "أما الأزرق فأبدلها عنه ألفاً خالصة ... وابن الباذش"[٢] . فالقارئ الكريم يعلم أن كتاب الإقناع لابن الباذش، ذكره ابن الجزري كونه أحد الكتب التي اعتمد عليها في مروياته، كما سبق ذكره في أول المقدمة، إلا أننا لم نجده أسند هذا الكتاب في مبحث الطرق الكبير، ولا لطريق واحد عن الأئمة العشرة مطلقاً، بينما نجد هنا أن الإمام ابن الجزري، أسند هذا الكتاب من طريق الأزرق عن الإمام نافع، كما جاء في النص السابق، وعلى هذا يكون كتاب الإقناع أحد أصول النشر المسندة أداءً، وعليه فليراجع العادُّون للطرق عن الإمام نافع عدّهم، ويضيفوا هذه الطريق، وهذا ما كشفته بالرجوع لكتاب الإقناع، من أن الطريق كذلك كما ذكر الإمام ابن الجزري، وسيأتي بيانه قريباً في ما سكت عنه ابن الجزري، وسكت الشيخ الأزميري عن هذا الكتاب[٣] اعتماداً على عدم ذكر الإمام ابن الجزري له في مبحث الطرق الكبير في نشره.

وكذا نجده يذكر كتاب المبسوط[٤]، هنا مسنداً من طريق الأعشى[٥] عن أبي بكر[٦]، وهو ما لا يوجد لأحد في طريق من الطرق عن الأئمة العشرة في

---

(١) ص ٨٧.

(٢) النشر ١/ ٣٦٣.

(٣) ص ٥٣.

(٤) النشر ٢/ ٣٢٤.

(٥) يعقوب بن خليفة الأعشى، مات حدود ٢٠٠هـ، الغاية ٢/ ٣٩٠.

(٦) شعبة بن عياش الكوفي، مات ١٩٣هـ. الغاية ١/ ٣٢٥.

مبحث الطرق الكبير، وقد كشفت هذا الطريق، كما أراد ابن الجزري وسيأتي إيضاحه قريباً ضمن الكتب المسكوت عنها.

الحالة الثانية:

أن يضيف الإمام ابن الجزري أصولاً للنشر ليست موجودة ضمن الكتب المشار إليها في مقدمة النشر مما رواه عن النشر، ولا في مبحث الطرق الكبير.

كقول ابن الجزري : " وجميع رواة يعقوب[(١)] إدغام كل ما أدغمه أبو عمرو[(٢)] من حروف المعجم، أي من المثلين، والمتقاربين، وذكره شيخ شيوخنا الأستاذ أبو حيان في كتابه " المطلوب في قراءة يعقوب، وقرأنا به على أصحابه، وربما أخذنا عنه به."[(٣)] .

وقال ابن الجزري، عن حكم الهمزتين المجتمعتين من كلمة للأزرق : "وكلها عنه بين بين .. وأبو علي الأهوازي[(٤)]، وغيرهم[(٥)]".

فالباحثون يعلمون أن ابن الجزري، لم يسند رواية واحدة لأي كتاب من كتب الأهوازي عن الإمام نافع بتمامه، في مبحث الطرق الكبير، وإنما أشار لكتاب الوجيز فقط في مقدمة النشر مع الكتب التي روى عنها القراءات دون إسناده لشيءٍ من الطرق في المبحث الكبير، وهو ما جنح إليه

---

(١) يعقوب بن إسحق الحضري، ت ٢٠٥، الغاية ١/ ١٥٧.

(٢) زبان بن العلاء المازني، ت ١٥٤هـ، الغاية ١/ ٢٨٨.

(٣) النشر ١/ ٣٠٣.

(٤) الحسن بن علي الأهوازي المقرئ، ت ٤٦٤هـ، الغاية ١/ ٣٤٣.

(٥) النشر ٢/ ٣٦٣.

الشيخ الأزميري في تحريراته على النشر بقوله : "وفي الوجيز قراءة نافع، ولكن ليست من طريق الطيبة"[١].

ولكن عند مقابلة نص ابن الجزري الذي قال فيه " وأبو علي الأهوازي" السابق نجده أسند كتاباً للأهوازي من طريق الأزرق عن الإمام نافع، ولم يفصح عنه وعند البحث، والطلب، وبحمد الله كشفت عن هذا الكتاب، وهذه الطريق المسندة للأصول، كما أراد ابن الجزري، وهو كتاب الموجز للأهوازي، وسيأتي كشف ذلك في بابه إن شاء الله، وهو ما سكت عنه الشيخ الأزميري في تحريره على النشر، فلم يذكر شيئاً عن قول ابن الجزري هذا[٢].

ومن الكتب أيضاً كتاب " الاستبصار في القراءات"[٣] لابن القصاع[٤]، وهو أحد طرق التجريد[٥]. فهذا الكتاب غير مذكور لا في مقدمة النشر للكتب التي روى عنها القراءات ولا في مبحث الطرق الكبير بعده، قال ابن الجزري : "قال الأستاذ المحقق أبو عبدالله بن القصاع في كتابه "الاستبصار في القراءات العشر" : "واختلف في ... "[٦] وقال عنه في

---

(١) ص ٥٣.

(٢) ص ٥٣.

(٣) النشر ١/ ٩٠.

(٤) محمد بن إسرائيل السلمي، ت ٦٧١هـ، الغاية ٢/ ١٠٠.

(٥) ابن الفحام، النشر ١/ ٩٠.

(٦) النشر ١/ ١٦٩.

موضع آخر : " ... وأما أبو عمرو، فقطع له بالقصر من روايتيه ... نص على ذلك ... القصاع، وهو الصحيح الذي لا نعلم نصاً بخلافه، وهو الذي نقرأ به، ونأخذ".[1]

وقال عنه، وعن اتباعه له: " ... وهو اختيار الأستاذ المحقق أبي عبد الله محمد بن القصاع الدمشقي، وقال هذا الذي ينبغي أن يؤخذ به، ولا يكاد يتحقق غيره، قلت: " وهو الذي أميل إليه، وآخذ به غالباً، وأعول عليه..."[2].

وقال : " وروى عنه الهاشمي من طريق ... إشباع كسرة الهاء، وهو الذي نص عليه له الأستاذ أبو عبد الله بن القصاع"[3] .

وقال : "وقدر المد في ذلك فيما قرأنا به وسط لا يبلغ الإشباع، وكذا نص عليه الأستاذ أبو عبد الله ابن القصاع"[4] .

ومن ذلك أيضاً كتاب المدات لابن مهران[5]، قال ابن الجزري : " وقد ورد عن أصحاب القصر في المنفصل ... نص على ذلك ... وابن مهران ... وقرأت به من طريقهم، وأختاره ... قال ابن مهران في كتاب المدات ...."[6] .

---

(١) النشر ١/ ٣٢١.

(٢) النشر ١/ ٣٣٣

(٣) النشر ١/ ٣٠٧.

(٤) النشر ١/ ٣٤٥.

(٥) أحمد بن الحسين الأصبهاني، ت ٣٨١هـ، الغاية ١/ ٢٧٩.

(٦) النشر ١/ ٣٤٤.

المبحث الثاني

ما سكت عنه الإمام ابن الجزري من أصول النشر وطرقه:

اتضح لنا مما سبق، ومن خلال عرض موجز لمنهج الإمام ابن الجزري في كيفية إيراده للروايات، عن الأئمة العشرة، من خلال الكتب التي قدمها، وطرقها التي نص عليها، في النشر بالنص والأداء أن ابن الجزري عندما ذكر الكتب، والطرق التي روى من خلالها القراءات، قد ترك بعضها، فلم يسندها في مبحث الطرق، وأسند بعض الكتب في مبحث الطرق، وهو لم يذكره في الكتب التي روى عنها، مما يدل على أن ابن الجزري، وكما قال في مقدمة النشر " هذا ما حضرني من الكتب..."[(١)] قد فات عليه من أصول النشر، وطرقه الشيء الكثير، وهو مما لا شك فيه داخل في طرق النشر، بدليل ما قدمنا من الأمثلة، وهنا نريد أن نذكر تلك الأصول والطرق التي سكت عنها الإمام ابن الجزري، وأبين أن هذا السكوت من ابن الجزري لا يعني على الإطلاق أن ثمة عيباً، أو قدحاً تطرق للمسكوت عنه فهذا لا يحتمله نصه القائل فيه: " فهذا ما حضرني" ولو شاء لقال : وما وراء ذلك من الكتب غير مأخوذ به، أو عبارة نحوها، وعلى كل حال، فإن عرض الطرق هو الفصل، والذي سيكشف لنا، وبعون الله أن هذه الكتب والطرق، محمودة غير مدفوعة، وأنها داخلة لا

(١) النشر ١/ ٩٨.

محالة في طرق النشر، وإليك الكتب، وطرقها المسكوت عنها، وسأفصل في بداية الأمر حتى يتبين للطالب منشأ الطريق، ثم أختصر حتى لا يخرج الكتاب عن المراد:

الأول: كتاب الموجز للإمام أبي علي الأهوازي:

الإمام مكي رواية البزي عنه طريق أبي ربيعة عنه، من طريق النقاش[1]،

فهذا الكتاب وكما تقدم لم يذكره الإمام ابن الجزري في النشر البتة، ولم يسند إليه في رواياته للقراءات العشر عن الأئمة الثقات شيئاً، وتبين للباحث بعد الوقوف على هذا الكتاب أنه أحد أصول النشر، لإسناد ابن الجزري له دون ذكر اسم الكتاب كما سيتبين.

قال الأهوازي في الموجز : " أما رواية البزي، قال أبو علي : فإني قرأت بها القرآن من أوله إلى خاتمته على القاضي أبي الحسن أحمد بن عبدون الشافعي[2]، وأخبرني أنه قرأ على أبي بكر بن الحسن بن محمد بن زياد النقاش[3]، وأخبره أنه قرأ على أبي ربيعة بن إسحاق ...، وأخبره أنه قرأ على أحمد ... بن أبي بزة"[4].

قلت: فهذه الطريق عينها في النشر، وإن سكت عنها ابن الجزري،

(١) الموجز، ص٥٣.

(٢) أحمد بن محمد، ت ٣٢٥هـ، الغاية ١/ ١٢٣.

(٣) محمد بن الحسن الموصلي، ت ٣٥١هـ، الغاية ٢/ ١١٩.

(٤) الموجز، ص ٣٥.

قال في النشر : " وأما قراءة ابن كثير من روايتي البزي ...، فرواية البزي عن أصحابه عنه من طريق أبي ربيعة عن البزي، طريق النقاش عن أبي ربيعة"(١). قلت: ولم يذكره الشيخ الأزميري في تحريراته على النشر(٢)، لأن ابن الجزري لم يذكره البتة في كتابه.

الإمام نافع من رواية ورش طريق الأزرق عنه من طريق ابن سيف:

قال الأهوازي : " أما ورش قال أبو علي : فإني قرأت بها القرآن ...على أبي بكر عبد الله بن القاسم بن إبراهيم الخرقي(٣)، وأخبرني أنه قرأ على ... بن سيف التجيبي... على أبي يعقوب ... الأزرق ... على نافع ...."(٤).

قلت : وقد أسند الإمام ابن الجزري هذه الطريق في كتابه لأبي علي الأهوازي دون تصريح باسم كتابه، وبعد الرجوع إليها تبين أنها من كتاب الموجز فقط، فقال ابن الجزري :" واختلف عن الأزرق ... وسهلها عنه بين بين صاحب ... وأبو علي الأهوازي"(٥) فهذه الطريق عينها في النشر قال فيه : " أما قراءة نافع من روايتي ... وورش عنه(٦) ... طريق الأزرق ....

(١) النشر ١/ ٣٦٣.

(٢) ١/ ١٥.

(٣) القراء الكبار ١/ ٣٣٨.

(٤) ص ٣٦.

(٥) النشر ١/ ٩٩، والموجز ٣٦.

(٦) النشر ١/ ٩٩.

طريق ابن سيف عن الأزرق"[1]. قلت: ...ثم سكت صاحب النشر عن إيراد كتاب الموجز ضمن الكتب التي ساقها، وأشار كما تقدم للطريق من الموجز في ثنايا كتب النشر، واعترض الإمام الذهبي[2] على هذه الطريق للأهوازي فقال: " .... الخرقي المقرئ شيخ لا يعرف ... ذكر الأهوازي أنه قرأ عليه لورش عن قراءته على عبد الله بن مالك بن سيف صاحب الأزرق"[3].

روایة قالون، طریق الحلواني، من طریق ابن أبي مهران عنه، طریق النقاش:

قال الأهوازي: "وأما رواية قالون عنه قال أبو علي: فإني قرأت بها ... على أبي الحسن ... الوراق[4]، وأخبرني أنه قرأ على محمد بن ... النقاش، وأخبره أنه قرأ على أبي الحسن ... بن أبي مهران، وأخبره أنه قرأ على أبي الحسن ... الحلواني الصفار".

قلت: فهذه طريق النشر، وسكت عنها ابن الجزري، ولم يذكر كتاب الموجز في بحث الطرق فقال: "...رواية قالون ...، طريق الحلواني عن قالون من طريق ابن أبي مهران عن الحلواني من خمس طرق... طريق النقاش وهي الثالثة عن ابن أبي مهران ..."، ثم سكت ابن الجزري عن

(١) النشر ١/ ١٠٨.

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨، الغاية ١/ ٥٦٨.

(٣) معرفة القراء ١/ ٣٣٨.

(٤) الغاية ١/ ٥٧٢.

ذكر الموجز من هذه الطرق.

الإمام ابن عامر[١] رواية ابن ذكوان[٢] طريق الأخفش[٣] عنه من طريق ابن الأخرم[٤]:

قال الأهوازي : " وأما رواية ابن ذكوان ... فإني قرأت ... على أبي بكر ... بن هلال السلمي[٥] .. على ابن الحسن محمد ... الأخرم الربعي ... وأخبروه أنهم قرأوا على أبي موسى بن شريك الأخفش، وأخبرهم ... على ... بن ذكوان"[٦] .

قلت : وهذه الطريق أسندها ابن الجزري في النشر؛ إلا أنه سها في إسنادها وجعلها من الوجيز لأبي علي، وهي ليست فيه، بل من الموجز له فقال : " ... طريق السلمي، وهي الثالثة عن ابن الأخرم من طريقين: من الوجيز لأبي علي الأهوازي، قرأ بها على أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن هلال السلمي بدمشق"[٧] .

وهو ما يصدقه قول الشيخ الأزميري " وليس في .. ولا في الوجيز

---

(١) عبدالله بن عامر اليحصبي، ت ١١٨هـ، الغاية ١/ ٤٢٣.

(٢) عبدالله بن أحمد القرشي، ت ١٧٣هـ، الغاية ١/ ٤٠٤.

(٣) هارون بن موسى التغلبي، ت ٢٩٢هـ، القراء الكبار ١/ ٢٤٧.

(٤) محمد بن النضر الربعي، ت ٣٤١هـ، الغاية ٢/ ٢٢٠.

(٥) محمد بن أحمد الجبني، ت ٤٠٨هـ، القراء الكبار ١/ ٣٧٣.

(٦) الموجز ٣٨.

(٧) النشر ١/ ١٤١.

طريق الصوري[1] عن ابن ذكوان، وطريق النقاش عن الأخفش"[2]، قلت: ولكن نص ابن الجزري صريح في إثبات هذه الطريق للأهوازي، إلا أنها ليست من الوجيز وإنما من الموجز كما تقدم كشفه، لذا سكت الشيخ الأزميري عن مصدر هذه الطريق، واكتفى بأنها خارجة عن طريق النشر.

الإمام حمزة رواية خلف طريق الحداد:

قال الأهوازي: "وأما رواية خلف ... فإني قرأت ... على أبي إسحاق .. الطبري[3]. ... على ابن مقسم النحوي[4] ... على أبي الحسن إدريس بن عبد الكريم الحداد[5] ... على خلف بن هشام[6][7].

قلت: وهذه الطريق عينها في النشر، قال: " قراءة حمزة، رواية خلف، طريق إدريس عن خلف فمن طريق .. ابن مقسم ... من طريق الطبري .. عن مقسم"[8].

وقد أسند الإمام ابن الجزري هذه الطريق في كتابه النشر، إلا أنه سها

(١) محمد بن موسى الدمشقي، ت ٣٠٧هـ، الغاية ٢/ ٣١٠.

(٢) بدائع البرهان، ص ١٣٦.

(٣) إبراهيم بن أحمد المعدل، ت ٣٩٣هـ، القراء الكبار ١/ ٢٠٤.

(٤) محمد بن الحسن بن يعقوب العطار، ت ٣٥٤، الغاية ١/ ٣٠٧.

(٥) إدريس بن عبدالكريم البغدادي، ت٢٩٢هـ الغاية ١/ ١٥٤.

(٦) الموجز ٤٥.

(٧) النشر ١/ ١٥٨.

(٨) النشر ١/ ١٢٩.

فأسندها للوجيز لأبي علي، وقد كشفتها من كتاب الموجز له فطريق الوجيز خارجة عن طرق النشر، وليس فيها هذا الطريق، والله أعلم.

قال في النشر " ... طريق الطبري، وهي الثالثة عن ابن مقسم .. من الوجيز لأبي علي الأهوازي"[١] .

وتبع الشيخ الأزميري ظاهر النشر، وأسند للوجيز طريق ابن مقسم، وهو خروج عن طريق النشر، لأن الوجيز من طريق ابن شنبوذ[٢] عن إدريس، وطريق النشر ابن مقسم عن إدريس كما في الموجز لا الوجيز. والله أعلم.

الثاني: كتاب الوجيز لأبي على الأهوازي:

الإمام عاصم رواية أبي بكر من طريق يحيى[٣] :

قال الأهوازي: " وأما قراءة عاصم .. فإني قرأت بها... على أبي الفرج .. الشنبوذي[٤] ... على أبي عبد الله إبراهيم بن عرفة نفطويه[٥] ... على شعيب الصريفيني[٦] ... عن أبي زكريا يحيى بن آدم ... على أبي بكر"[٧].

---

(١) التحريرات على الطيبة – ١٩٩.

(٢) محمد بن أحمد بن الصلت البغدادي، ت ٣٢٨هـ، الغاية ٢/ ٥٢.

(٣) يحيى بن سليمان الصلحي، ت ٢٠٣هـ، الغاية ١/ ١٦٦.

(٤) مخلد بن أحمد الشنبوذي، ت ٣٨٨هـ، الغاية ٢/ ٥٠.

(٥) إبراهيم بن محمد بن عرفة، ت ٣٢٣هـ، الغاية ١/ ٢٥.

(٦) شعيب بن أيوب الصريفيني، ت ٢٦١هـ، الغاية ١/ ٣٢٦.

(٧) الوجيز ٦٩.

فهذه الطريق عينها في النشر، سكت عنها الإمام ابن الجزري، ولم يسند كتاب الوجيز ضمن الكتب التي أسندها في هذه الطريق قال : قراءة عاصم رواية أبي بكر طريق يحيى عنه ... طريق نفطويه، وهي الخامسة عن شعيب من .. وقرأ بها .. على أبي الفرج الشنبوذي .. على أبي عبد الله .. نفطويه النحوي"(١) .

وأما قول الشيخ الأزميري في تحريره على النشر : " ... في الوجيز ... وفيه رواية أبي بكر، وليست من طريق الطيبة"(٢) فهو سهو منه؛ لأنه أخذ بظاهر النشر، إذ لم يذكر ابن الجزري هذا ا لكتاب مسنداً في مبحث الطرق، والله أعلم .

الثالث كتاب المبسوط في القراءات العشر لابن مهران:

لم يشر الإمام ابن الجزري لهذا الكتاب في إيراده للكتب، وكأنه اكتفى بكتاب الغاية لابن مهران، فمن الروايات التي وافقت الغاية رواية ورش من طريق الأصبهاني(٣) ومن رواية قالون من طريق ابن بويان، وطريق الحلواني كلاهما من طريق النشر وسكت الإمام ابن الجزري عن هذه الطرق الثلاثة(٤).

---

(١) النشر، ١/ ١٤٨.

(٢) التحريرات ١٨١.

(٣) الغاية ص ٢٧.

(٤) النشر ١/ ١٠٦.

الرابع : كتاب الغاية لابن مهران:

الإمام حمزة رواية خلاد طريق الوزان[١] عنه:

قال ابن مهران : " قرأت ... على أبي الحسن .. بن مرة[٢] .. على عيسى بن بكار[٣] ... على أبي علي .. الصواف[٤] .. وقرأ القاسم .. المعروف بالوزان .. على خلاد"[٥] . قلت : فهذه الطريق عينها في النشر قال فيه : "طريق الوزان عن خلاد من طريقين : الأولى طريق الصواف عن الوزان"[٦] .

ولم يذكر الشيخ الأزميري هذه الطريق، ولم يذكر كتاب الغاية عن حمزة، وقد ذكر الإمام ابن الجزري ثمانية عشر طريقاً للغاية، وهذه التاسعة عشر، وهي المسكوت عنها في النشر.

الخامس : كتاب المستنير للإمام ابن سوار:

الإمام نافع رواية ورش طريق الأزرق:

قال ابن سوار : "رواية أبي يعقوب الأزرق عنه قرأت بها ...على الشيخ أبي الوليد[٧] .. وزادني أبو الوليد .. قال قرأتها بمصر على أبي بكر ..

---

(١) القاسم بن يزيد الأشجعي، ت ٢٥٠هـ، الغاية ١/ ٢١٠.

(٢) محمد بن عبدالله النقاش، ت ٣٥٢هـ، الغاية ٢/ ١٨٦.

(٣) بكار بن أحمد بن عبس، الغاية ١/ ١٧٧.

(٤) الحسن بن الحسين الصواف، الغاية ١/ ٢٢٠.

(٥) الغاية ١٠٩.

(٦) المستنير ١/ ١٦٢.

(٧) عتبة بن عبدالملك العثماني، ت ٤٤٥هـ، الغاية ١/ ٤٩٩.

الأذفـوي[1] ... عـلى أبي بكـر ... بـن هـلال ... عـلى النحـاس ... عـلى الأزرق"[2].

قلت : وهذه طريق النشر، سكت عنها ابـن الجـزري، قـال في النـشر " رواية ورش طريق الأزرق من طريق النحاس .. طريق ابن هلال"[3].

وسكت عن ذكر المستنير مـن هـذه الطريـق لـذا، فـإن مـا ذهـب إليـه الـشيخ الإزمـيري مـن أن طريـق الأزرق ليـست مـن الطيبـة، فلـيس بـصحيح[4]؛ لاعتماده على ظاهر النشر.

الإمام ابن عامر رواية ابن ذكوان من طريقي الأخفش والصوري:

أما طريق الأخفش فقال ابن سـوار : " روايـة ابـن ذكـوان .. قـرأت روايـة أبي بكر النقاش عن الأخفش على .. وزادني أبو علي الشرمقاني[5] أنه قرأ بها عـلى أبي الحسن بن العلاف[6] ... وقرأ ابن العلاف علي أبي بكر ... النقاش[7] .

وأمـا طريـق الـصوري فقـال ابـن سـوار : "... روايـة الـداجوني عنـه وقرأتها أيضاً على الشيوخ الثلاثة[8] ... ، وأخبروني أنهـم قـرؤوا بهـا عـلى أبي

(١) محمد بن محمد المصري، ت ٣٨٨هـ، الغاية ٢/ ١٩٩.

(٢) البدائع ١/ ٢٤٧.

(٣) النشر ١/ ١٢٩.

(٤) النشر ١/ ١٠٦.

(٥) الحسن بن أبي الفضل، ت ٤٥١هـ، الغاية ١/ ٢٢٧.

(٦) علي بن محمد بن يوسف العلاف، ت ٣٩٦هـ، الغاية ١/ ٥٧٧.

(٧) المستنير ١/ ٢٥٩.

(٨) المستنير ١/ ٢٦٠.

القاسم بكر بن شاذان .. وأخبرهم أنه قرأ على زيد ... على الداجوني"[١].

قلت : فهذه أربع طرق، واحدة من طريق الأخفش، وثلاث عن الصوري سكت عنها ابن الجزري، وهي طرق النشر، قال فيه "... طريق الأخفش عنه، فمن طريق النقاش .. طريق ابن العلاف، وهي السادسة عن النقاش" ثم سكت ابن الجزري عن المستنير من هذه الطرق. وأما الصوري قال عنه "طريق الصوري .. فمن طريق الرملي من طريق زيد"[٢]. ثم ذكر الكتب، وأن أصحابها قرؤوا على بكر بن شاذان، وشاذان على زيد، وكذا صاحب المستنير.

الإمام أبو عمرو البصري رواية الدوري، طريق أبي الزعراء، طريق ابن مجاهد من طريق: النهرواني[٣]، والحمامي.

قال ابن سوار:" ... رواية أبي الزعراء عن الدوري قرأت بها .. وقرأت أيضاً .. على الشيخ أبي الفتح .. بن شيطا[٤]، وعلى أبي علي الشرمقاني، وأخبراني أنهما قرآ على أبي علي العلاف ... على أبي طاهر ... وقرأتها ... على الخياط ... وأبي الفرج النهرواني، وقرآ جمعياً على أبي طاهر ... قال الشيخ أبو الفتح: من قراءة ابن العلاف ... على النقاش ... وكذا ذكر أبو الحسن أن النهرواني قرأ على ابن أبي عمر...، وقرأ على ابن

(١) النشر ١/ ١٤٢.

(٢) النشر ١/ ١٤٢.

(٣) ١/ ٢٧٢ – ٢٧٥.

(٤) عبدالواحد بن أحمد، ت ٤٠٥هـ، الغاية ١/ ٤٧٣.

مجاهد"[1]. قلت فأسند ابن الجزري طريقي الحمامي وابن العلاف[2]، وسكت عن بقية الطرق وهي: طريق الحمامي، طريق ابن شيطا والشرمقاني، والخياط عنه، وطريق النهرواني من طريق شيخه الخياط، وطريق العلاف من طريق النقاش، والنهرواني، وكل ذلك في إسناد واحد لابن سوار وبيان الطرق من النشر كالتالي " ... رواية الدوري طريق أبي الزعراء، طريق ابن مجاهد عنه ... طريق أبي طاهر .. ومن المستنير من طريقين : ... الجوهري[3] .. و الحمامي... والمستنير .. على أبي الحسن العلاف... [4] ثم سكت ابن الجزري عن ذكر بقية الطرق، وهي كما ترى من معين واحد.

<u>الإمام الكسائي، رواية أبي الحارث طريق النهرواني عن الطوسي عن القنطري[5] :</u>

قال ابن سوار : ... وزادني أبو علي العطار أنه قرأ بها على أبي الفرج النهرواني وقرأ النهرواني على ابن أبي عمر، وقرأ الطوسي .. على القنطري ... على الكسائي .. على أبي الحارث[6]".

(١) ١/ ٢٧٢ – ٢٧٥.

(٢) النشر ١/ ١٢٨.

(٣) محمد بن شاذان، ت ٢٨٦هـ، الغاية ٢/ ٢٢٠.

(٤) النشر ١/ ١٢٣.

(٥) إبراهيم بن زياد، مات بعد ٣١٠هـ، الغاية ١/ ١٥.

(٦) المستنير ١/ ٢٧٦.

قال في النشر : " ... ومن طريق القنطري عن محمد بن يحيى من ثلاث طرق: الأولى : طريق ابن أبي عمر من خمس طرق ... طريق النهرواني، وهي الرابعة ..." [١]، وإذا كان عدد الطرق المسندة للمستنير مائة وأربعة عشر، فإنه تزاد هذه أيضاً .

السادس : كتاب الاختيار في القراءات العشر لسبط الخياط:

الإمام ابن كثير، رواية قنبل من طريق المؤدب[٢] والخباز[٣] من طريق ابن مجاهد، وابن شنبوذ[٤]

قال السبط : " رواية قنبل، رواية ابن مجاهد، قرأت .. على .. وأبي المعالي ثابت بن بندار[٥] .. على أبي الفرج .. الضرير ... على المؤدب ... على ابن مجاهد[٦] .

وقد ذكر ابن الجزري هذه الطريق للسبط، لكن من كتاب الكفاية للسبط، وسكت عن كتاب الاختيار له فقال : "رواية قنبل .. طريق ابن مجاهد .. طريق صالح بن محمد طريق ثابت بن بندار من طريق .. سبط الخياط من كتاب الكفاية له ... [٧]، وأما الخباز فقال السبط: " وقرأت ...

(١) النشر ١/ ١٦٨.

(٢) صالح بن محمد المبارك، مات بعد ٣٨٠هـ، الغاية ٢/ ٣٣٤.

(٣) أحمد بن مسرور الخباز، ت ٤٤٢هـ، الغاية ١/ ١٣٨.

(٤) الاختيار ١/ ٤٦.

(٥) ثابت بن بندار الدينوري، ت ٤٩٨هـ، الغاية ١/ ١٨٨.

(٦) الاختيار ١/ ٤٦.

(٧) النشر ١/ ١٨٨.

على ... الصفار .. على الخباز ... على أبي الفرج ... على ابن شنبوذ"[1]، وأما طريق المؤدب عن ابن شنبوذ فقال: " وقرأت ... على ثابت بندار .. على أبي ثعلب[2] .. على المعافا"[3].

وقد أسند الإمام ابن الجزري هذه الطرق من الكفاية، وسكت عن الاختيار للسبط قال: "طريق ابن شنبوذ ... طريق أبي الفرج، أبو تغلب وهي الأولى عنه من كفاية سبط الخياط ... وأبو نصر الخباز، وهي الثانية عن أبي الفرج من الكفاية ... "[4]

الإمام أبو جعفر المدني، رواية ابن وردان من طريقين: العلاف، والنهرواني

وقد أسندهما ابن الجزري من الكفاية للسبط، وسكت عن الاختيار له، والإسناد كما في النشر[5]، والاختيار[6].

الإمام نافع، رواية الحلواني، طريق ابن مهران، طريق النقاش والمنقي[7]:

فهذان الطريقان أسندهما ابن الجزري في النشر[8]، لكن من طريق المبهج وسكت ابن الجزري عن كتاب الاختيار[9].

---

(١) الاختيار ١/ ٥٠.

(٢) عبدالوهاب بن علي بن الحسن، الغاية ١/ ٤٧٩.

(٣) الاختيار ١/ ٥١.

(٤) النشر ١/ ١١٩

(٥) النشر ١/ ١٧٤.

(٦) الاختيار ١/ ٥٨.

(٧) أحمد بن حماد الثقفي، الغاية ١/ ٥١.

(٨) النشر ١/ ١٠٢.

(٩) الاختيار ١/ ٧٢.

رواية قالون طريق أبي نشيط طريق الشذائي[١]:

وهذه أسندها ابن الجزري من كتاب المبهج له[٢]، وسكت عن كتاب الاختيار[٣].

رواية ورش طريق الأصبهاني طريق المطوعي:

أسندها ابن الجزري من المبهج له[٤]، وسكت عن كتاب الاختيار.[٥]

الإمام عاصم، رواية شعبة، طريق يحيى عنه، طريق شعيب من طريق المثلثي[٦]

أسند الإمام ابن الجزري هذه الطريق في نشره[٧] إلى سبط الخياط دون ذكر الكتاب وكشفته من كتاب الاختيار له، فليست هذه الطريق من المبهج البتة.

قال في النشر " طريق المثلثي عن شعيب من ... وبالإسناد المتقدم إلى سبط الخياط قرأ بها على أبي المعالي ثابت بن بندار[٨] .

قال السبط في الاختيار: "رواية يحيى ... طريق شعيب ... قرأت على

(١) أحمد بن نصر البصري، ت ٥٧٠هـ، الغاية ٣/ ١٤٥.

(٢) النشر ١/ ١٠٠

(٣) ١/ ٧٥.

(٤) النشر ١/ ١١٠.

(٥) ١/ ٨١.

(٦) أحمد بن سعيد بن عثمان الضرير، ت ٣٢٣هـ، الغاية ١/ ٥٧.

(٧) ١/ ١٤٧.

(٨) ١/ ١٤٧.

... أبي المعالي ... وأخبرني أبو المعالي .. قرأ بها ... على أبي الفتح...على الجامدي... على أبي العباس أحمد بن سعيد الضرير"[1].

أما طريق أبي حمدون[2] عن يحيى من طريقين : الحمامي والنهرواني :

وكلا الطريقين في النشر، والغريب أن ابن الجزري سكت عن طريق سبط الخياط من جميع كتبه، ولم يذكر له شيئاً، وهذان الطريقان من كتاب الاختيار له .

فمن قراءته على شيخه أبي طاهر[3] .. على العطار ... على النهرواني ... على بكار ... على الصواف ومن قراءته على شيخه أبي طاهر ... على الخياط... على الحمامي ... على بكار ...على الصواف وقرأ الصواف على أبي حمدون[4] وهما في النشر[5] .

الإمام حمزة، رواية خلف طريق إدريس:

وقد سكت ابن الجزري في نشره، عن جميع طرق السبط، ولم يسند إلا طريقاً واحدة من المبهج وهي طريق المطوعي عن إدريس[6]، وسكت عن

---

(١) ١/ ٩٥

(٢) الطيب بن إسماعيل الذهلي، ت ٢٤٠هـ، الغاية ١/ ٥٩.

(٣) أحمد بن سهل الفيروزان، ت٣٠٧هـ، الغاية ١/ ٥٩.

(٤) الاختيار ١/ ٩٨.

(٥) النشر ١/ ١٤٨ – ١٤٩.

(٦) ١/ ١٦٠.

طريق المصاحفي[١] عن ابن عثمان، وطريق الطبري عن ابن مقسم، وطريق النهرواني عن ابن مقسم أيضاً، فكل هذه الطرق من النشر، هي طرق السبط في الاختيار[٢].

الإمام الكسائي رواية الدوري من طريق الشذائي:

وهي طريق النشر، أسندها ابن الجزري من المبهج[٣]، وسكت عن كتاب الاختيار[٤].

رواية أبي الحارث طريق الفرائضي عن القنطري:

أسندها ابن الجزري من المبهج[٥] فقط، وسكت عن كتاب الاختيار[٦].

الإمام خلف العاشر، رواية إدريس:

سكت الإمام ابن الجزري عن طريقين للسبط من الاختيار، وأسند واحدة منها من الكفاية للسبط[٧]، وسكت عن طريق السوسنجردي[٨]

(١) عبيدالله بن عمر أبو الفرج، ت ٤٠١هـ، الغاية ١/ ٤٠٩.
(٢) الاختيار ١/ ١٠٦.
(٣) النشر ١/ ١٧١.
(٤) الاختيار ١/ ١١٩.
(٥) النشر ١/ ١٦٩.
(٦) الاختيار ١/ ١٢٨.
(٧) النشر ١/ ١٨٨.
(٨) أحمد بن عبدالله البغدادي، ت ٤٠٢هـ الغاية ١/ ٧٥.

وابن شاذان كلاهما عن النقاش من كتاب الاختيار.[١]

الإمام أبو عمرو البصري، رواية الدوري من طريقي ابن مجاهد[٢] وابن فرح[٣]:

أما من طريق ابن مجاهد، فكست ابن الجزري عن كل طرق السبط، وهي من كتاب الاختيار له[٤]، وهي طريق القزاز عن ابن مجاهد، وكذا طريق الأنطاكي عن ابن مجاهد، وطريق الشنبوذي عن ابن مجاهد[٥] وهذه الأخيرة أسندها ابن الجزري، للمستنير[٦]، وهي في كتاب الاختيار للسبط.

وأما طريق ابن فرح من طريق ابن الصقر[٧]، عن زيد[٨]، فأسندها ابن الجزري للسبط من الكفاية[٩]، وسكت عن كتاب الاختيار.[١٠]

وكذا طريق الحمامي عن زيد، أسندها ابن الجزري من الكفاية[١١]

(١) ١/ ١٣٤.

(٢) النشر ١/ ١٣٩.

(٣) أحمد بن فرح أبو جعفر البغدادي، ت ٣٠٣هـ، الغاية ١/ ٩٥.

(٤) النشر ١/ ١٣٩.

(٥) النشر ١/ ١٤٠.

(٦) النشر ١/ ١٢٥.

(٧) الحسن بن علي بن الصقر الكاتب، ت ٤٢٩هـ، الغاية ١/ ٢٢٤.

(٨) زيد بن علي بن أحمد، ت ٣٥٨هـ، الغاية ١/ ٢٩٨.

(٩) النشر ١/ ١٢٩.

(١٠) الاختيار ١/ ١٣٨.

(١١) النشر ١/ ١٢٨.

وسكت عن الاختيار.[١]

روابة السوسي، طريق ابن حبش عن جرير من طريق ابن المظفر:

وأسندها ابن الجزري من كتاب النشر[٢] عن شيوخه للسبط، أي من الكفاية، وسكت عن كتاب الاختيار[٣].

الإمام يعقوب، رواية روح[٤] طريق ابن خشنام[٥] :

أسندها ابن الجزري من طريق المبهج[٦]، وسكت عن كتاب الاختيار[٧].

وأما رواية رويس طريق الحمامي عن النخاس:

فسكت ابن الجزري عنها من الاختيار[٨]، وأسندها من المبهج لكن من طريق الكارزيني عن النخاس، وكلاهما طريق النشر.[٩]

الإمام ابن عامر، رواية ابن ذكوان، طريق النقاش عن الأخفش

من ثلاث طرق: ابن العلاف، والطبري، والنهرواني، فهذه الثلاث

---

(١) الاختيار ١/ ١٣٨

(٢) ١/ ١٣١.

(٣) الاختيار ١/ ١٤١.

(٤) روح بن عبدالمؤمن البصري، ت ٢٣٨هـ، الغاية ٢/ ٢٣٤.

(٥) علي بن محمد بن إبراهيم المالكي، ت ٣٦٥هـ، الغاية ١/ ٥٦٢.

(٦) النشر ١/ ١٨٤.

(٧) الاختيار ١/ ١٥٣.

(٨) الاختيار ١/ ١٥٥.

(٩) النشر ١/ ١٨١.

سكت عنها ابن الجزري في نشره[1]، ولم يسند لكتب سبط الخياط منها شيئاً، وهي في كتاب الاختيار له.[2]

السابع : كتاب التبصرة لابن فارس الخياط

الإمام ابن كثير، رواية البزي، طريق أبي ربيعة: فمن طريق النقاش

سكت الإمام ابن الجزري عن طريق الطبري[3]، ولم يسندها لشيء من كتب ابن فارس، وهي في "التبصرة"[4]، وأما طريق الحمامي عن النقاش، فأسندها ابن الجزري لكتاب الجامع له[5] وهي أيضاً من التبصرة[6].

الإمام نافع رواية قالون طريق أبي نشيط: فمن طريق الطبري عن ابن بويان:

سكت ابن الجزري عن هذه الطريق[7]، ولم ينسبها لشيء من كتاب ابن فارس، وهي طريق ابن فارس من التبصرة[8]، وموافقة لطرق النشر، وكذا سكت عن طريق الفرضي عن ابن بويان، وهي الموافقة لكتاب التجريد[9]،

(١) الاختيار ١/ ١٤٠.

(٢) الاختيار ١/ ١٦٢-١٦٣.

(٣) النشر ١/ ١١٦.

(٤) التبصرة ١/ ٣.

(٥) النشر ١/ ١١٦.

(٦) التبصرة ١/ ٣.

(٧) النشر ١/ ٩٩.

(٨) التبصرة ١/ ١٢.

(٩) النشر ١/ ٩٩.

وهي من التبصرة لابن فارس.[١]

أما الحلواني عن قالون: فمن طريق النقاش عن ابن مهران، فأسندها ابن الجزري لجامع ابن فارس[٢]، وهي كذا في التبصرة له.[٣]

وسكت ابن الجزري عن طريق الطبري عن النقاش، ولم يسندها لا من الجامع، ولا من التبصرة[٤]، وهي من طرق النشر[٥]، وسكت كذلك عن طريق النهرواني عن هبة الله[٦] عن أبيه من التبصرة[٧]، وأسندها لابن فارس من الجامع له.[٨]

أما رواية ورش طريق الأصبهاني، فسكت النشر عن طريق الحمامي عن هبة الله، ولم يسندها لشيء من كتب ابن فارس، وهي من كتاب التبصرة له[٩] والموافقة لطرق النشر.[١٠]

الإمام ابن عامر، رواية هشام، طريق الداجوني[١١]، فمن طريق النهرواني

(١) التبصرة ١/ ١٢.

(٢) النشر ١/ ١٠٣.

(٣) ١/ ١٣.

(٤) التبصرة ١/ ١٣.

(٥) ١/ ١٠٣.

(٦) القاضي أبو الفرج المعافا بن زكريا، ت ٣٩٠هـ، الغاية ١/ ٥٩.

(٧) ١/ ١٣.

(٨) النشر ١/ ١٠٥.

(٩) ١/ ١٦.

(١٠) النشر ١/ ١٠٩.

(١١) محمد بن أحمد بن عمر، ت ٣٢٤هـ، الغاية ٢/ ٧٧.

أسندها ابن الجزري لكتاب الجامع[١]، وسكت عن التبصرة، وهي فيه[٢].

أما ابن ذكوان، طريق الأخفش، طريق النقاش:

فأسند ابن الجزري هذه الطريق، من طريق الحمامي لكتاب النشر من جامع ابن فارس[٣]، وسكت عن كتاب التبصرة له، وهي فيه. [٤]

وأما طريق الطبري عن النقاش، فلم يسندها في النشر، لأي كتاب من كتب ابن فارس، وهي الموافقة لطرق النشر[٥]، وكذا من كتاب التبصرة[٦].

الإمام أبو عمرو البصري رواية الدوري، طريق ابن فرح:

فأسند ابن الجزري هذه الطريق من كتاب الجامع فقط[٧] وسكت عن التبصرة، وهي فيه[٨].

وأما طريق ابن مجاهد عن الدوري،

فأسند الإمام ابن الجزري في النشر طريق ابن أبي عمر[٩]، من

(١) النشر ١/ ١٣٩.

(٢) التبصرة ١/ ٢٠.

(٣) التبصرة ١/ ٢٠.

(٤) ١/ ١٤٠.

(٥) ١/ ٢٠.

(٦) ١/ ١٢٨.

(٧) ١/ ٢٤.

(٨) ١/ ١٢٨.

(٩) النشر ١/ ١٢٤.

الجامع[١]، فقط، وسكت عن طريق ابن شاذان والقزاز، وبكران[٢] ثلاثتهم عن ابن مجاهد، وهم في التبصرة، والنشر.[٣]

أما رواية السوسي، طريق ابن حبش: فمن طريق ابن المظفر

أسند ابن الجزري هذه الطريق من كتاب الجامع[٤]، وسكت عن التبصرة، وهي كذلك فيه[٥]

الإمام عاصم، رواية حفص، طريق عبيد بن الصباح:

فمن طريق الحمامي أسند ابن الجزري هذه الطريق لكتاب الجامع لابن فارس[٦]، وسكت عن التبصرة[٧] .

وأما طريق عمرو بن الصباح[٨]، طريق الفيل[٩] فمن طريق الجمال[١٠]، والطبري

سكت الإمام ابن الجزري عن هذين الطريقين، ولم يسندهما لشيء ومن

(١) ١/ ١٢٩.

(٢) النشر ١/ ١٥٢.

(٣) ١/ ٢٧.

(٤) ١/ ١٣٢.

(٥) النشر ١/ ١٥٢.

(٦) ١/ ٣٦.

(٧) ١/ ١٥٢.

(٨) أبو حفص ابن الصباح، ت ٢٢١هـ، الغاية ١/ ٦٠١.

(٩) أحمد بن محمد البغدادي، ت ٢٨٩هـ، الغاية ١/ ١٤٣.

(١٠) النشر ١/ ١٥٣.

كتب ابن فارس[1]، وهما الموافقان لطرقه في النشر، وفي كتاب التبصرة[2].

الإمام حمزة، رواية خلف، طريق ابن مقسم: فمن طريق الحمامي أسند ابن الجزري هذه الطريق[3] للجامع، وسكت عن التبصرة، وكذا سكت عن طريق الطبري، ولم يسندها لشيء من كتبه، وهي في التبصرة[4]، والنشر[5].

وأما رواية خلاد، من طريق، الصواف: فمن طريق بكار

أسند ابن الجزري للجامع هذه الطريق[6]، وسكت عن التبصرة[7]، وأما طريق ابن أبي عمر، فسكت في النشر عن ذكر شيء من كتب ابن فارس، وهي طريق التبصرة[8]، والنشر[9].

الإمام الكسائي، رواية أبي الحارث، طريق ابن أبي عمر:

فمن طريقين: طريق الحمامي، وهذه أسندها ابن الجزري للجامع لابن فارس[10]، وسكت عن التبصرة، وهي فيه[11]، وأما طريق السوسنجردي،

(1) ١/ ٣٩.
(2) النشر ١/ ١٥٨.
(3) ١/ ١٥٨.
(4) ١/ ٤١.
(5) ١/ ١٥٨.
(6) النشر ١/ ١٦٢.
(7) ١/ ٤٣.
(8) ١/ ٤٣.
(9) النشر ١/ ١٦٣.
(10) النشر ١/ ١٦٨.
(11) ١/ ٤٦

فسكت ابن الجزري عن الكتابين له، وهي طريق النشر[١]، وفي التبصرة[٢].

أما رواية الدوري، طريق ابن أبي هاشم[٣]: فمن طريق الحمامي، والصيدلاني

أسندهما ابن الجزري للجامع[٤]، وسكت عن التبصرة، وهي فيه.[٥]

الإمام خلف العاشر، رواية إسحاق طريق النقاش:

فمن طريق بكر بن شاذان أسند الإمام ابن الجزري هذه الطريق للجامع[٦]، وسكت عن التبصرة، وهي فيه.[٧]

الإمام أبو جعفر المدني، رواية ابن وردان، طريق ابن شبيب:

فمن طريقين النهرواني، وابن العلاف، أسند الأولى ابن الجزري للجامع لابن فارس[٨]، وسكت عن التبصرة[٩] فيها، وأما ابن العلاف فلم يسند لكتب ابن فارس شيئاً، وهي من التبصرة[١٠]، والموافقة للنشر[١١].

---

(١) ١/ ١٦٨

(٢) ١/ ٤٦.

(٣) أبو الطاهر عبدالواحد بن أبي هاشم، ت ٣٤٩هـ، الغاية ١/ ٤٧٥.

(٤) النشر ١/ ١٧١.

(٥) ١/ ٤٨.

(٦) النشر ١/ ١٣٤.

(٧) ١/ ٥٢

(٨) ١/ ٥٢.

(٩) ١/ ١٧٤.

(١٠) ١/ ١٧٤.

(١١) ١/ ٥٣.

الإمام يعقوب، رواية رويس، طريق النخاس:

فمن طريق الحمامي أسند ابن الجزري للجامع هذه الطريق[1]، وسكت عن التبصرة، وهي فيه[2].

وأما رواية روح، طريق ابن وهب[3]: فمن طريق ابن خشنام : أسندها في النشر للجامع، [4] وسكت عن التبصرة[5].

الثامن كتاب الاكتفاء لأبي الطاهر

الإمام ابن كثير رواية قنبل، طريق ابن مجاهد: فمن طريق السامري سكت عنها الإمام ابن الجزري في نشره[6]، وهي في الاكتفاء له[7].

الإمام نافع، رواية ورش، طريق الأزرق: فمن طريق ابن سيف : أسندها ابن الجزري في نشره[8] من العنوان له، وسكت عن الاكتفاء، وهي فيه[9].

---

(١) ١/ ٥٢.

(٢) ١/ ١٨٣.

(٣) محمد بن وهب الثقفي، مات بعد ٢٧٠هـ، الغاية ١/ ٢١٧.

(٤) ١/ ٥٤.

(٥) ١/ ١٧٥.

(٦) ص ١٩.

(٧) ١/ ١١٧.

(٨) ١/ ١٠٨.

(٩) ص٢٠

الإمام ابن عامر رواية هشام طريق الحلواني، طريق السامري: فمن طريق الطرسوسي[١] أسندها ابن الجزري من العنوان له[٢]، وسكت عن الاكتفاء وهي فيه.[٣]

الإمام أبو عمرو البصري، رواية الدوري، فمن طريق السامري: أسندها ابن الجزري من العنوان[٤]، وسكت عن الاكتفاء وهي فيه.[٥]

وأما رواية السوسي، طريق ابن جرير: فمن طريق السامري: وأسندها صاحب النشر من العنوان له[٦]، وسكت عن الاكتفاء[٧] .

الإمام عاصم، رواية شعبة، طريق شعيب: فمن طريق القافلائي : ذكرت في النشر مسندةً من العنوان[٨]، وسكت عن الاكتفاء[٩] .

الإمام حمزة رواية خلاد طريق ابن شنبوذ: فمن طريق السامري : أسندها ابن الجزري من العنوان[١٠]، وسكت عن الاكتفاء[١١].

---

(١) عبدالجبار بن أحمد بن عمر، ت ٤٢٠هـ، الغاية ١/ ٣٥٧.

(٢) النشر ١/ ١٣٦.

(٣) ص٢١.

(٤) النشر ١/ ١٢٤.

(٥) ص٢٢.

(٦) النشر ١/ ١٣١.

(٧) ص٢٢.

(٨) النشر ١/ ١٤٧

(٩) ص ٢٣.

(١٠) النشر ١/ ١٦١.

(١١) ص ٢٤.

التاسع : كتاب الإرشاد لأبي الطيب ابن غلبون:

الإمام ابن كثير، رواية البزي، طريق ابن الحباب:

وأسند هذه الطريق ابن الجزري للإرشاد[1]، وهو سهو، فليس فيه طريق ابن الحباب، بل فيه الخزاعي[2] وغيره، وهو الموافق لكتاب التذكرة[3]، ولعل ابن الجزري أراد التذكرة فسها وكتب الإرشاد لأبيه.

أما الإمام نافع رواية قالون طريق أبي نشيط: فمن طريق صالح بن إدريس، عن القزاز

فأسندها ابن الجزري في نشره[4]، دون الإشارة لكتاب الإرشاد، واكتفى بالتذكرة لأبي طاهر[5].

الإمام ابن عامر رواية ابن ذكوان طريق الأخفش فمن طريق صالح بن إدريس عن ابن الأخرم

أسند ابن الجزري هذه الطريق من كتاب التذكرة[6]، وسكت عن كتاب الإرشاد، وهي فيه[7].

---

(١) النشر ١/ ١١٧.

(٢) ١/ ١٨٥.

(٣) ١/ ٢٤.

(٤) ١/ ١٠١.

(٥) ١/ ٢٠٩.

(٦) النشر ١/ ١٤١.

(٧) ١/ ٢٠٩.

الإمام أبو عمرو البصري رواية الدوري، طريق أبي الزعراء من طريق المجاهدي

أسندها ابن الجزري من كتاب التذكرة في نشره[١]، وسكت عن الإرشاد، وهي فيه[٢].

الإمام حمزة رواية خلاد، طريق ابن الهيثم: فمن طريق القاسم بن نصر[٣]

لم يسندها ابن الجزري في كتابه، وهي من طرق النشر[٤]، وكذا في الإرشاد.[٥]

الإمام الكسائي رواية أبي الحارث طريق سلمة[٦]: أسندها ابن الجزري في كتابه لابن طاهر من كتاب التذكرة[٧]، وسكت عن الإرشاد وهي فيه[٨].

العاشر : كتاب الجامع لابن فارس الخياط:

الإمام ابن عامر رواية ابن ذكوان طريق الصوري فمن طريق زيد:

سكت الإمام ابن الجزري عن هذه الطريق ولم يسندها في الجامع، ونسبها في النشر للجامع للفارسي[٩]، وهي كذلك في جامع

(١) ١/ ١٢٥.

(٢) ١/ ٢٢١.

(٣) القاسم بن نصر المازني الكوفي، ت ٢٩٠هـ، الغاية ٢/ ٢٥.

(٤) ١/ ١٦٠.

(٥) ١/ ٢٣٢.

(٦) سلمة بن عاصم البغدادي، ت بعد ٢٧٠هـ، الغاية ١/ ٥٢٠.

(٧) النشر ١/ ١٦٩.

(٨) ١/ ٢٣٩.

(٩) النشر ١/ ١٤٢.

ابن فارس[١].

الإمام أبو عمرو البصري رواية الدوري طريق النهرواني: فمن طريق زيد :
سكت الإمام ابن الجزري عن هذه الطريق، وهي من طريق النشر[٢]، وكذا في الجامع[٣].

الإمام عاصم رواية حفص طريق أبي طاهر: فمن طريق الحمامي : سكت الإمام ابن الجزري عن هذه الطريق في نشره[٤]، وهي في الجامع له[٥].

أما طريق عمرو، طريق الفامي: فمن طريق الحمامي

سكت ابن الجزري عن هذه الطريق من الجامع[٦]، ولم يسندها للنشر، وهي منه[٧].

الحادي عشر : كتاب الكامل للهذلي:

الإمام نافع رواية قالون طريق الحلواني: فمن طريق الحمامي عن النقاش

أسند الإمام ابن الجزري هذه الطريق دون ذكر الكامل، وهو سهوٌ منه، واكتفى بذكر شيخ الهذلي في النشر[٨]، وتبين للباحث أنه يريد الكامل،

---

(١) ورقة : ٨

(٢) ١/ ١٢٤.

(٣) ورقة : ١٢.

(٤) ١/ ١٥٢.

(٥) ورقة : ١٥.

(٦) النشر ١/ ١٥٣.

(٧) ورقة : ١٥.

(٨) ١/ ١٠٣.

وهي كذلك فيه[١] بطريق النشر نفسه، فليوثق القارئ الكريم كتاب الكامل عند ذكر الإمام ابن الجزري شيخ الهذلي في النشر.

الثاني عشر : كتاب التلخيص لأبي معشر:

الإمام ابن عامر رواية هشام طريق الداجوني: فمن طريق الكارزيني عن **الشذائي**: سكت الإمام ابن الجزري عن هذه الطريق من كتاب التلخيص له[٢]، وهي من طرق النشر. [٣] .

الإمام حمزة رواية خلف طريق ابن مقسم : فمن طريق الطبري : سكت الإمام ابن الجزري عن هذه الطريق من التلخيص[٤]، وهي من طرق النشر.[٥]

الإمام يعقوب رواية روح: طريق ابن خشنام : فمن طريق الكارزيني :

سكت عنها الإمام ابن الجزري من التلخيص[٦]، وهي طريقه في النشر[٧].

الثالث عشر: كتاب جامع البيان لأبي معشر الطبري " سوق العروس"

الإمام نافع رواية قالون طريق الحلواني طريق ابن مهران: فمن طريقي

(١) ص ١٩٥.

(٢) النشر ١/ ١٠٤.

(٣) ١/ ١٣٨.

(٤) ١/ ١٣٨.

(٥) ١/ ١٥٨.

(٦) التلخيص ١/ ١٢٦.

(٧) ١/ ١٨٣.

المنقي، وابن شنبوذ سكت الإمام ابن الجزري عنها من الجامع[1]، وهي من طرق النشر[2] .

أما رواية ورش طريق الأصبهاني طريق هبة الله : فمن طريق الطبري سكت الإمام ابن الجزري عن هذه الطريق في الجامع[3]، وهي في طرق النشر[4].

أما الأزرق طريق ابن سيف، طريق النحاس: فمن ثلاث طرق:

أبو نصر سلامة، وابن شنبوذ من طريقين : الشذائي، وأبي أحمد البغدادي، فسكت ابن الجزري عن طريقي الشذائي وأبي أحمد وأسند طريق أبي نصر في نشره[5] وكلها في الجامع[6]. وكذا سكت ابن الجزري عن طريق ابن سيف من طريق أبي عدي في نشره[7] وهي كذا في الجامع[8] .

الإمام مكي رواية قنبل طريق ابن شنبوذ، طريق القاضي أبي الفرج :

فمن طريق الخباز، أسند ابن الجزري هذه الطريق لأبي معشر من كتابه التلخيص في نشره[9] وسكت عن الجامع، وهي فيه[10].

---

(١) ورقة : ١٩.

(٢) ١/ ١٠٥.

(٣) ورقة : ٢١.

(٤) ١/ ١١٠.

(٥) ١/ ١٠٨.

(٦) ورقة : ٢٢.

(٧) ١/ ١٠٨.

(٨) ورقة : ٢٢.

(٩) ١/ ١١٩.

(١٠) ورقة : ٣٠.

وأما طريق الشنبوذي: فسكت عنها ابن الجزري في نشره[١]، وهـي في الجامع[٢].

أما رواية البزي طريق أبي ربيعة فمن طريق النقاش أسندها ابن الجزري من التلخيص في نشره[٣] وسكت عن الجامع، وهي فيه[٤].

الإمام ابن عامر رواية ابن ذكوان طريق الأخفش : فمن طريق ابن الأخرم: من طريق السلمي سكت عنها ابن الجزري من الجامع[٥]، وهي من طرق النشر[٦].

أما طريق الصوري، طريق الداجوني: فمن طريق الشذائي : أسندها ابن الجزري في النشر[٧]، من كتاب التلخيص له، وسكت عن الجامع، وهي فيه[٨]، وأما طريق المطوعي: فأسندها ابن الجزري من كتاب التلخيص له في النشر[٩]، وسكت عنها في الجامع، وهي فيه[١٠].

---

(١) ١/ ١١٩.

(٢) ورقة : ٣٠.

(٣) النشر ١/ ١١٩.

(٤) ورقة : ٣٤.

(٥) ورقة : ٣٤.

(٦) ١/ ١٤١.

(٧) ١/ ١٣٨.

(٨) ورقة : ٣٥.

(٩) ١/ ١٤٣.

(١٠) ورقة : ٣٥.

وأما رواية هشام طريق الحلواني: فمن طريق النقاش، أسند ابن الجزري له من التلخيص من قراءته على شيخه ابن الحسن الأصبهاني، في النشر[1]، وسكت عنها من الجامع، وأما قراءته على شيخه الزيدي، فسكت عنها ابن الجزري من الكتابين[2]، وهي في الجامع[3].

الإمام أبو عمرو البصري طريق الدوري طريق ابن مجاهد: فمن طريق السامري

أسند ابن الجزري هذه الطريق من كتاب التلخيص له في نشره[4]، وسكت عنها من الجامع[5]، أما طريق الشنبوذي، والشذائي، والمطوعي عن مجاهد فسكت ابن الجزري عن هذه الطرق في نشره[6]، وهي في الجامع له[7].

أما طريق ابن فرح: فمن طريق المطوعي وابن شاذان: سكت عنها ابن الجزري من الجامع له[8]، وهي من طرق النشر[9].

رواية السوسي طريق ابن جرير طريق ابن حبش: فمن طريقين : الخزاعي،

---

(١) ١/ ١٣٦.

(٢) النشر ١/ ١٣٦.

(٣) ورقة : ٣٦.

(٤) ١/ ١٢٤.

(٥) ورقة : ٤٠.

(٦) ١/ ١٢٦-١٢٧.

(٧) ورقة : ٤٠.

(٨) ورقة : ٤٢.

(٩) ١/ ١٣٠.

والقاضي أبي العلا فسكت ابن الجزري عنها من الجامع[١]، وهي من طريقه في النشر[٢].

الإمام عاصم رواية شعبة طريق يحى: من طريق الأصم: فمن طريق: النقاش والمطوعي، ونفطويه، والقافلائي فسكت في النشر عن هذه الطرق المتقدمة، ولم يسند إلا طريق النقاش من التلخيص له، في نشره[٣]، وكلها من الجامع له[٤].

أما رواية حفص، طريق عبيد طريق الهاشمي: فمن طريق الكارزيني، سكت ابن الجزري عن ذكر هذه الطريق من الجامع[٥]، وهي من طرق النشر[٦].

الإمام حمزة رواية خلف طريق إدريس : فمن طريق المطوعي: أسندها ابن الجزري من التخليص في نشره[٧]، وسكت عن الجامع وهي فيه[٨].

وأما طرق الطبري عن ابن مقسم : فسكت عنها ابن الجزري من الجامع[٩]

(١) ورقة: ٤١

(٢) ١/ ١٣٢.

(٣) ١/ ١٤٧.

(٤) ورقة: ٥٣.

(٥) ورقة: ٦١.

(٦) ١/ ١٥٢.

(٧) ١/ ١٥٨.

(٨) ورقة: ٦٥.

(٩) ورقة: ٦٥.

وهي من طرق النشر[١].

وأما رواية خلاد فمن ثلاث طرق: أسندها ابن الجزري في نشره[٢] من كتاب التلخيص لأبي معشر، وهو سهو، بل هي من الجامع له[٣]، فليعدله القارئ الكريم في نسخته من النشر، وإليك الطرق: طريق النقاش عن ابن شاذان، وطريق بكار عن الصواف، والنقاش عن الصواف.

وأما ما سكت عنه: فمن طريق القاسم بن نصر عن ابن الهيثم، فلم يذكر الجامع ضمن الكتب، في مبحث الطرق، وهي طريق النشر[٤]، ومن طريق الطلحي عن خلاد أيضاً لم يذكر ابن الجزري كتاب الجامع، ضمن الكتب، وكلا الطريقين من النشر[٥]، والجامع له.[٦]

الإمام الكسائي رواية الدوري طريق أبي عثمان: فمن طريق الشذائي سكت ابن الجزري عن هذه الطريق من الجامع[٧]، وهي طريق النشر[٨].

أما رواية أبي الحارث طريق سلمة: فمن طريق ثعلب، سكت عنها من الجامع[٩]، وهي طريق النشر[١٠].

---

(١) ١٥٩/١.
(٢) ١/ ١٦٠.
(٣) ورقة: ٦٩.
(٤) ١٦١/١.
(٥) ١٦٣/١.
(٦) ورقة: ٩٠.
(٧) ورقة: ٧٦
(٨) ١٧١/١.
(٩) ورقة: ٧٩.
(١٠) ١٦٩/١.

الرابع عشر : كتاب الروضة للمالكي:

الإمام ابن عامر رواية ابن ذكوان طريق الأخفش: فمن طريق العلاف عن النقاش سكت عنها ابن الجزري من الروضة[١]، وهي طريق النشر[٢].

الإمام ابن كثير رواية البزي طريق النقاش: فمن طريق النهرواني : أسندها ابن الجزري في نشره[٣] من الروضة لأبي علي، وهو سهو، إذ لا يوجد في الروضة[٤] طريق النهرواني عن النقاش عن أبي ربيعة، بل فيه النهرواني عن هبة الله عن أبي ربيعة، فهذه الطريق خارجة عن طريق النشر. ولم ينبه الأزميري على ذلك، وعند تحريره مسألة ﴿ يُعَذِّبُ مَن ﴾ [٥] استثنى رواية النهرواني فقال :"وروى أبو ربيعة في غير رواية النهرواني بالإظهار". [٦]

قلت: لأنه، لم يجد في الروضة ذكراً للنهرواني مطلقاً، ولكن لما ذكره ابن الجزري في نشره تبعه واستثناه عند توزيع الخلاف في هذه المسألة، ثم بعد ذلك لم ينسب له، ولا رواية واحدة في جميع قراءة ابن كثير من طريق أبي ربيعة، فهو دليل على سهو ابن الجزري، وإلا لأثبت أو أشار ولو بخلاف واحد.

الخامس عشر : كتاب غاية الاختصار للعطار:

الإمام ابن كثير رواية البزي طريق النقاش: فمن طريق الحمامي سكت عنها

(١) ١/ ١٤٢.
(٢) ١/ ١٤٠.
(٣) ١/ ١١٦.
(٤) الروضة: ١/ ١٣٧.
(٥) المائدة :٤٠.
(٦) التحريرات ص ٩٢.

ابن الجزري من التلخيص[١]، وهي من طرق النشر[٢]، أما رواية ابن مجاهد طريق المؤدب: والتي أسندها ابن الجزري في النشر[٣] فليست من غاية الاختصار[٤].

السادس عشر: كتاب جامع البيان للداني:

الإمام الكسائي رواية أبي الحارث، طريق سلمة: سكت ابن الجزري عن هذه الطريق فلم يذكرها في نشره من الجامع[٥] وهي طريق النشر[٦].

السابع عشر : كتاب الهادي لابن سفيان:

الإمام نافع رواية ورش طريق ابن سيف: من طريق ابن غلبون هي كذلك طريق الهادي[٧] وسكت عنها في النشر وهي من طرقه فيه[٨].

الثامن عشر : كتاب مفردة ابن الفحام:

الإمام يعقوب رواية رويس طريق النخاس: فمن طريق الكارزيني سكت ابن الجزري عنها في المفردة[٩] وهي من طرق النشر[١٠].

---

(١) ١/ ٦٥.

(٢) ١/ ١١٥.

(٣) ١/ ١١٨.

(٤) ١/ ٩٧.

(٥) الجامع ١/ ٣٨٥.

(٦) النشر ١/ ١٦٩.

(٧) ص. ٨٢.

(٨) النشر ١/١٠٨.

(٩) ص ١٠٥.

(١٠) ١/ ١٨٢.

التاسع عشر : كتاب التبصرة لمكي:

الإمام نافع رواية ورش طريق الأزرق: فمن طريق أبي مروان الشامي[١] عن ابن سيف سكت الجزري من كتاب التبصرة[٢]، وهي من طرق النشر[٣].

العشرون : كتاب التذكرة لطاهر بن غلبون:

الإمام نافع رواية ورش طريق الأزرق: فمن طريق قراءته على والده على أبي مروان على ابن سيف، سكت ابن الجزري عنها من التذكرة[٤]، وهي طريق النشر[٥] .

الإمام حمزة رواية خلاد طريق ابن الهيثم: فمن طريق القاسم بن نصر، أسندها ابن الجزري في نشره من طريق الداني[٦]. وسكت عن التذكرة[٧] وهي طريق النشر.

الواحد والعشرون : كتاب الكنز للواسطي:

لم يسند الإمام ابن الجزري كتاب الكنز لأي طريق في مبحث الطرق، رغم أنه ذكره مع الكتب التي روى عنها كما تقدم وعند النظر في أسانيده

(١) إبراهيم بن محمد بن مروان، الغاية ١/ ٢٦.
(٢) ١/ ٣٠
(٣) ١/ ١٠٩.
(٤) ١/ ١٩.
(٥) ١/ ١٠٩.
(٦) ١/ ١٦١.
(٧) ١/ ٤٥.

وجدتها كلها موافقة للنشر، ما عدا ما زاد على طرق النشر، وسكت الإمام عن كل هذه الطرق عن الأئمة العشرة[1].

الثاني والعشرون: كتاب الكفاية الكبرى للقلانسي :

الإمام نافع طريق أبي نشيط طرق ابن بويان: فمن طريق الفرضي سكت النشر عن هذه الطريق من الكفاية[2]، وهي من طرق النشر[3].

الإمام ابن عامر طريق الصوري: فمن طريق المطوعي سكت عنها صاحب النشر من الكفاية[4]، وهي طريق النشر.[5]

الإمام حمزة رواية خلف طريق ابن مقسم : فمن طريق الحمامي أسندها ابن الجزري من طريق الإرشادين له في نشره،[6] وسكت عن الكفاية وهي طريقه فيه[7].

الإمام الكسائي طريق أبي الحارث طريق الطوسي عن القنطري: فمن طريق النهرواني أسندها ابن الجزري من الكفاية الكبرى في نشره[8] وهو سهو، فليس في الكفاية هذه الطريق .

الإمام خلف العاشر رواية ادريس: فمن طريق الشطي سكت عنها ابن

(١) الكنز، ص ١٦ – ٣٥.
(٢) ص ٣٠.
(٣) ١/ ١١٥.
(٤) ص ٣٣.
(٥) ١/ ١١٥.
(٦) ١/ ١٠٠.
(٧) ص ٤١.
(٨) ١/ ١٤٣.

الجزري من الكفاية[١]، وهي من طرق النشر [٢].

الإمام أبو عمرو البصري رواية السوسي طريق ابن حبش: فمن طريق القاضي أبي العلاء أسندها ابن الجزري من الكفاية[٣]، وهي من طرق النشر، وهو سهو، فهذه الطريق ليست من الكفاية[٤]، وأظنها من كتاب الإرشاد المفقود.

الثالث والعشرون : كتاب الإرشاد لأبي العز:

الإمام نافع رواية قالون طريق الحلواني طريق هبة الله، فمن طريق النهرواني سكت عنها عن ابن الجزري، من الإرشاد[٥]، وهي طريق النشر[٦].

الإمام البصري رواية الدوري طريق ابن فرح: فمن طريق النهرواني عن زيد سكت عنها من الإرشاد[٧]، وهي طريق النشر، وأسندها من الكفاية فقط.[٨]

الرابع والعشرون : كتاب الإشارة للعراقي:

الإمام أبو عمرو البصري رواية الدوري عن طريق أبي الزعراء: فمن طريق

(١) ص ١٢٨.
(٢) النشر ١/ ١٨٩.
(٣) ١/ ١٠٤
(٤) ١/ ١٢٩
(٥) ص ١٢٨.
(٦) ١/ ١٠٤.
(٧) ١/ ١٢٣
(٨) ورقة : ٤

ابن مجاهد سكت ابن الجزري عن ذكر كتاب الإشارة[1] وهي طريق النشر[2].

الإمام ابن كثير رواية البزي طريق أبي ربيعة من طريق النقاش: سكت ابن الجزري عن ذكر كتاب الإشارة[3]، وهي طريق النشر[4].

الإمام نافع رواية قالون طريق أبي نشيط من طريق ابن بويان: سكت النشر عن ذكر كتاب الإشارة[5]، وهي من طرق النشر[6].

الإمام عاصم رواية شعبة طريق شعيب: فمن طريق نفطويه سكت ابن الجزري عن ذكر كتاب الإشارة[7]، وهو من طريق النشر[8].

وأما طريق أبي حمدون: من طريق أبي عون الواسطي فسكت عنها من كتاب الإشارة[9] وهو طريق النشر[10].

الإمام حمزة رواية خلاد من طريقي الشنبوذي، والصواف عن الوزان كلاهما

---

(١) ١/ ١١٥

(٢) ١/ ١٠٠

(٣) ورقة : ٥.

(٤) ١/ ١١٥.

(٥) ورقة : ٧.

(٦) ١/ ١٠٠

(٧) ورقة: ٩

(٨) ١/ ١٤٨..

(٩) ١/ ١٤٨.

(١٠) ورقة : ١٠.

من طريق النشر[١]، سكت عنهما من الإشارة[٢].

الخامس والعشرون : كتاب المنتهى للخزاعي:

سكت الإمام ابن الجزري عن كل الطرق من كتاب الخزاعي، رغم أنه ذكره في الكتب التي روى عنها[٣]، وأما الطرق ا لمسكوت عنها كالتالي:

من رواية ورش: طريق الأزرق: فمن طريق الخزاعي عن أبي عدي عن سيف، وكذا طريق الأهناسي عن ابن سيف، وطريق ابن شنبوذ عن النحاس، وطريق الأهناسي عن النحاس[٤].

ومن رواية قالون: فمن طريق أبي نشيط، ومن طريق الحلواني عن المنقي، وعن النقاش[٥].

ومن رواية قنبل: طريق السامري عن مجاهد[٦].

ومن رواية ابن ذكوان طريق الأخفش من طريق الأخرم، ومن طريق الصوري من طريقين المطوعي والداجوني[٧].

ومن رواية هشام طريق ابن عبدان طريق السامري[٨].

---

(١) ١/ ٩٣.

(٢) المنتهى ص ١٢٠، والنشر، ١/ ١٠٦-١٠٨.

(٣) المنتهى ص ١٢٧، والنشر ١/ ٩٩ -١٠٢.

(٤) المنتهى ص ٩٩، والنشر ١/ ١١٧.

(٥) المنتهى ص ١٠١، وا لنشر ١/ ١٤١.

(٦) المنتهى ص ١٠٢، والنشر ١/ ١٣٥.

(٧) المنتهى ص ١٠٣، والنشر ١/ ١٣١.

(٨) المنتهى ص ١٠٧، والنشر ١/ ١٤٧.

ومن رواية السوسي طريق ابن جرير، ومن رواية الدوري طريق ابن فرح، وطريق أبي الزعراء عن السامري عن مجاهد[1].

وأما رواية شعبة فمن طريق شعيب طريق القافلائي، وكذا طريق الواسطي عن شعيب. [2]

وكذا نفطويه عن شعيب، وأما طريق أبي حمدون فمن طريق الكتاني على بكار، على الصواف[3].

وأما حفص طريق عبيد: فمن طريق الهاشمي عن الأشنائي، ومن طريق عمرو : طريق الخليل عن الفيل[4].

وأما رواية خلف فمن طريق المطوعي عن إدريس[5]، وكذا طريق الآدمي عن عثمان[6].

وأما رواية خلاد، فمن طريق السامري عن ابن شنبوذ عن ابن شاذان[7]،

وأما رواية أبي الحارث فمن طريق الضراب عن القنطري[8].

وأما رواية رويس طريق النحاس، وأما روح فمن طريق خشنام على

---

(١) المنتهى ص ١٠٣، والنشر ١/ ١٣٥.

(٢) المنتهى ص١٠٧، والنشر ١/ ١٤٧.

(٣) المنتهى ص ١٠٧، والنشر ١/ ١٤٨.

(٤) المنتهى ص ١٠٩، والنشر ١/ ١٥٣.

(٥) المنتهى ص ١١٢، والنشر ١/ ١٥٨.

(٦) المنتهى ص ١٦٣، والنشر ١/ ١٦١.

(٧) ص ١٦٣، والنشر ١/ ١٦١.

(٨) ص ١٨٠، والنشر ١/ ١٦٩.

المعدل[١] .

وأما رواية إسحاق فمن طريق ابن أبي عمر النقاش، وأما رواية إدريس فمن طريق المطوعي عن إدريس[٢] .

السادس والعشرون: كتاب التجريد لابن الفحام:

الإمام نافع رواية ورش طريق الأزرق: فمن طريق أبي غانم عن أبي هلال سكت عنها ابن الجزري من التجريد[٣] وهي في ا لنشر. [٤]

الإمام ابن كثير رواية قالون طريق الحلواني : فمن طريق الفرضي، سكت عنها في التجريد[٥] وهي في طرق النشر[٦].

الإمام عاصم رواية حفص طريق عمرو من طريق زرعان: فمن طريق السونجردي سكت عنها ابن الجزري من التجريد[٧]، وهي من طرق النشر.[٨]

الإمام حمزة رواية خلاد طريق الصواف: فمن طريق النقاش فهذه الطريق

(١) ص ١٩١، والنشر ١/ ١٦٨.

(٢) ص ١٩١-١٩٦، والنشر ١/ ١٨١ – و ١/ ١٨٨ .

(٣) ص ٩٣.

(٤) ١/ ١٠٧.

(٥) ص ٩٧.

(٦) ١/ ١٠٠.

(٧) ص ١١٣.

(٨) ١/ ١٥٤.

سكت عنها ابن الجزري من التجريد[1]، وهي من طرق النشر[2].

الإمام الكسائي عن رواية الدوري طريق أبي عثمان :

فمن طريق السوسنجردي عن ابن أبي هاشم سكت عنها من التجريد[3]، وهي من طرق النشر[4].

السابع والعشرون: كتاب الروضة للمعدل:

الإمام نافع رواية ورش طريق الأزرق: فمن طريق ابن سيف من طريقين : أبي عدي وابن مروان الشامي، ومن طريق النحاس من طريقين أيضاً : طريق الخولاني، وأبي غانم عن ابن هلال، فسكت عنها ابن الجزري من الروضة[5]، وهي طرق النشر[6].

وأما رواية قالون طريق أبي نشيط طريق ابن بويان : فمن طريق الفرضي.

وأما طريق الحلواني طريق الرازي : فمن طريق الحمامي، وسكت عن ذلك ابن الجزري من الروضة[7]، وهي من طرق النشر[8].

الإمام أبو جعفر رواية ابن وردان : فمن طريق النهرواني، سكت ابن

---

(١) ص ١١٦.

(٢) ١/ ١٦٢.

(٣) ص ١١٨.

(٤) ١/ ١٧١.

(٥) ورقة: ٤٢.

(٦) ١/ ١٠٨.

(٧) ورقة ٤٦.

(٨) ١/ ١٠٨.

الجزري عن الروضة[١]، وهي طرق النشر[٢].

وأما رواية قنبل طريق ابن مجاهد: فمن طريق السامري، سكت عنها ابن الجزري من الروضة[٣]، وهي طريقه في النشر[٤] .

وأما طريق ابن شنبوذ : فمن طريقين : المعافا، والشنبوذي، سكت ابن الجزري عنهما من الروضة[٥]، وهما طريقه في النشر[٦]:

الإمام ابن عامر رواية ابن ذكوان، طريق الأخفش : فمن طريق ابن الأخرم من طريق الداني، وكذا طريق النقاش طريق الحمامي ، وطريق أبي سهل صالح عن الأخرم سكت ابن الجزري عن هذه الطرق الثلاثة من الروضة[٧]، وهي طريقه في النشر[٨] .

وأما طريق الصوري طريق الداجوني: فمن طريق زيد، سكت عنها ابن الجزري من الروضة[٩]، وهي طريق النشر[١٠].

وأما رواية هشام طريق الحلواني طريق الجمال: فمن طريق النقاش سكت عنها

---

(١) ورقة : ٥٠

(٢) ١/ ١٠٣.

(٣) ورقة ٥٤.

(٤) ١/ ١٧٤.

(٥) ورقة : ٥٤.

(٦) ١/ ١١٣.

(٧) ورقة : ٥٨.

(٨) ١/ ١١٩.

(٩) ورقة : ٥٨.

(١٠) ١/ ١٣٩.

ابن الجزري من الروضة[1]، وهي طريق النشر، لذا قال المتولي عن هذه الطريق: "لكنه – أي ابن الجزري – لم يسنده في النشر، وذكرناه ليمكن اتصال السند"[2].

الإمام أبو عمرو البصري طريق الدوري طريق مجاهد: فمن طريق السامري، طريق المجاهدي سكت عنها من الروضة[3]، وهي في النشر[4].

وأما طريق المعدل عن أبي الزعراء : فمن طريق السامري كذا سكت عنها من الروضة[5]، وهي طريق في النشر[6] .

أما رواية السوسي طريق ابن جرير : فمن طريق المظفر عن ابن حبش سكت عن الروضة[7]، وهي طريق النشر[8] .

الإمام يعقوب الحضرمي رواية رويس : فمن طريق الحمامي عن النخاس سكت عنها من الروضة[9]، وهي طريق النشر[10] .

وأما طريق روحٍ طريق المعدل: فمن طريق قراءة شيوخه الثلاثة، على ابن

(١) ورقة : ٦٠.

(٢) الروض ٢٠٢.

(٣) ورقة : ٦٤.

(٤) ١/ ١٢٤.

(٥) ورقة ٦٤.

(٦) ١/ ١٢٤.

(٧) ورقة : ٦٢.

(٨) ١/ ١٣١.

(٩) ورقة ٧١.

(١٠) ١/ ١٨٠.

خشنام سكت ابن الجزري عن ذكر كتاب الروضة. ضمن الكتب التي أوردها في نشره. [١]

الإمام عاصم رواية شعبة طريق يحيى: فمن طريق الحمامي عن بكار، ومن طريق العليمي: فمن طريق الحمامي عن ابن خليع سكت عن كتاب الروضة[٢]، وهي طرق النشر [٣].

وأما رواية حفص طريق عبيد :

فمن طريق الحمامي عن أبي طاهر، وأما طريق عمرو: فمن طريق الحمامي عن زرعان، وكذا طريق الحمامي عن الولي عن الفيل سكت ابن الجزري عن هذه الطرق من الروضة[٤]، وهي طرق النشر[٥].

الإمام حمزة رواية خلف طريق ابن مقسم: فمن طريق الحمامي، سكت ابن الجزري من الروضة[٦]، وهي طريق النشر[٧].

وأما رواية خلاد : فمن طريق الحمامي عن بكار، وكذا طريق القاسم بن نصر عن ابن الهيثم سكت عنها من الروضة[٨]. وهي طريق النشر[٩].

(١) ورقة ٧١، والنشر ١/ ١٨٤.

(٢) ورقة ٧٥.

(٣) ١/ ١٤٦.

(٤) ورقة : ٧٧.

(٥) ١/ ١٥٢.

(٦) ورقة :٨١.

(٧) ١/ ١٥٨.

(٨) ورقة : ٨٢.

(٩) ١/ ١٦١.

الإمام الكسائي طريق الدوري طريق أبي عثمان: فمن طريق الحمامي عن أبي طاهر سكت عنها من الروضة[١]، وهي طريق النشر[٢].

وأما طريق أبي الحارث طريق القنطري: فمن طريق السوسنجردي عن النقاش، وكذا طريق الحمامي عن النقاش سكت عن هذه الطريقين من الروضة[٣]، وهي طريق النشر[٤].

الثامن والعشرون : كتاب المصباح للشهرزوري:

الإمام نافع رواية ورش طريق الأصبهاني طريق ابن سيف: فمن طريق ابن نفيس عن أبي عدي سكت عنها ابن الجزري من المصباح[٥]، وهي طريقه في النشر[٦].

التاسع والعشرون: كتاب الإقناع لابن الباذش:

ذكر ابن الجزري هذا الكتاب ضمن الكتب التي روى منها القراءات العشر لكنه سكت عن إيراد طرقه في النشر، وكل طرق الإقناع من النشر لذا سأشير لها بشكل مختصر:

فمن طريق الأزرق: طريق أبي غانم، وكذا طريق أبي مروان، ولقالون: من طريق صالح بن إدريس وكذا طريق ابن الحباب، وكذا طريق المالكي عن

---

(١) ورقة : ٨٦.

(٢) ١/ ١٧٠.

(٣) ورقة ٨٩.

(٤) ١/ ١٦٨.

(٥) ١/ ١٩٥.

(٦) ١/ ١٨٠.

الفرضي، ولقنبل من طريق : ابن مجاهد وللبزي من طريق أبي ربيعة، وللدوري عن أبي عمرو طريق أبي الزعراء طريق الشنبوذي عن مجاهد وطريق المجاهدي عن مجاهد، وللسوسي طريق ابن جرير من طريق السامري، وكذا طريق المظفر عن ابن حبش، ولابن ذكوان طريق الأخفش من طريق النقاش من طريق النحوي، وكذا طريق الزيدي عن النقاش، وكذا من طريق الأخرم عن الأخفش، وكذا الشذائي عن الأخرم من طريق الكارزيني، وكذا طريق أبي سهل صالح، وأما هشام طريق الحلواني من طريق أبي الفتح، وابن نفيس وأما شعبة طريق يحيى فمن طريق القافلائي وكذا من طريق نفطويه عن شعيب وأما عبيد عن حفص فمن طريق طاهر عن الهاشمي، وكذا من طريق الكارزيني عن الهاشمي.

وأما خلف عن حمزة فمن طريق الحرتكي وهي طريق ابن غلبون، وأما طريق ابن مقسم فمن طريق الحمامي، والطبري، وكذا طريق المصاحفي عن ابن بويان.

وأما خلاد فمن طريق السامري، ومن طريق ابن شاذان طريق النقاش، وكذا طريق ابن الهيثم من طريق ابن غلبون.

وأما أبو الحارث طريق محمد بن يحيى: فمن طريق زيد، وبكار عن البطي . وكذا طريق السوسنجردي عن النقاش عن القنطري، فكل هذه الطرق من الإقناع[١]، سكت عنها ابن الجزري وهي في النشر[٢] .

---

(١) ص ٢٤ – ٨٩.

(٢) ١/ ٩٩ – ١٦٧.

الثلاثون : طرق الإمام الشاطبي :

الإمام نافع رواية ورش طريق الأزرق طريق ابن سيف: فمن طريق الطرسوسي عن ابن عدي:

الإمام ابن كثير رواية قنبل : من طريق السامري.

الإمام البصري رواية السوسي: فمن طريق الطرسوسي عن السامري.

الإمام حمزة رواية خلاد طريق القاسم عن ابن الهيثم [1].

---

(١) انظر أسانيد الشاطبي كما ذكرها الإمام السخاوي في فتح الوصيد ١/ ١١٨.

الخاتمة

بعد الحمد لله، والصلاة والسلام على نبيه ﷺ، فإنه ومن خلال هذا البحث تبين للباحث بعد الوقوف على نصوص الإمام ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر، أن الكتب التي روى الإمام ابن الجزري القراءات منها والتي أودعها كتاب النشر، منها ما سكت عنه، ولم يذكرها فيه، ومنها ما ذكره في النشر، ولم يسند لها شيئاً، ومنها ما ذكره في ثنايا كتابه، وأخذ به، وأقرأ من خلاله، ولم يذكره في خطبة الكتاب، فقام الباحث بالنظر في كل تلك المواضع وأقسام تلك الكتب، وبين منهج ابن الجزري فيها، ثم خص نوعاً منها بالبحث والطلب ألا وهو : الكتب التي سكت عنها فتبين ما يلي :

أن الكتب التي اعتمد عليها الإمام ابن الجزري في إيراده لروايات النشر جاءت على قسمين: الأول: كتب ذكرها في النشر نصاً، والثاني: ما سكت عنه وهو ما يفهم من قوله : "هذا ما حضرني من الكتب". وقد تبين للباحث بعد النظر في الأسانيد والطرق أن هذه الكتب المسكوت عنها هي من أصول النشر أيضاً وقد قابلت بين تلك الأسانيد وأسانيد النشر ووجدتها متطابقة فتبين لي أنها منها.

فلله الحمد والمنة، وبه المستعان وعليه التكلان وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التوصيات :

١- العمل على ضوء نتائج البحث السابقة بأن كل ما سكت عنه الإمام ابن الجزري من أصول وطرق هي داخلة ضمن طرقه.

فهرس المصادر

- القرآن الكريم، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية.
- الاختيار في القراءات العشر، سبط الخياط، تحقيق: د عبد العزيز السبر، مكتبة الملك فهد .
- إرشاد المتبدئ، وتذكرة المنتهي، للقلانسي، تحقيق: عمر الكبيسي، جامعة أم القرى، ١٤٠٤ ه .
- الاستكمال، لابن غلبون، تحقيق: د عبد العزيز سفر – الكويت.
- الإقناع في القراءات السبع، لابن الباذش، تحقيق د: عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى.
- بستان الهداة لابن الجندي، تحقيق د. حسين العواجي، دار الزمان.
- التبصرة، لابن فارس الخياط، تحقيق: رحاب مفيد، مكتبة الرشد.
- التجريد في القراءات السبع، لأبي القاسم الفحام، تحقيق د: ضاري الدوري دار عمار.
- تحرير النشر، للأزميري، تحقيق: خالد أبو الجود، مكتبة أضواء السلف .
- التذكرة في القراءات، لأبي الحسن بن غلبون، تحقيق د: سعيد زعيمة، دار الكتب العلمية.
- التلخيص في القراءات الثمان، لأبي معشر الطبري، تحقيق محمد حسن، الجماعة الخيرية بجدة.
- جامع ابن فارس، مخطوط، المكتبة الوطنية، فرنسا تحت رقم ٢٣١.
- جامع البيان في القراءات السبع، للداني، تحقيق جامعة الشارقة،

الإمارات العربية.

- الجامع، لأبي معشر الطبري، مخطوط، مكتبة القاهرة تحت رقم ٦٤.
- الروضة في القراءات الإحدى عشرة، تحقيق: مصطفى سلمان، العلوم والحكم.
- سوق العروس، لأبي معشر الطبري، مخطوط.
- غاية الاختصار، لأبي العلاء العطار، تحقيق د: أشرف طلعت، الجماعة الخيرية، جدة.
- غاية النهاية، لابن الجزري دار الكتب، بيروت .
- غاية النهاية، لابن الجزري، عنى به: ج. برجستراير، دار الكتب العلمية.
- الكافي في القراءات السبع، لابن شريح، تحقيق: أحمد الشافعي، دار الكتب العلمية.
- الكامل في القراءات العشر، لأبي القاسم الهذلي، تحقيق جمال الشايب.
- كتاب الإرشاد، لأبي الطيب بن غلبون تحقيق د: باسم السيد، جائزة الأمير سلطان.
- الكتاب الأوسط في القراءات، للعماني، تحقيق د: عزة حسن، دار الفكر.
- كتاب التبصرة، لمكي القيسي، دار الصحابة، مصر.
- الكفاية الكبرى، للإمام القلانسي، مراجعة: جمال شرف، دار الصحابة.
- المبسوط في القراءات العشر، لابن مهران، تحقيق: سبيع حمزة، مؤسسة علوم القرآن.
- المبهج في القراءات الثمان، لسبط الخياط، تحقيق د: وفاء عبد الله.

- المستنير في القراءات العشر، لابن سوار، تحقيق د: عمار أمين، دار البحوث – دبي.
- المصباح الزاهر، للمبارك الشهرزوري، تحقيق: تحقيق عثمان غزال، دار الحديث .
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مكتبة الرشد .
- مفردات الراغب الأصفهاني، بيروت دار الكتب .
- مفردة يعقوب، لأبى على الأهوازي، تحقيق د. عمار الددو، ط ١٤٣٠هـ.
- مفردة يعقوب، لابن الفحام، تحقيق: إيهاب فكري، أصول السلف، ط١٤٢٨ه.
- مفردة يعقوب، لابن شريح، تحقيق مهدي الجزائري، ط ١٤٣١ ه .
- مفردة يعقوب، لأبي عمرو الداني، تحقيق: د. حسين الطوبي، كنوز أشبيليا ١٤٢٩هـ
- المفيد في القراءات الثمان، للحضرمي، تحقيق: محمد الصماني، مكتبة ابن عباس.
- المنتهى، للخزاعي، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث.
- الموجز في القراءات السبعة لأبي علي الأهوازي، تحقيق عبد العظيم عمران، مكتبة أولاد الشيخ.
- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، دار الكتب – بيروت.
- الوجيز، لأبي على الأهوازي، تحقيق د: دريد حسن، دار العرب.

حاجة الفقيه إلى علوم القرآن الكريم

إعداد

د. عمر بن عبدالعزيز الدهيشي

د. عمر بن عبد العزيز الدهيشي

- الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية –كلية التربية – جامعة الملك سعود.
- حصل على درجة الماجستير من قسم الثقافة الإسلامية –كلية التربية –جامعة الملك سعود بأطروحته : (أسماء القرآن وأوصافه في القرآن الكريم).
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم القرآن الكريم وعلومه –كلية أصول الدين –جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته : (علوم القرآن من خلال الأحاديث النبوية في كتب السنة " دراسة تأصيلية ").

ملخص البحث

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الفقيه في دراسته للأحكام الشرعية، ومعالجته للأقوال المحكية، والاستدلال عليها والترجيح بينها، بحاجة إلى علم ودراية بعلوم أساسية كي يصح منه الدليل ويسلم له الاستدلال، ومن تلك العلوم علم (علوم القرآن)، وفي هذا البحث قصدت ذكر جملة من العلوم المتعلقة بعلوم القرآن هي من أهم ما يحتاجه الفقيه ولا يمكن أن يستغني عنها المجتهد، مقتصراً على العلوم التي لا يمكن تلقيها ابتداء ومجموعاً كعلمٍ مستقلٍ إلا من خلال الرجوع إلى هذا العلم وكتبه المتخصصة، واشتمل البحث على :

المبحث الأول: حاجة الفقيه إلى علم القراءات القرآنية.

المبحث الثاني: حاجة الفقيه إلى علم أسباب النزول.

المبحث الثالث: حاجة الفقيه إلى علم مشكل القرآن الكريم.

المبحث الرابع: حاجة الفقيه إلى علم فضائل القرآن.

المبحث الخامس: حاجة الفقيه إلى علم خواص القرآن.

المبحث السادس: حاجة الفقيه إلى علم التفسير، وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: أصول التفسير.

المطلب الثاني: التفسير.

المبحث السابع: حاجة الفقيه إلى علم الاستنباط، وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: الاستنباط.

المطلب الثاني: الاستشهاد.

المبحث الثامن: حاجة الفقيه إلى علم الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين، والمفهوم.

الخاتمة.

الفهارس.

والله أسأل التوفيق والتسديد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

Abstract

Praise be to Allah, and peace and blessings to the last prophet (peace be upon him).

In order to study religious rulings, tackle narrated sayings of Prophet Muhammad, deduce from them and decide on a preference, an Islamic jurist needs to be aptly knowledgeable in certain basic sciences, one of which is the Science of the Holy Qur'an. In this research, I list a variety of sciences pertinent to the Qur'anic science. They are vital to any jurist, and indispensable to any Mujtahid (a qualified scholar). I have limited my investigation to the sciences that cannot be distinguished as separate fields of study unless we go back to the original Science of Qur'an and its specialized books. The research includes the following:

First section: The jurist’s need to the Science of Qur'anic Readings.

Second section: The jurist’s need to the Science of the Occasions of Revelation.

Third section: The jurist’s need to the Science of Problematic Issues in the Holy Qur'an.

Fourth section: The jurist’s need to the Science of the Virtues of Qur'an.

Fifth section: The jurist’s need to the Science of the Features Specific to the Qur'an.

Sixth section: The jurist’s need to the Science of Explicating the Holy Qur'an. This is divided into two issues; ١- The Basics of Explication, and ٢- Explication.

Seventh section: The jurist’s need to the Science of Deduction. This is divided into two branches; ١- Deduction, and ٢- Quotation.

Eighth section: The jurist’s need to the Science of the Abrogating and Abrogated, the General and the Special, the Absolute and the Restricted, the Concise, the Explained and the Understood [verses of the Qur'an].

Conclusion.

References.

May Allah grant us success. Peace be upon our prophet Muhammad.

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربنا، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اللهم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فالعلوم الشرعية منظومة متكاملة مترابطة، لا يغني علم عن علم ولا يقوم فن مقام آخر، فهو كاللبنات يرص بعضها بعضاً حتى يكتمل البناء وتتكامل العلوم في العالِم الشرعي، فيتأهل للإفتاء ويتصدر للتأليف ويتخير من العلوم الأخرى ما طاب وأفاد مع توظيف وتضمين، وتصنيف وتحرير؛ ولذا بز علماؤنا الأوائل وبعض علمائنا المعاصرين وعم نفعهم وظهر فضلهم وبان تراثهم فلا يملك المؤرخ والمدون للسير إلا أن يدبج سيرته بجل العلوم الشرعية، وشتى الفنون الإسلامية، واصفاً إياه بها ومظهراً تمكنه منها، فهو عالم بالقراءات متقن للتفسير حافظ للحديث بحر في الفقه مجيد للأصول متفنن في الفروع.. ومن ذلك ترجمة ابن عبد الهادي [٧٤٤هـ] (١) لشيخه شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمهما الله، حيث قال: (الشيخ الإمام الرباني إمام الأئمة ومفتي الأمة وبحر العلوم سيد الحفاظ

---

(١) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢)، وابن عبد الهادي هو: محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبيلي مهر في الحديث والفقه والأصول والعربية، تردد على شيخ الإسلام ابن تيمية ولازمه، له كتاب الأحكام والمحرر في الحديث والرد على السبكي في رده على ابن تيمية وغير ذلك، توفي دون سن الأربعين سنة ٧٤٤هـ.ينظر: شذارات الذهب (٦/ ١٤٠)، (البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع (٦٢٤).

وفارس المعاني والألفاظ، فريد العصر وقريع الدهر، شيخ الإسلام بركة الأنام وعلامة الزمان وترجمان القرآن، علم الزهاد وأوحد العباد قامع المبتدعين وآخر المجتهدين..) .

وقال الشوكاني [١٢٥٠هـ] (١) في ترجمة الإمام السيوطي: (هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عمر بن خليل بن نصر بن الخضر بن الهمام الجلال الأسيوطي(٢) الأصل..الإمام الكبير صاحب التصانيف...أجاز له أكابر علماء عصره من سائر الأمصار، وبرز في جميع الفنون وفاق الأقران واشتهر ذكره وبعُد صيته، وصنف التصانيف المفيدة).(٣) وغيرهم كثير.

فلا ينكر حينئذ أن يُستدل بكلام المفسر على مسألة من المسائل الفقهية، أو الفقيه والأصولي في تأصيل علوم الحديث وشرحه ولا المحدث في التفسير، والعكس صحيح.

ويأتي في مقدمة العلوم الشرعية وطليعة الفنون الإسلامية العلم بعلوم القرآن، فمن المعلوم أن أصول الاستدلال في العلوم الشرعية عامة

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، الفقيه المحدث المجتهد، من كبار علماء اليمن، وله مؤلفات كثيرة منها: فتح القدير، ونيل الأوطار وغيرها، توفي سنة ١٢٥٠هـ، ينظر: البدر الطالع (٢/ ٢١٤)، الأعلام (٦/ ٢٩٨).

(٢) السيوطي والأسيوطي كلاهما صحيح فكتب اللغة ومعاجم البلدان يذكرون أن في (سيوط) خمس لغات: أسيوط بضم الهمزة وفتحها، وسيوط بتثليث السين. ينظر: التحدث بنعمة الله (١٢).

(٣) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٣٣٧).

والعلوم الشرعية العملية خاصة ثلاثة: الكتاب والسنة والإجماع وغيرها مختلف فيه، ومرد الأدلة الشرعية الصحيحة ومرجعها إلى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ فهما أصل الدين وأساس الإسلام، وإن التعامل مع الأصل الأول –القرآن الكريم- لابد له من علم ودراية بالعلوم المتعلقة بهذا الكتاب العزيز حتى يصح الدليل ويستقيم الاستدلال ويتمكن الفقيه وغيره من استخراج الأحكام واستنباط الدلالات، فـ(كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله). [1]

والفقيه في تعامله مع الأحكام الشرعية العملية واستدلالاته بآيات الأحكام وغيرها يحتاج إلى معرفة علوم وموضوعات تتعلق بعلم علوم القرآن ودرسها والرجوع إليها، وقد سأل إمام دار الهجرة نافعاً عن البسملة فقال: السنة الجهر بها، فسلَّم إليه وقال: كل علم يسأل عنه أهله)[2].

وقد ضَمّ البحث أهم العلوم التي يحتاجها الفقيه من علوم القرآن ولا يمكن أن يستغني عنها المجتهد مع بيان أوجه الحاجة إلى ذات العلم.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) قاله الأصفهاني، ونقل كلامه السيوطي في الإتقان (٦/ ٢٢٧٣)، وينظر: مقدمة جامع التفاسير (٩١).

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٢١١).

حدود البحث.

الفقيـه في دراسـته للأحكـام الـشرعية، ومعالجتـه للأقـوال المحكيـة، والاستدلال عليها والترجيح بينها، بحاجة إلى علـم ودرايـة بعلـوم أساسـية كي يصح منه الدليل ويسلم له الاستدلال، ومن تلـك العلـوم علـم (علـوم القرآن)، وفي هذا البحث قصدت ذكر جملة من العلوم المتعلقة بعلوم القرآن هي أهم ما يحتاجه الفقيه ولا يمكن أن يستغني عنها المجتهـد، مقتـصراً عـلى العلوم التي لا يمكـن تلقيهـا ابتـداء ومجموعـاً كعلـمٍ مـستقلٍ إلا مـن خـلال الرجوع إلى هذا العلم وكتبه المتخصصة.

وبما أن العلوم الشرعية رحم فـيما بينهـا فهنـاك علـوم متعلقـة بـالقرآن الكريم هي ضمن موضوعات وأبواب أصول الفقه ابتداء فهـي مـن العلـوم المشتركة بـين العِلْمـين، وعليـه فـسأذكرها بـصورة مقتـضبة لعلـم الفقيـه بهـا وتطبيقاتها، وإن كان هنـاك زيـادة مـسائل في العلـم تتعلـق بـذات الفـن عنـد أهل كل فن -وهي قليلة- إلا أنها خارج نطاق البحث.

أهداف البحث:

١- إبراز تكامل العلوم الشرعية وحاجة كل علم إلى غيره.

٢- تعداد أهم العلوم التي يحتاجها الفقيه خصوصاً من علوم القرآن.

٣- بيان أوجه الحاجة للعلم مع ذكر الدليل وبيان الاستدلال.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثمانية مباحث:

المقدمة، وتشتمل على أهمية الموضوع وأهدافه وخطة البحث ومنهجه.

منهج البحث:

١- جمع أهم العلوم المتعلقة بعلم علوم القرآن التي يحتاجها الفقيه من خلال قراءة واستعراض المصنفات الفقهية المتنوعة .

٢- استحضار تطبيقات علوم القرآن المختلفة المتعلقة بالفقه ومسائله المتعددة.

٣- التقديم بمقدمة لكل علم تبين ماهيته بصفة موجزة يتجلى من خلالها الخطوط العريضة للعلم.

٤- ذكر أوجه الحاجة الفقهية للعلم من خلال نقاط متنوعة متضمنة الأدلة النقلية، أو المقولات العلمية، أو الأمثلة الفقهية للتدليل على بيان الحاجة.

٥- سأوثق المادة العلمية كما يلي:

- عزو الآيات إلى سورها بأرقامها.
- توثيق القراءات بعزوها إلى مصادرها المعتمدة.
- تخريج الأحاديث الواردة.
- الاكتفاء بذكر تاريخ الوفاة للأعلام الواردة أسماؤهم في ثنايا البحث، والترجمة المختصرة لغير المشهورين.

هذه أبرز ملامح منهج البحث، ومع هذا الجهد والحرص لا أدعي الكمال؛ إذ النقص ملازم للبشر لا ينفكون عنه فما كان من توفيق وصواب فمن الله وحده وما كان من نقص وخطأ فهو من نفسي والشيطان وأستغفر الله إنه كان غفارا.

تمهيد

إن الكشف عن المصطلحات بإرجاعها إلى أصلها اللغوي ومعرفة دلالاتها الاشتقاقية، والتعريف بالمسميات وبيان ماهيتها، ذو أهمية في البحث العلمي؛ إذ هو الكاشف عن المراد والمبين للمقصود والموضح للأهداف، وعليه فهذه لمحات عن معنى علوم القرآن وبيان لمسمى الفقيه:

- **علوم القرآن:**

إذا اعتبر عموم هذه الجملة المركبة تركيباً إضافياً، فإنه سيدخل تحت مظلتها جميع العلوم الدينية واللغوية، بل والعلوم الدنيوية مما لنا فيه مصلحة وفائدة على الصحيح، استناداً إلى قوله سبحانه وتعالى﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل]. . . وهذا فيه توسع إذ يشمل كل العلوم المستنبطة منه والمساندة له وما وردت الإشارة فيه إليه، وهو ليس مراداً هنا.

ولكن المراد هو تعريفه باعتباره فناً مدوناً، أو مصطلحاً تداوله العلماء -رحمهم الله- على مجموعة علوم متعلقة بالقرآن الكريم مرتبطة به، اصطلح على تسميتها بـ«علوم القرآن».

فمن خلال تطبيقات المتقدمين كالحارث المحاسبي [٢٤٣هـ][(١)] في

---

(١) هو الزاهد شيخ الصوفية أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي، صاحب التصانيف الزهدية، قاله عنه الذهبي: كبير القدر وقد دخل في شيء يسير من الكلام، توفي سنة ٢٤٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ١١٠).

(فهم القرآن) وابن الجوزي [٥٩٧هـ] [١] في (فنون الأفنان في عيون علوم القرآن) والزركشي [٧٩٤هـ] [٢] في (البرهان في علوم القرآن) والبلقيني [٨٢٤هـ] [٣] في (مواقع العلوم في مواقع النجوم) والسيوطي [٩١١هـ][٤] في (الإتقان في علوم القرآن) وغيرهم وجادتهم التي ساروا عليها، اجتهد العلماء المعاصرون في إيجاد تعريف جامع يجمع متفرق العلوم ويحوي مدلولاتها حتى يميز العلم عن ما سواه من سائر العلوم الشرعية، ويفصل بينه وبين العلوم المتقاطعة معه ؛حيث إنه مصطلح لم يعرِّفه الأولون، وبعد استعراض تعاريفهم[٥] والمقارنة بينها والاستفادة منها يمكن أن يقام

(١) ابن الجوزي هو: الشيخ الفاضل المسند جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، له مصنفات عديدة منها: زاد المسير، وفنون الأفنان، وغيرها كثير، توفي سنة ٦٣٠هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٥٢)، الوافي بالوفيات (٢١/ ١٤٦).

(٢) هو الإمام الفذ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر المنهاجي الزركشي، التركي الأصل الشافعي صاحب التصانيف الكثيرة، بغلت (٤٥) مصنفاً، ومنها: البرهان في علوم القرآن، التذكرة في الأحاديث المشتهرة، وغيرها، توفي سنة ٧٩٤)، ينظر: شذرات الذهب (٦/ ٣٣٥).

(٣) هو عمر بن رسلان بن نصير الكناني الشافعي البلقيني، شيخ الإسلام، إمام العصر، أبو حفص، له تصانيف في الفقه والحديث والتفسير، وحواشي على تفسير الكشاف، توفي سنة: ٨٠٥هـ، ينظر: ذيل طبقات الحفاظ (٣٦٩)، طبقات المفسرين للداودي(٣٠٨).

(٤) هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي الشافعي، المسند المحقق المدقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، منها: الإتقان في علوم القرآن، التحبير في علم التفسير وغيرها كثير، توفي سنة ٩١١هـ، ينظر: شذرات الذهب (٨/ ٥١).

(٥) كتعريف الزرقاني [١٣٦٧هـ] في مناهل العرفان ١/ ٢٨ بقوله: مباحث تتعلق بالقرآن =

ضابطان لهذا العلم ليخرج ما سواهما عن مسماه وهما : (أولاً: تاريخ القرآن الكريم، وما ينضوي تحته من نزوله وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ. . الخ. وثانياً: الوسيلة الصحيحة لفهمه على الوجه الحق، وينضوي تحت ذلك علوم اللغة والإعجاز والمحكم والمتشابه»[1]، ويضاف إلى الضابط الثاني: وتلاوته تلاوة صحيحة؛ليدخل ضمنها التجويد وما يتعلق به، والقراءات. . .

ومن خلال الضابطين يمكن أن يقال في تعريف علوم القرآن هو : علوم - مباحث - تتعلق بتاريخ القرآن الكريم، وما كان وسيلة لفهمه وتلاوته على الوجه الصحيح.

- **الفقيه:**

المراد بالفقيه هنا المتنسب إلى علم الفقه الاصطلاحي ؛إذ الفقه في لسان الشرع أشمل وأعم فهو يشمل الفقه الاصطلاحي وسائر العلوم الشرعية، ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة]، وفي الحديث المتفق عليه عن معاوية رضي الله عنه قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[2] قال ابن حجر

= الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه) ونحواً منه تعريف د.محمد أبو شهبة[١٤٠٣هـ]، ود.فهد الرومي، [ينظر: المدخل لدراسة القرآن ٢٥، دراسات في علوم القرآن٣٠].

(١) مدخل إلى علوم القرآن وتفسيره لفاروق حمادة (٦-٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب: العلم، باب :من يرد الله به خيرا يفقه في الدين ح[٧١]، ومسلم =

[٨٥٢هـ] [١] : (ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع فقد حرم الخير...وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم)[٢] ولذا سمى بعض السلف علم العقائد بالفقه الأكبر[٣].

وعليه يحسن التعريف بالفقه اصطلاحاً قبل بيان ماهية الفقيه، والفقه في الاصطلاح هو: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية[٤].

والفقيه نسبة إلى المتخصص والعالم بالفقه الاصطلاحي وهو: من عرف جملة غالبة من الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية، فلا يطلق الفقيه على من عرفها على غير هذه الصفة، كما لا يطلق اسم الفقيه على محدث ولا مفسر ولا متكلم ولا نحوي ونحوهم. [٥]

= في كتاب:الزكاة ح[١٠٣٧].

(١) هو الحافظ المحقق شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، له مصنفات كثيرة، وفي طليعتها: فتح الباري، والإحكام لما وقع في القرآن من الإبهام، توفي سنة ٨٥٢هـ، ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٣٣٠).

(٢) فتح الباري (١/ ٢١٧).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٧).

(٤) ينظر: التمهيد للأسنوي (٥٠)، إرشاد الفحول (٣)، التعريفات (٢١٦).

(٥) ينظر: روضة الناظر (١/ ٦٠)، وشرح الكوكب المنير لابن النجار (١/ ٤٢).

حاجة الفقيه إلى علوم القرآن.

من المعلوم أن أصول الاستدلال في العلوم الشرعية عامة والعلوم الشرعية العملية خاصة ثلاثة: الكتاب والسنة والإجماع وغيرها مختلف فيه، ومرد الأدلة الشرعية الصحيحة ومرجعها إلى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ فهما أصل الدين وأساس الإسلام، وإن التعامل مع الأصل الأول -القرآن الكريم- لابد له من علم ودراية بالعلوم المتعلقة بهذا الكتاب العزيز حتى يصح الدليل ويستقيم الاستدلال ويتمكن الفقيه وغيره من استخراج الأحكام واستنباط الدلالات.

وفي المباحث التالية إيراد لأهم العلوم التي يحتاجها الفقيه في استدلالاته الفقهية واستنباطاته العلمية من الكتاب العزيز ..

المبحث الأول: حاجة الفقيه إلى علم القراءات القرآنية

القراءات القرآنية توقيفية أخذها الصحابة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ ونقلها جماعة عن جماعة من لدن النبي ﷺ إلى وقتنا الحاضر، فمصدر القراءات هو الوحي، وثبت بالأدلة القطعية أن القرآن لفظه ومعناه من عند الله تعالى ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) ﴾[النحل].

والقراءات من جملة الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وقد بين النبي ﷺ مصدرها في قوله : « أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»[(١)].

وعرف العلماء القراءات بأنها: (علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، معزواً لناقله). [(٢)]

وعلما القراءات والفقه لهما تعلق مباشر بالأحكام الشرعية والآداب المرعية، ومن جمع بين هذين العلمين من العلماء بز أقرانه وعلا كعبه؛ ولذا أثنوا على بعض العلماء في الجمع بينهما قال الإمام أبو حنيفة للإمام حمزة الزيات[(٣)] أحد القراء السبعة: (شيئان غلبتنا عليهما لا ننازعك فيهما: القرآن

---

(١) رواه البخاري في كتاب:فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف ح[٤٩٩١]، ومسلم في كتاب: فضائل القرآن ح[١٩٠٥].

(٢) وهو تعريف ابن الجزري، ينظر: منجد المقرئين(٤٩)، وعرف بغير ذلك إلا أنها تعاريف متقاربة.

(٣) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات، الإمام أبو عمارة الكوفي، تصدر للإقراء =

والفرائض) [١].

وتبرز حاجة الفقيه إلى علم القراءات من خلال ما يلي :

١- أن الفقيه لا بد أن يعلم حقيقة القراءات القرآنية وعلاقتها بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم، فقد يظن ظان أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة، يقول أبو شامة [٦٦٥هـ] [٢] : (وقد ظن جماعة ممن لا خبرة له بأصول هذا العلم أن قراءة هؤلاء الأئمة السبعة هي التي عبر عنها النبي ﷺ بقوله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»[٣] فقراءة كل واحد من هؤلاء حرف من تلك الحروف). [٤]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية [٧٣٨هـ] (لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي ﷺ أن القرآن أنزل عليها ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة..). [٥]

= مدة، وقرأ عليه عدد كثير، وكان إماماً حجة قائماً بكتاب الله، حفاظاً للحديث، توفي سنة ١٥٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٩٠).

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ١٣٣).

(٢) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، الشيخ الإمام المتفنن الشافعي أبو شامة، وأبو شامة لقب عليه، كان أحد الأئمة، له مصنفات كثيرة منها: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، والمرشد، توفي سنة: ٦٦٥هـ. ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٢٤٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ح[٨٣٩٠] والطبري في تفسيره (١/ ١٢) وقال محقق المسند: إسناده حسن (١٤/ ١٢٠) وأصل الحديث في الصحيحين.

(٤) المرشد الوجيز (١٤٦).

(٥) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٩٠).

وما هذه القراءات السبع أو العشر وغيرها التي يقرأ بها الناس اليوم وصحت روايتها عن الأئمة إلا جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن. (١)

٢- العلم بأركان القراءة الصحيحة وهي: صحة السند(٢) وموافقة المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وموافقة أحد الأوجه العربية، فكل قراءة تحققت فيها الأركان الثلاثة فهي مقبولة ويستدل بها على الأحكام وغيرها، سواء جاءت من طريق السبعة أو العشرة أو من غيرهم، قال ابن العربي [٥٤٣هـ] (٣) : (وليست هذه الروايات –السبعة- بأصل في التعيين بل ربما خرج عنها ما هو مثلها أو فوقها كحروف أبي جعفر المدني فإنها فوق حروف عبد الله بن كثير ؛لأنه أشهر منه وأعلم وأقرأ وأمثاله من قراء الأمصار). (٤)

وقال ابن الجزري [٨٣٣هـ] (٥) (كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه

(١) ينظر: الإبانة لمكي بن أبي طالب (٣٤) المرشد الوجيز (١٤٦، ١٤٧) الإتقان (٢/ ٥٢٥).

(٢) ومن العلماء من اشترط التواتر، ومنهم من اشترط التواتر أو الشهرة.ينظر: المرشد الوجيز (١٧١)، النشر (١/ ١٨).

(٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الإمام أبو بكر ابن العربي المعافري الأندلسي، أحد الأعلام، صنف في التفسير وأحكام القرآن وشرح الموطأ، توفي سنة ٥٤٣هـ ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٦)، طبقات المفسرين للداودي (١٨٠).

(٤) القبس (٤٠٢-٤٠٣).

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري، يكنى بأبي يوسف، كان حافظاً =

ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين..). [١]

٣- أن الفقيه في دراسته للأحكام والاستدلال لها لا بد له من العلم بأقسام القراءات وأنواعها فمنها المقبول كالمتواتر والمشهور[٢] ومنها المردود كالقراءة الشاذة والموضوعة[٣]، ومنها المختلف فيها وهي قراءة الآحاد:

= قارئاً محدثاً، من مصنفاته: النشر في القراءات العشر، تحبير التيسير، توفي:٨٣٣هـ، ينظر: طبقات المفسرين للداودي (٣٢٠).

(١)النشر (١/ ١٥).

(٢)المتواتر: هو ما رواه جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهى السند، وهذا هو الغالب في القراءات، قال أبو شامة [٦٦٥هـ] : (شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن القراءات السبع كلها متواترة أي: كل فرد فرد مما روي عن هؤلاء السبعة. قالوا: والقطع بأنها منزلة من عند الله واجب، ونحن بهذا نقول، ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق، واتفقت عليه الفرق من غير نكير له مع أنه شاع واشتهر واستفاض، فلا أقل من اشتراط ذلك إذا لم يتفق التواتر في بعضها) المرشد الوجيز(١٧٦). والمشهور: وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر، ووافق العربية والرسم، واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ.ومثاله: ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض من مثل مراتب المدود والفتح والإمالة ونحوه مما لا يضر فيه اختلاف الطرق، والنقل في أصلها متواترة، وهو قدر مشترك بين القراء.

(٣)الشاذ هو: ما لم يصح سنده، وعرفه ابن الجزري :ما نقله غير ثقة أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية وإن وافق المصحف.ينظر: (النشر١/ ١٩) كقراءة من قرأ (ننجيك ببدنك) =

وهي ما صح سندها وخالفت الرسم أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور في قسم المقبول، فقد اختلف العلماء في جواز القراءة بذلك في الصلاة فأجازها بعضهم لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرؤون بها في الصلاة وهو أحد القولين لأصحاب الشافعي وأبي حنيفة وإحدى الروايتين عن مالك وأحمد، وأكثر العلماء على عدم الجواز لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي ﷺ وإن ثبت بالنقل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة أو بإجماع الصحابة[1].

هذا ما يتعلق بحكم القراءة بها في الصلاة، أما الاستدلال بقراءة الآحاد على الأحكام الشرعية فقد اختلف العلماء في ذلك أيضاً:

فذهب مالك في رواية عنه والشافعي والإمام أحمد في رواية أنها ليست بحجة[2]، ومما استدلوا به: أن القرآن قاعدة الإسلام وقطب الشريعة وإليه رجوع جميع الأصول، ولا أمر في الدين أعظم منه، وكل ما

= (ننحيك)..وأطلق الشاذ على كل قراءة اختل فيها ركن من أركان القراءة الصحيحة الثلاثة. ينظر (المرشد الوجيز (١٧٩)، طيبة النشر ١٦٩). والموضوع: وهو الذي لا أصل له، كالقراءة المنسوبة كذباً إلى أبي حنيفة (إنما يخشى الله من عباده العلماء) برفع لفظ الجلالة.

(١) ينظر: البيان والتحصيل (٩/ ٣٧٤)، البناية شرح الهداية (٢/ ١٧٧)، المغني (١/ ٥٧١) مقدمة النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ١٩).

(٢) ينظر: الآمدي في الإحكام (١/ ١٦٠)، البرهان في أصول الفقه (١/ ٤٢٧)، النووي في شرح صحيح مسلم(٥/ ٢٧١)، روضة الناظر (١/ ٢٦٩)، القواعد والفوائد الأصولية (١٦٥).

يجل خطره ويعظم وقعه لا سيما من الأمور الدينية، فأصحاب الأديان يتناهون في نقله وحفظه، ولا يسوغ في اطراد الاعتياد رجوع الأمر فيه إلى نقل الآحاد ما دامت الدواعي متوفرة والنفوس إلى ضبط الدين متشوفة.

وأن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعوا في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه على ما بين الدفتين واطرحوا ما عداه، وكان ذلك عن اتفاق منهم وكل زيادة لا تحويها الأم ولا تشتمل عليها الدفتان فهي غير معدودة في القرآن . [١]

ويقول النووي [٦٧٦هـ] [٢] : (القراءة الشاذة لا يحتج بها، ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع، وإذا لم يثبت قرآنا لا يثبت خبرا) [٣].

وذهب أبو حنيفة والإمام أحمد في رواية مشهورة عنه[٤] أن القراءة الآحادية حجة يحتج بها، واستدلوا بأن: المنقول بطريق الآحاد ؛ إما أن يكون قرآنا، أو خبرا، وكلاهما موجب للعمل ؛ لأنه لا يخرج عن كونه

---

(١) ينظر: البرهان للجويني (١/ ٤٢٧-٤٢٨).

(٢) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الملقب: تقي الدين، له مصنفات كثيرة، منها: الأمالي، شرح صحيح مسلم، علوم الحديث وغيرها، توفي سنة: ٦٣٣هـ . ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٤٣)، شذرات الذهب (٥/ ١٢١).

(٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم (٥/ ٢٧١).

(٤) ينظر: روضة الناظر (١/ ٢٧٠)، القواعد والفوائد الأصولية (١٦٥).

مسموعاً من النبي ﷺ ومروياً عنه، فيكون حجة كيف ما كان[1] .

قال ابن عبد البر[2] رحمه الله تعالى بعد سياقه للحديث الذي رواه سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه قال : ما سمعت عمر يقرؤها قط إلا " فامضوا إلى ذكر الله " وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ الآية [الجمعة:٩] قال : (وفي هذا الحديث دليل على ما ذهب إليه العلماء من الاحتجاج بما ليس في مصحف عثمان على جهة التفسير فكلهم يفعل ذلك ويفسر به مجملا من القرآن ومعنى مستغلقا في مصحف عثمان، وإن لم يقطع عليه بأنه كتاب الله، كما يفعل بالسنن الواردة بنقل الآحاد العدول وإن لم يقطع على منعها وقد كان ابن مسعود يقرؤها كما كان يقرؤها عمر (فامضوا إلى ذكر الله)، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لو قرأتها ﴿ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ لسعيت حتى يسقط ردائي) [3] .

فعلم الفقيه بها ضرورة حتى يصح منه الدليل وتنتظم له الدلالة ولا

---

(١) ينظر: روضة الناظر (١/ ٢٧٠) شرح الكوكب المنير (٢/ ١٣٩).

(٢) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، إمام عصره في الحديث، له تصانيف كثيرة منها: التمهيد والاستيعاب وغيرها، توفي سنة:٤٦٣هـ، ينظر: وفيات الأعيان (٧/ ٦٦).

(٣) الاستذكار (٢/ ٣٥)، وللاستزادة في بحث المسألة ينظر: الإتقان (٢/ ٥٣٤)، علم القراءات (٤١)، القراءة الشاذة أحكامها وآثارها للمؤلف:إدريس حامد، القراءة الشاذة عند الأصوليين وأثرها في اختلاف الفقهاء (مقالة في مجلة البحوث الإسلامية، العدد : ٤٩).

تتعارض عليه القراءات المقبولة، ويعرض عن الاستدلال بالقراءات الموضوعة أو الشاذة إلا في محلها.

٤- أنه إذا ورد في الآية قراءتان متواترتان فتكون بمنزلة الآيتين، ومن ذلك: قراءة قوله تعالى ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة٦] بالنصب[١] والخفض[٢] فتكون بمنزلة الآيتين؛ فكلاهما قراءة متواترة، فلا يجوز رد قراءة منها بل يجب توجيهها، قال ابن العربي[٥٤٣هـ] : (إن القراءة ينبني عليها المذهب ولا يقرأ بحكم المذهب) [٣] وفي موضع آخر (القراءتان كالآيتين يجب العمل بهما) [٤].

ولشيخ الإسلام كلام متصل في هذا السياق يقول رحمه الله: (ومن القراءات ما يكون المعنى فيها متفقاً من وجه متبايناً من وجه كقوله (يخدعون، يخادعون)..(لمستم، لا مستم) (حتى يطْهرن ويطَّهرن) ونحو ذلك فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنه من المعنى علماً وعملاً، ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض، بل كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: من

---

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر وحفص والكسائي عطفاً على (أيديكم)، ينظر: السبعة (٢٤٢).

(٢) وهي قراءة الباقين عطفاً على (رؤوسكم)، ينظر: المرجع السابق.

(٣) أحكام القرآن (١/ ١٧٠).

(٤) المرجع السابق (١/ ٢٣٣).

كفر بحرف منه فقد كفر به كله) [1] وفي موضع آخر (وقد بينا أن القراءتين كالآيتين، فزيادة القراءات كزيادة الآيات). [2]

٥- أن بعض القراءات قد تبين ما لعله يجمل في القراءة الأخرى[3]، وذلك حينما ترد قراءتان في آية واحدة.

ومن ذلك : قراءة (يطَّهرن) بالتشديد مبينة لمعنى قراءة التخفيف[4]، فقد استدل الجماهير من المالكية والشافعية والحنابلة بحرمة جماع الحائض حتى ينقطع عنها الدم وتغتسل، واستدلوا بقراءة التضعيف، وحملوا قراءة التخفيف عليها، قال ابن قدامة [٦٢٠هـ] [5] (﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٢٢] يعني إذا اغتسلن..ولأن الله تعالى قال في الآية ﴿ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ فأثنى عليهم فيدل على أنه فعل منهم أثنى عليهم به، وفعلهم هو الاغتسال دون انقطاع الدم..). [6]

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٩١).

(٢) المرجع السابق (١٣/ ٤٠٠).

(٣) ينظر: النشر (١/ ٣٠)، الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٥٣٣).

(٤) قرأ حمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء، وقرأ الباقون بتخفيفهما. ينظر: السبعة (١٨٢).

(٥) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام المقدسي الحنبلي، أبو محمد موفق الدين، صاحب المصنفات الكبيرة، ومنها: عمدة الأحكام، المغني، الكافي وغيرها، توفي سنة : ٦٢٠هـ . ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥)، الوافي بالوفيات (١٧/ ٣٧).

(٦) المغنى (١/ ٣٨٧)، وينظر في هذا المسألة: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٤٢٢)، أحكام القرآن للكيا الهراسي (١/ ١٣٧)، أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢٢٨)، وخالفهم في =

وقد يستدل بالقراءة الشاذة على تفسير القراءة المشهورة المتواترة قال أبو عبيد [٢٢٤هـ] [١] (فأما ما جاء من هذه الحروف التي لم يؤخذ علمها إلا بالإسناد والروايات التي يعرفها الخاصة من العلماء دون عوام الناس، فإنما أراد أهل العلم منها أن يستشهدوا بها على تأويل ما بين اللوحين، وتكون دلائل على معرفة معانيه وعلم وجوهه، وذلك كقراءة حفصة وعائشة: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ) وكقراءة ابن مسعود: (وَالسَّارِقُونَ وَالسَّارِقَاتُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمْ)، ومثل قراءة أبي بن كعب (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَإِنْ فَاءُوا فِيهِنَّ. . .)، وكقراءة سعد (فَإِنْ كَانَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمِّهِ) ... فهذه الحروف وأشباه لها كثيرة قد صارت مفسرة للقرآن، وقد كان يرى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك، فكيف إذا روي عن لباب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ثم صار في نفس القراءة؟ فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى) [٢].

والتخريج بالاستدلال بقراءة أخرى وإن كانت شاذة أقوى وآكد من التخريجات النحوية أو التوجيهات اللغوية، قال ابن حجر الهيتمي

= ذلك الإمام أبو حنيفة حيث وضع قيوداً..وكذلك ابن حزم في المحلى ينظر: (٢/ ١٧٢).

(١) هو : القاسم بن سلام مولاهم البغدادي، الإمام أحد الأعلام وذو التصانيف الكثيرة في القراءات والفقه واللغة والشعر، توفي سنة : ٢٢٤هـ، ينظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٧١).

(٢) فضائل القرآن (١٩٥).

[٩٧٤هـ] [١] : (والقراءة الشاذة يحتج بها في الأحكام كخبر الواحد على المعتمد) [٢].

أنه باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام، ولذا اختلف الأئمة في متى يقام الحد على الأمة الزانية المذكور في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ﴾ [النساء٢٥] بناء على الاختلاف في قراءة (أُحۡصِنَّ)، فقرأها الكسائي [٣] وحمزة [٤] (أَحصنَّ) مفتوحة الألف، وقراءها الباقون (أُحصنَّ) مضمومة [٥] فمن قرأها بالضم فمراده إذا تزوجن، فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالأزواج وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم واختاره ابن كثير، ومن قرأها بالفتح حملها بمعنى الإسلام فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالإسلام وهو قول ابن مسعود وابن عمر وأنس والشعبي وغيرهم

(١) هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي أبو العباس: فقيه مصري، له تصانيف كثيرة منها: الفتاوى الهيتمية، تحفة المحتاج، خلاصة الأئمة الأربعة..وغيرها توفي سنة: ٩٧٤هـ، ينظر: الأعلام (١/ ٢٣٤).

(٢) تحفة المحتاج بشرح المنهاج (٨/ ٢٨٩).

(٣) هو: علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن الأسدي، مولاهم الكوفي، أبو الحسن، كان إماماً في النحو واللغة والقراءات، توفي سنة: ١٨٩هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٥).

(٤) هو : حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الإمام أبو عمارة الكوفي، تصدر للإقراء مدة، وقرأ عليه عدد كثر، وكان إماماً حجة قائماً بكتاب الله تعالى، توفي سنة : ١٥٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٩٠).

(٥) ينظر: السبعة في القراءات (٢٣٠).

واختاره ابن جرير. [١]

وقد تحمل القراءتان على معنى واحد، فتكون قراءة الفتح على التزويج وقراءة الضم على الإسلام، ولكن الأظهر هو التفريق بينهما والتباين في معناهما، وهو ما قرره أبو جعفر بن جرير في تفسيره ونصره، وكذلك ابن العربي وغيرهما[٢].

ومن الأمثلة كذلك: اختلاف الفقهاء رحمهم الله في حكم ركعتي الطواف بناء على اختلاف القراءتين في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة ١٢٥]، فقرأها نافع[٣] وابن عامر[٤] بفتح الخاء، وقراءها الباقون بكسر الخاء [٥]، قال الجصاص [٣٧٠هـ] [٦]: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥] دل على أن المراد بالآية فعل الصلاة

(١) ينظر: تفسير الطبري (٦/ ٦٠٥) وما بعدها، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦١-٢٦٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٦/ ٦٠٥)، أحكام القرآن (١/ ٥١٧).

(٣) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم، أبو رويم المقرئ المدني، قرأ على طائفة من تابعي المدينة، توفي سنة: ١٦٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣٦).

(٤) هو: عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم، الإمام الكبير مقرئ الشام، أبو عمران اليحصبي، توفي سنة: ١١٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٥٦).

(٥) السبعة (١٧٠)، حجة القراءات (١١٣).

(٦) هو أحمد بن علي الرازي الحنفي صاحب التصانيف، إليه المنتهى في المذهب الحنفي، قيل: كان يميل إلى الاعتزال، وفي تواليفه ما يدل على ذلك في رؤية الله تعالى وغيرها، توفي سنة ٣٧٠هـ، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٤٠).

بعد الطواف، وظاهره أمر فهو على الوجوب) [1]، وهو قول أبي حنيفة وقول للشافعي، وقيل: إن الصلاة خلف المقام سنة وهو قول مالك وأحمد والشافعي في أحد قوليه. [2]

فإحاطة الفقيه بالقراءات الواردة في الآية ومعرفة توجيهها والرجوع إلى مظان ذلك ضرورة يتوجب عليه فعلها حين يصدر حكماً أو يرجح رأياً على آخر.

(١) أحكام القرآن (١/ ٩٠).

(٢) ينظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٣/ ١١١)، المجموع (٨/ ٤٦) وما بعدها، الشرح الكبير (٩/ ١٢٢).

المبحث الثاني: حاجة الفقيه إلى علم أسباب النزول.

آيات القرآن الكريم منها ما نزل ابتداء ومنها ما نزل بسبب، وقد اجتهد العلماء رحمهم الله في جمع الآيات التي نزلت بسبب مع ذكر الأحاديث والروايات لتلك الحادثة عمن عاصرها وشاهدها وقد تكون ممن نزلت بسببه؛إذ هي السبيل إلى فهم الآية والعلم بمعناها يقول ابن دقيق العيد [٧٠٢هـ] [(١)] : (بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن)[(٢)].

ويقول شيخ الإسلام [٧٢٨هـ]: (ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ولهذا كان أصح قولي الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف رجع إلى سبب يمينه، وما هيجها وأثارها) [(٣)].

وعرف العلماء أسباب النزول بأنها: ما نزلت الآية متحدثة عنه أيام وقوعه. [(٤)]

وقد عدَّ العلماء فوائد هذا العلم وقعدوا قواعده، وهي مبسوطة في

(١) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح تقي الدين القشيري المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد من أكابر العلماء بالأصول، له تصانيف كثيرة منها: إحكام الأحكام، والإلمام بأحاديث الأحكام وغيرها، توفي سنة ٧٠٢هـ، ينظر:البدر الطالع (٧٤٥)، الأعلام (٦/ ٢٣٨) .

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٩٠) حيث نقل قوله السيوطي.

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣).

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٠٨).

مظانها ككتب علوم القرآن[1]، وكتب أسباب النزول[2]، ومقدمات التفاسير[3] .

وتبرز حاجة الفقيه إلى علم أسباب النزول من خلال:

١- أنه بمعرفة سبب نزول الآية تظهر الحكمة من تشريع الحكم، وتتبين العلة، ومن خلالها يستطيع الفقيه القياس على الحكم وتنزيله على الأحكام المشابهة، يقول الزركشي [٧٧٩هـ] في مطلع تعداده لفوائد هذا العلم ومنها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم. [4]

فأسباب النزول غالبها حوادث ترتب عليها تشريعات أحكام، وهذه الأحكام تشريع عام للأمة في الأصل وليست مقتصرة على ذات السبب، فيتمكن الفقيه وغيره التمثيل بها أو القياس عليها، قال ابن عاشور [١٣٩٣هـ] (-أسباب النزول- حوادث تسببت عليها تشريعات أحكام وصور تلك الحوادث لا تبين مجملا ولا تخالف مدلول الآية بوجه تخصيص أو تعميم أو تقييد، ولكنها إذا ذكرت أمثالها وجدت مساوية لمدلولات الآيات النازلة عند حدوثها، مثل حديث عويمر العجلاني الذي نزلت عنه آية اللعان، ومثل حديث كعب بن عجرة الذي نزلت عنه آية: ﴿ فَمَن كَانَ

(١) كالبرهان والإتقان والزيادة والإحسان في علوم القرآن ومناهل العرفان ..وغيرها.

(٢) كأسباب النزول للواحدي والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر ولباب النقول للسيوطي..وغيرها.

(٣) كمقدمة التحرير والتنوير.

(٤) البرهان (١/ ١١٧).

مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [البقـــرة: ١٩٦] الآية فقد قال كعب بن عجرة: هي لي خاصة ولكم عامة...وهذا القسم لا يفيد البحث فيه إلا زيادة تفهم في معنى الآية وتمثيلا لحكمها، ولا يخشى توهم تخصيص الحكم بتلك الحادثةِ..) [١].

ومن الأمثلة على ذلك: حكم الفقهاء أن كفارة قص الأظفار على المحرم هي كفارة أذى الرأس قياساً عليها بجامع الترفه، قال ابن مفلح [٧٦٣هـ][٢] (وحكم الأظفار كالشعر، لأن المنع منه للترفه، وذكر ابن المنذر إجماعاً).[٣]

٢- معرفة كيفية التعامل مع أسباب النزول الخاصة وهل يقصر الحكم على السبب الخاص، أم العبرة بعموم اللفظ.. وقد اختلف العلماء فيها على قولين مشهورين[٤].

إلا أنه مما ينبغي أن يعلم أن الأحكام النازلة بسبب حوادث خاصة لا تقصر الآية على السبب وحده بل هي عامة لهم ولغيرهم حتى على قول من يرى أن العبرة بخصوص السبب، لكن الفرق بين القولين أن من يرى

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٨).

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن مفلح بن مفرج الراميني الحنبلي الحافظ، شيخ الحنابلة، صاحب التصانيف الكثيرة، ومنها: شرح المقنع، ومختصر ابن الحاجب، والآداب الشرعية، وغيرها، توفي سنة: ٧٦٣هـ، ينظر: شذرات الذهب (٧/ ٢٢).

(٣) الفروع (٥/ ٤٠٩).

(٤) وهي مسألة أصولية تبحث في مظانها من كتب الأصول وهي متعلقة بعلوم القرآن وأسباب النزول بوجه الخصوص لارتباطها بآيات القرآن ودلالاته .

العبرة بعموم اللفظ يقول : أخذنا هذا العموم عن طريق اللفظ العام.

ومن يرى أن العبرة بخصوص السبب يقول: لم نأخذ العموم في هذه الأحكام من طريق اللفظ العام؛ لأن هذا اللفظ العام مختص بسببه، ولكن أخذنا ذلك العموم من القياس، أي بقياس الحوادث المشابهة على مثيلاتها.[1]

قال شيخ الإسلام [٧٢٨هـ]: (قولهم هذه الآية نزلت في كذا لا سيما إن كان المذكور شخصا؛ كأسباب النزول المذكورة في التفسير كقولهم إن آية الظهار نزلت في امرأة أوس بن الصامت وإن آية اللعان نزلت في عويمر العجلاني أو هلال بن أمية وأن آية الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله... فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أن حكم الآية مختص بأولئك الأعيان دون غيرهم؛ فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه أم لا؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين أن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين وإنما غاية ما يقال إنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ).[2]

ولهذا اعتبر بعض الباحثين أن الخلاف في هذه المسألة صوري؛ حيث إن محصلته متماثلة ونتيجته واحدة.

٣- بمعرفة حال الآية وسبب نزولها يتمكن الفقيه من دفع التوهم الكامن

---

(١) ينظر: إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر (٦/ ١٤١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٨-٣٣٩).

في حصر الآية على حكم أو أحكام مخصوصة..

كمن يظن أن المطعومات المحرمة -عموماً- هي المنصوص عليها في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ فحسب، إلا أن الآية لها تخريج وتوجه يعلم بالأحوال التي احتفت بالنزول، ومن ذلك: أنها نزلت جواباً لمن سأل عن شيء بعينه فوقع الجواب مخصوصاً فقد روى الشافعي عن سعيد بن جبير أنه قال: في هذه الآية أشياء سألوا عنها رسول الله ﷺ فأجابهم عن المحرمات من تلك الأشياء، وقيل: لا أجد فيما أوحي إلي أي: في هذه الحال حال الوحي ووقت نزوله، ثم لا يمتنع حدوث وحي بعد ذلك بتحريم أشياء أخر..وقيل غير ذلك.. [١]

٤- أن العلم بحال الآية المستدل بها على الحكم الشرعي وقصة نزولها عصمة من شطط الفهم وشذوذ الاستدلال، ففي الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وأنا يومئذ حديث السن: أرأيت قول الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ فلا أرى على أحد شيئا أن لا يطوف بهما فقالت عائشة: كلا لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما إنما أنزلت هذه الآية في

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٨٠-٨٢).

الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾.[1]

فالجهل بأسباب النزول مظنة الخطأ والعطب، والعلم بها سبيل السلامة والفهم، خصوصاً في ما يتعلق بالأحكام الشرعية العملية.

٥- معرفة سبب نزول الآية يوسع الدلالة ويقوي الاستدلال ويعضد الأدلة الأخرى، حتى وإن كان قولاً مرجوحاً في السببية، فكونه قد استدل به وحكاه طائفة من الصحابة أو التابعين يدل على أن الآية تدخل في الحكم دخولا أولياً.

ومن ذلك استدلال بعض الفقهاء بوجوب الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب بقوله تعالى:﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ

---

(١) رواه البخاري في كتاب العمرة، باب:يفعل بالعمرة ما يفعل بالحج ح[١٧٨٩]، ومسلم كتاب:الحج ح[٣٠٨٠]. ومنه حديث قدامة بن مظعون رضي الله عنه حين ظن أن شرب الخمر جائز واستدل على ذلك بقوله تعالى : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا..)الآية حتى بين له عمر وابن عباس رضي الله عنهم وهو أن الآية عذر لمن مات من الصحابة وهم يشربون الخمر قبل تحريمها..الحديث رواه النسائي في الكبرى كتاب:حد الخمر، باب:إقامة الحد على من شرب الخمر على التأويل (٥/ ١٣٨) ح[٥٢٧٠].

تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ الأعراف قال القرطبي [٦٧١هـ] [١]: (وقيل: إنها نزلت في الخطبة، قاله سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وزيد بن أسلم والقاسم بن مخيمرة ومسلم بن يسار وشهر بن حوشب وعبد الله بن المبارك..) [٢].

وفي الروض المربع: (ولا يجوز الكلام والإمام يخطب إذا كان منه بحيث يسمعه لقوله تعالى: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) قال صاحب الحاشية: قال بعض المفسرين: إنها نزلت في الخطبة وسميت قرآناً لاشتمالها عليه..) [٣].

(١) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الإمام العلامة أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي القرطبي إمام متفنن متبحر في العلوم، له تصانيف كثيرة منها:التذكرة، والجامع لأحكام القرآن وغيرها، توفي سنة ٦٧١هـ. ينظر: الوافي بالوفيات (١/ ٢٠٠)، شذرات الذهب (٥/ ٣٣٤).

(٢) أحكام القرآن (٩/ ٤٣١)، وينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٦٦).

(٣) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع (٢/ ٤٨٨).

المبحث الثالث: حاجة الفقيه إلى علم مشكل القرآن الكريم

القرآن الكريم كله محكم ومتقن لا تعارض فيه ولا تناقض ولا اختلاف أو تقابل، وصفه أصدق القائلين سبحانه بقوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾[هود:١]، وآياته يشبه بعضها بعضاً في الإتقان والإحكام والكمال والتمام﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾[الزمر ٢٨]، فهو أحسن الحديث ومعانيه أجل المعاني، فكلما تدبره المتدبر وتفكر فيه المتفكر رأى اتفاقه حتى في معانيه الغامضة مما يبهر الناظرين ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم(١)، إلا أن فهوم الدارسين له المتبعين لأوامره ونواهيه تتفاوت فقد تحصل إشكالات على بعضهم في معاني الألفاظ وما اشتملت عليه من دلالات ظاهرة وخفية، وهو ليس عائد البتة إلى ذات الآية وما تضمنته من الهداية والدلالة، بل هو راجع إلى فهم القارئ والدارس، فالقرآن الكريم يصدق بعضه بعضاً على حد قوله تعالى ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت] يقول شيخ الإسلام [٧٢٨هـ] : (قد يشكل على كثير من الناس نصوص لا يفهمونها، فتكون مشكلة بالنسبة إليهم لعجز فهمهم عن معانيها، ولا يجوز أن يكون في القرآن ما يخالف صريح العقل والحس إلا وفي القرآن بيان معناه؛ فإن القرآن جعله الله شفاء لما في الصدور، وبياناً للناس، فلا يجوز أن يكون

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦٨٩).

بخلاف ذلك) [(١)].

وأكثر ما يشكل على الناس آيات الأحكام خصوصاً، ولهذا أشكل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه آية الكلالة، وأشكل على بعض الصحابة قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة] ولم يشكل عليهم مثلاً أول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وأول سورة طه.. [(٢)]

ومن هنا نشأ هذا العلم تأكيداً على أهمية التدبر لكتاب الله، ورداً على المغرضين الطاعنين، وتبياناً للسائلين المسترشدين، ودفعاً لتوهم التعارض والاختلاف بين آي الكتاب، وحقيقة هذا العلم هي: ما أشكل معناه على السامع، ولم يصل إلى إدراكه إلا بدليل آخر.[(٣)] وهذا الدليل إما من القرآن أو السنة، أو الإجماع، أو القياس أو بسؤال عالم..

وتبرز حاجة الفقيه إلى علم مشكل القرآن من خلال:

١- العلم بأسباب وقوع الإشكال في القرآن الكريم ومنشؤها، كتوهم تعارض الآيات مع الأحاديث النبوية، واختلاف الموضوع في الآيات، ووقوع المخبر به على أحوال وأطوار مختلفة، وتعدد القراءات في

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٠٧).

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة (١/ ٢١٠-٢١١).

(٣) وهو تعريف ابن عقيلة المكي في كتابه: الزيادة والإحسان في علوم القرآن (٥/ ١٣٤).

الآية[1]، وخفاء المعنى[2]..وغيرها؛حتى إذا عُلِم السبب استطاع الباحث التعامل مع الإشكال الحاصل بالتوجيه والبيان.

ومن الأمثلة على ذلك: خفاء المعنى في قوله تعالى (أو من غيركم) في آية الوصية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ ﴾ [المائدة١٠٦]، حتى قال مكي بن أبي طالب عنها: هذه الآية عند أهل المعاني من أشكل ما في القرآن إعراباً ومعنى وحكما[3].

قوله تعالى ﴿ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾هل المراد بهم : من غير عشيرتكم، أو من غير أهل دينكم[4]، وعليه اختلف في صحة شهادة الكفار من أهل الكتاب في الوصية في السفر إذا لم يكن غيرهم، فقبل بعضهم تحمل وأداء الشهادة للكتابي وهو قول أبي موسى الأشعري وابن عباس رضي الله عنهما واختاره الإمام أحمد. وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي: لا تقبل؛ لأن من لا تقبل

---

(١) وقد سبق ذكر أمثلة على ذلك في المبحث الأول.

(٢) وقد أورد الإمام الزركشي جملة من الأسباب.ينظر: البرهان (٢/ ١٨٣)وما بعدها، وينظر أيضاً : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ودفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب للشنقيطي، ومشكل القرآن الكريم لـ د.المنصور وهو في الأصل رسالة علمية وقد أورد جملة من الأسباب والأمثلة عليها وكيفية التعامل معها.

(٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن (٢/ ٢٤٣).

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٦١٣)، أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٢٣٨)، أحكام القرآن للكيا الهراسي (٣/ ١١٨)، قال القرطبي في الجامع (وهذا الفصل هو المشكل في هذه الآية) (٨/ ٢٥٩).

شهادته على غير الوصية لا تقبل في الوصية.. [١][٢]

٢- معرفة طرق دفع الإشكال الحاصل في الآية إما برد المشكل المتشابه إلى المحكم[٣]، أو جمع الآيات ذات الموضوع الواحد[٤]، أو النظر في

(١) ينظر: بداية المجتهد (٤/ ٢٤٦)، تكملة المجموع (٢٣/ ١٩)، المغني (١٢/ ٥٢).

(٢) ومن الأمثلة كذلك: هل مفهوم المخالفة معتبر في الأحكام كقوله تعالى ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ الآية [النساء: ٢٣] حيث قيد تحريم الربيبة بوصف أنها في حجر الزوج، فهل إذا لم تكن في حجر الزوج حلال عليه؟؟قال ابن كثير بعد ذكره للأقوال (وحكى لي شيخنا أبو عبد الله الذهبي أنه عرض هذا على الشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية فاستشكله وتوقف في ذلك والله أعلم) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥١- ٢٥٢).

(٣) كقراءة (يطْهرن) و (يطَّهرن) وقد سبق الكلام عليها، وفيه أن الأحناف يرون أنه بمجرد انقطاع الدم تحل لزوجها بقيود ذكروها، قال أبو بكر الرازي الجصاص في جمعه بين القراءتين(قوله تعالى: {حَتَّى يَطْهُرْنَ} إذا قرئ بالتخفيف فإنما هو انقطاع الدم لا الاغتسال؛ لأنها لو اغتسلت وهي حائض لم تطهر، فلا يحتمل قوله: ﴿حتَّى يَطْهُرْنَ﴾ إلا معنى واحدا وهو انقطاع الدم الذي به يكون الخروج من الحيض، وإذا قرئ بالتشديد احتمل الأمرين من انقطاع الدم ومن الغسل لما وصفنا آنفا فصارت قراءة التخفيف محكمة وقراءة التشديد متشابهة، وحكم المتشابه أن يحمل على المحكم ويرد إليه، فيحصل معنى القراءتين على وجه واحد..) أحكام القرآن (١/ ٤٢٣).

(٤) كالجمع بين آيتي ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ النساء: ٣ مع قوله تعالى ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ﴾ النساء: ١٢٩قال أبو بكر ابن العربي: (قال الأستاذ أبو بكر: في هذه الآية دليل على جواز تكليف ما لا يطاق، فإن الله سبحانه كلف الرجال العدل بين النساء، وأخبر أنهم لا يستطيعونه، وهذا وهم =

سياق الآية، أو معرفة أسباب النزول[1]، أو التوجيه بالأحاديث النبوية حيث إن السنة مبينة للقرآن الكريم ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل] وغيرها، ليتمكن الفقيه وبطريقة علمية صحيحة من دفع الإشكال المتوهم في آي الأحكام وغيرها..

ومن الأمثلة : قوله تعالى : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة٦] بقراءة الكسر و الفتح قال الزركشي [٧٩٤هـ] (تعارض القراءتين في آية واحدة كتعارض الآيتين، كقوله تعالى (وأرجلكم) بالنصب والجر، قالوا: يجمع بينهما بحمل إحداهما على مسح الخف، والثانية على غسل الرجل إذ لم نجد متعلقاً سواهما). [2]

قال الشوكاني [١٢٥٠هـ] (وقد تقرر أن القراءتين بمنزلة الآيتين فكما أنه يجب الجمع بين الآيتين المشتملة إحداهما على زيادة بالعمل بتلك الزيادة

= عظيم، فإن الذي كلفهم من ذلك هو العدل في الظاهر الذي دل عليه بقوله: {ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعُولُوا} وهذا أمر مستطاع، والذي أخبر عنهم أنهم لا يستطيعونه لم يكلفهم قط إياه؛ وهو النسبة في ميل النفس؛ ولهذا «كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يعدل بين نسائه في القسم، ويجد نفسه أميل إلى عائشة في الحب، فيقول: اللهم هذه قدرتي فيما أملك، فلا تسألني في الذي تملك ولا أملك» يعني قلبه، والقاطع لذلك، الحاسم لهذا الإشكال أن الله سبحانه قد أخبر بأنه رفع الحرج عنا في تكليف ما لا نستطيع فضلا، وإن كان له أن يلزمنا إياه حقا وخلقا) أحكام القرآن (١/ ٦٣٤).

(١) وقد سبق ذكر أمثلة على ذلك في المبحث الثاني.

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٨٢).

كذلك يجب الجمع بين القراءتين) [١].

٣- معرفة مظان الكتب التي تعنى ببيان المشكل وتوجيهه، كبعض كتب التفسير التحليلي مثل: تفسير الطبري، وابن عطية، والقرطبي، وأبي حيان، وغيرها والكتب المتخصصة التي حوت مجمل الإشكالات التي قد يتوهم فيها الإشكال والتعارض والاختلاف مثل: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ومشكل إعراب القرآن لمكي، ودفع إيهام الاضطراب وغيرهما؛ للرجوع إليها والاستفادة منها.

٤- التأكيد على أن حصول الإشكال في فهم العالم والناظر في كتاب الله تعالى وتوهم التعارض والاختلاف بحد ذاته وارد لا إشكال فيه فقد حصل جملة من ذلك في عهد النبي ﷺ ولم يثرب على أصحابها وإنما اكتفى ببيان التوجيه الصحيح للآية، ومن ذلك: حديث أُمِّ مُبَشِّرٍ أنها سمعت النبى -صلى الله عليه وسلم- يقول عند حفصة « لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد. الذين بايعوا تحتها ». قالت بلى يا رسول الله. فانتهرها فقالت حفصة (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا) فقال النبى -صلى الله عليه وسلم- « قد قال الله عز وجل (ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) [٢].

يقول شيخ الإسلام [٧٢٨هـ] (نعم قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلاً عن غيرهم، وليس ذلك في آية معينة، بل

(١) فتح القدير (١/ ٣٩٦).

(٢) رواه مسلم في كتاب:الفضائل ح[٦٤٠٤] .

قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا، وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ، وتارة لا شتباه المعنى بغيره، وتارة لشبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق، وتارة لعدم التدبر التام، وتارة لغير ذلك من الأسباب). [1]

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٠٠).

المبحث الرابع: حاجة الفقيه إلى علم فضائل القرآن

ورد في صحيح المأثور عن النبي ﷺ أحاديث تبين فضل القرآن الكريم وعلو منزلته وبيان قدره، ووردت أحاديث كثيرة في فضائل سور مفردة وآيات معينة، فاجتهد العلماء في جمع تلك الفضائل وبيانها، حتى ألفت مؤلفات خاصة في ذلك؛ حيث إن معرفة الفضائل واستحضار الآثار المترتبة على تلك السور والآيات مما يعين على التدبر والتأمل في الآيات المقروءة والمسموعة.

وتبرز حاجة الفقيه إلى علم فضائل القرآن من خلال:

١- أهمية العلم بتلك الفضائل العامة والخاصة لسور وآيات القرآن وتنزيلها على الأحكام الفقهية المتعلقة بقراءة آيات من القرآن الكريم سواء في الصلوات الخمس أو السنن الرواتب أو صلاة الليل أو الأحكام العامة وغير ذلك مما هو مجموع ومدون في كتب فضائل القرآن[1] حيث لا يستغني عنها عامة الناس فضلاً عن خاصتهم من علماء وفقهاء.

ومن الأمثلة على ذلك: فضل سورة الفاتحة خصوصاً ما يتعلق بالأحكام الشرعية العملية، كحكم قراءتها في الصلوات والرقية.. وكذلك سورة البقرة وآية الكرسي منها خصوصاً، وكذلك سورتي المعوذتين، وسورة

(١) ومن ذلك: فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، وفضائل القرآن لا بن الضريس، وفضائل القرآن للمستغفري، ولمحات الأنوار للدمياطي.. وغيرها.

الإخلاص..وغيرها فقد ورد في حديث أنس رضي الله عنه في فضل سورة الإخلاص قوله ﷺ للرجل الذي كان يستفتح بها صلاته بعد قراءة الفاتحة (حبك إياها أدخلك الجنة)[1] علق ابن بطال [٤٤٩هـ] [2] بقوله: (وفي حديث أنس حجة لمن أجاز تكريرها في الفريضة في كل ركعة لقوله ﷺ للذي يكررها (حبك إياها أدخلك الجنة) فدل ذلك على جواز فعله، ولو لم يجز لبين له ذلك). [3]

٢- العلم بالأحاديث والمواضع التي كان رسول الله ﷺ يداوم فيها على قراءة سور معينة أو آيات محددة وإن لم يكن ورد فيها فضل معين، فكون النبي ﷺ يداوم على قراءتها في مواضع أو أماكن محددة فهو مما يدل على فضلها، واستحبابها في وقتها أو مكانها.

ومن الأمثلة على ذلك: قراءة سورتي السجدة والإنسان في صلاة الفجر يوم الجمعة، وقراءة سورتي الأعلى والغاشية في العيدين والجمعة، وفي ذلك يقول ابن حجر [٨٥٢هـ] : (فيه دليل على استحباب قراءة هاتين السورتين في هذه الصلاة من هذا اليوم لما تشعر الصيغة به من مواظبته ﷺ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه معلقاً كتاب : الأذان، باب: الجمع بين السورتين في ركعة، ح[٧٧٤].

(٢) هو أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي ويعرف بابن اللجام، شرح صحيح البخاري، وتوفي سنة : ٤٤٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧)، الوافي بالوفيات (٢١/ ٥٦).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ٣٩١).

على ذلك أو إكثاره منه). [١]

وكذلك قراءة سورتي الجمعة والغاشية في صلاة الجمعة، قال ابن القيم [٧٥١هـ] [٢] (وفيه أيضاً: أنه كان ﷺ يقرأ فيها بالجمعة وهل أتاك حديث الغاشية، ثبت عنه ذلك كله) [٣]، ومنها قراءة الآيات الثلاث من خطبة الحاجة في خطبة النكاح وعموم المناسبات التي يستحب فيها البداءة بخطبة الحاجة، قال ابن قدامة [٥٦١هـ] (ويستحب أن يخطب العاقد أو غيره قبل التواجب ثم يكون العقد بعده...والمستحب أن يخطب بخطبة ابن مسعود..وكان الإمام أحمد إذا حضر عقد نكاح فلم يخطب فيه بخطبة ابن مسعود قام وتركهم). [٤]ومنها : استحباب قراءة أواخر سورة آل عمران عند الاستيقاظ لصلاة الليل وقراءة آية ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ ﴾ [البقرة] أثناء الطواف.. وأشباه ذلك.

٣- من خلال النظر في أحاديث فضائل القرآن وسوره وآياته خصوصاً

(١) فتح الباري (٢/ ٤٨٦).

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي، أبو عبد الله، برع وتفنن في سائر العلوم، وكثرت مصنفاته ومنها: زاد المعاد، إعلام الموقعين وغيرها، توفي سنة: ٧١٥هـ. ينظر: الوافي بالوفيات (٢/ ١٩٥)، البدر الطالع (٢/ ١٤٣).

(٣) زاد المعاد (١/ ٣٦٩).

(٤) المغني (٧/ ٤٣٢).

المتعلقة بالأحكام الشرعية العملية يستنتج الفقيه أحكاماً وسنناً تتعلق بذات الحكم الشرعي إما سنة واستحباباً أو كراهة وتنزيهاً.

ومن ذلك: العلم بمقدار القراءة المستحب في الصلوات المفروضة، فمن خلال النظر في أحاديث الفضائل يهتدي الفقيه إلى القدر المستحب القراءة فيها كصلاة المغرب مثلاً: فقد كان هديه ﷺ خلاف عمل الناس اليوم فإنه صلاها مرة بـ الأعراف ومرة بـ الطور ومرة بـ المرسلات، وأما المداومة فيها على قراءة قصار المفصل فهو من فعل مروان بن الحكم وقد أنكر عليه بعض الصحابة[1]. ومثلها : صلاة العشاء والفجر وفجر الجمعة وصلاة الجمعة...وعموم الصلوات المسنونة كصلاة العيدين والاستسقاء وصلاة الوتر حيث يستحب القراءة فيها بـ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾ [الأعلى] في الأولى و﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾ [الكافرون] في الثانية و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [الإخلاص] في الثالثة، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما الصحيح[2] .. وكذلك العلم بالقدر المستحب من القراءة في صلاة السفر وهدي النبي ﷺ فيها قال ابن القيم [٧٥١هـ] (وكان يخفف الصلاة في السفر حتى كان ربما قرأ في الفجر بالمعوذتين .. فالسنة التخفيف

---

(١) ينظر: زاد المعاد (١/ ٢٠٤).

(٢) رواه الترمذي في جامعه : كتاب الصلاة، باب: ما جاء فيما يقرأ به في الوتر، ح[٤٦٢] والنسائي في كتاب: الصلاة، باب:كم الوتر ح[١٧٠٣]، وابن ماجه في كتاب:الصلاة، باب:ما جاء فيما يقرأ في الوتر ح[١١٧٢]، وإسناده صحيح ينظر: البدر المنير (٤/ ٣٣٨).

حيث خفف، والتطويل حيث أطال). [١]

٤- استحضار جوالب هذه الفضائل والحذر من موانعها التي تصد عن القرآن الكريم وتصرف القلب إلى ما سواه، ومن ذلك ما ذكره الزركشي [٧٩٤هـ] في قوله: (وهذا النوع..لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيته، وتدبر الكتاب في عقله وسمعه، وعمر به قلبه، وأعمل به جوارحه، وجعله سميره في ليله ونهاره، وتمسك به وتدبره، هناك تأتيه الحقائق من كل جانب، وإن لم يكن بهذه الصفة كان فعله مكذباً قوله...) [٢].

(١) الصلاة وأحكام تاركها (١٥٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٦٦).

المبحث الخامس: حاجة الفقيه إلى علم خواص القرآن

ومن العلوم التي يحتاجها الفقيه ولا يستغني عنها العالم علـم خـواص القرآن، وحقيقته: تأثير القرآن الكريم أو بعض سوره أو آياته في حفظ العبـد ووقايته أو في جلب منفعة أو دفع مضرة. [1]

فالقرآن الكريم من أوصافه وسماته أنـه شـفاء قـال سـبحانه: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء] فهو شفاء من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كـل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به ووضـعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام لم يقاومـه الـداء أبـداً، فـما مـن مـرض مـن أمراض القلوب والأبـدان إلا وفي القـرآن سـبيل الدلالـة عـلى دوائـه وسـببه والحمية منه لمن رزقه الله فهماً في كتابـه. [2] والأصـل في هـذا البـاب مـا كـان يفعله النبي ﷺ بنفسه حتى إذا مرض واشـتد وجعـه أمـر مـن عنـده أن يقـرأ عليه، ففي الـصحيحين عـن عائشة رضي الله عنهـا: أَنَّ رَسُـولَ اللهَّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْـتَكَى يَقْـرَأُ عَـلَى نَفْـسِهِ بِـالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُـثُ، فَلَـمَّا اشْـتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا»[3] .

---

(١) ينظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان (٢٧٧)، وخواص القرآن دراسة نظرية تطبيقيـة (٢٦).

(٢) ينظر: زاد المعاد (٤/ ٣٢٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب: فـضائل القـرآن، بـاب: فـضل المعـوذات، ح[٥٠١٦]، =

وتبرز حاجة الفقيه إلى علم خواص القرآن من خلال:

١- معرفة تلك الخواص ومظانها من كتاب الله تعالى وآثارها المترتبة عليها حتى يصح الدليل ويستقيم الاستدلال بها على الأحكام الفقهية العملية، فجانب من الأحكام الشرعية العملية متعلق بهذا العلم كمسائل التداوي والاستشفاء وعموم التحصينات الشرعية وأبواب الرقية وغيرها، قال ابن مفلح [٧٦٣هـ] (وتباح قلادة فيها قرآن أو ذكر غيره وتعليق ما هما فيه، نص عليه، وكذا التعاويذ، ويجوز أن يكتب القرآن أو ذكر غيره في إناء خال بالعربي ثم يسقى منه المريض والمطلقة، وأن يكتب للحمى والعقرب والحية والصداع والعين ما يجوز، ويرقى من ذلك بقرآن وما ورد فيه من دعاء وذكر...) [(١)]

ومن الأمثلة على ذلك: قراءة سورة (يس) على الميت ساعة احتضاره، ففي الروض المربع: (ويقرأ عنده سورة (يس) لقوله عليه السلام (اقرؤا على موتاكم سورة يس) رواه أبو داود[(٢)] ولأنه يسهل خروج

= ومسلم كتاب: الآداب، ح[٢١٩٢].

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٤٤٠)، وينظر: تصحيح الفروع (٣/ ٢٤٨).

(٢) في كتاب: الجنائز، باب: القراءة على الميت ح[٣١٢١]، ورواه ابن ماجه في كتاب: الجنائز، باب: ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حضر ح[١٤٤٨]، والإمام أحمد في المسند (٣٣/ ٤١٧)، قال ابن حجر في التلخيص : أعله ابن القطان بالاضطراب وبالوقف، وبجهالة حال أبي عثمان وأبيه، ونقل أبو بكر بن العربي عن الدار قطني أنه قال: حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن، ولا يصح في الباب حديث). [تلخيص الحبير٢/ ١٠٤].

الروح، ويقرأ عنده أيضاً الفاتحة...) [(١)].

٢- العلم بالضوابط الشرعية والآداب المرعية المتعلقة بطالب الخواص من القرآن الكريم، كتقوى الله تعالى وتحقيق التوحيد الخالص وإخلاص النية وصدق التوكل ... وفي هذا السياق يقول الإمام الزركشي [٧٩٤هـ] : (وهذا النوع.. لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيته، وتدبر الكتاب في عقله وسمعه، وعمر به قلبه، وأعمل به جوارحه، وجعله سميره في ليله ونهاره، وتمسك به وتدبره، هناك تأتيه الحقائق من كل جانب، وإن لم يكن بهذه الصفة كان فعله مكذباً قوله...) [(٢)].

٣- العلم بالمعاني القرآنية والأسرار الربانية التي استحقت بها السورة أو الآية كونها من خواص القرآن والدربة على ذلك، ككونها مما جاء بها الأثر كفاتحة الكتاب وآية الكرسي وغيرها، أو من واقع تجارب الصالحين الصادقين، أو من خلال التأمل والتدبر في الآيات والسور القرآنية؛ فالقرآن كله وصف بأنه شفاء ورحمة للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ فصلت: ٤٤.

قال ابن القيم [٧٥١هـ] (فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل له وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما

(١) حاشية الروض المربع (٣/ ١٨).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٦٦).

وأسبابها وغاياتها وثمراتها ومآل أهلها). [1]

٤- معرفة المحاذير الشرعية عند العمل بخواص القرآن والحذر منها، سواء المحاذير العقدية كضعف التوكل وابتذال كتاب الله تعالى وإهانته أو تحريفه.. أو المحاذير التعبدية كعدم الطهارة أثناء العمل بخواص القرآن ومقارفة المحرمات الشرعية.. [2]

(١) مدراج السالكين (١/ ٤٥٠) وله كلام مقارب في مفتاح دار السعادة (١/ ٢٢٢) حيث قال: فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لا شتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأ بتفكر حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها لو مائة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر..فقراءة القرآن هي أصل صلاح القلب).

(٢) ينظر: خواص القرآن دراسة نظرية تطبيقية (١٦٥-١٨٩).

المبحث السادس: حاجة الفقيه إلى علم التفسير

أنزل الله تعالى كتابه الكريم بياناً للناس وتبياناً لكل شيء ورحمة للمسلمين وبشرى للمؤمنين الموحدين وهدى للصادقين المتقين ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ البقرة فنهض علماء الإسلام على مر العصور وكر الدهور لتفسير هذا الكتاب والنهل من علومه والاستفادة من معارفه، إذ هو المعين الذي لا ينضب والمورد الذي لا ينقطع، ولا غرو فهو كلام ربنا الكريم خالق الناس والعالم بما يصلحهم ويحقق فلاحهم ونجاحهم، فلا يمكن الاستغناء عنه أو الاكتفاء بغيره دونه.

ويمكن تقسيم حاجة الفقيه إلى علم التفسير إلى مطلبين: أصول التفسير، والتفسير.

المطلب الأول: أصول التفسير

وماهيتها: الأسس والمقدمات التي تعين في فهم التفسير، وما يقع فيه من الاختلاف وكيفية التعامل معه[(١)].

وتبرز حاجة الفقيه إلى هذا العلم من خلال:

١- العلم بالطرق التي من خلالها يفسر بها كلام الله تعالى، كتفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة وتفسير القرآن بأقوال الصحابة وتفسير القرآن بأقوال التابعين وتفسير القرآن باللغة وتفسير القرآن بالرأي والاجتهاد، ومنزلة كل نوع ومرتبته، وحالها عند الاختلاف أو التعارض، فمن الضلال طلب تفسير آية بكلام مُفَسِّرٍ مع وجود تفسيرها صريحاً في كتاب الله تعالى أو في صحيح سنة رسول الله ﷺ أو الاجتهاد في تعداد الأقوال في الآية مع اتفاق الصحابة على تفسير معين لها، أو الاستدلال بأقوال اللغويين في التفسير فيما يخالف دلالات القرآن والسنة...

ومن ذلك: اختلاف الفقهاء في تعيين الصلاة الوسطى: فمنهم من قال هي صلاة الصبح واستدلوا على ذلك بعموميات من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، كقوله تعالى ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة] والقنوت طول القيام وهو مختص بالصبح...وروي أنها صلاة الظهر،

(١) ينظر: فصول في أصول التفسير (١١).

ومنهم من قال: صلاة المغرب.. ومنهم من قال: صلاة العشاء، والصحيح أنها صلاة العصر قال ابن قدامة[٥٦١هـ] (وصلاة العصر هي الصلاة الوسطى في قول أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم.. ولنا ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: (شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر) الحديث[١] متفق عليه.. **وهذا نص لا يجوز التعريج معه على شيء يخالفه..**). [٢]

٢- العلم بأنواع الاختلاف الحاصل في التفسير، وكيفية التعامل معه، وهل كل خلاف معتبر، ومتى يجمع بينها أو يصار فيها إلى الترجيح ..وفي هذا السياق يقول شيخ الإسلام : (الاختلاف في التفسير على نوعين : ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك؛إذ العلم إما نقل مصدق وإما استدلال محقق...) [٣].

وفي موضع آخر يقول: (أما أنواع الاختلاف فهي في الأصل قسمان: اختلاف تنوع واختلاف تضاد) [٤] .

٣- معرفة أسباب الاختلاف ومنشئها والدراية بها، حتى يتسنى للفقيه وغيره التعامل معها والنظر فيها وتوجيهها ومعرفة مظانها، حيث إن أسباب الخلاف في التفسير كثيرة ومتشعبة فتارة يكون مردها لغوياً،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب: الجهاد والسير، باب:الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، ح[٢٩٣١]، ومسلم في كتاب الصلاة ح[١٤٢٥] واللفظ له.

(٢) المغني (١/ ٤٢١-٤٢٣)، وينظر: البيان والتحصيل (١٨/ ١٢٠)المجموع (٣/ ٤٥)..

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٤).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٤٨).

وتارة يكون مردها إلى قواعد أصولية، وتارة إلى الحديث ومصطلحه، وتارة يكون مردها إلى غير ذلك، ومن الأمثلة على أسباب الخلاف:

بلوغ الحديث للمفسر أو عدم بلوغه، الإجمال في اللفظ أو التركيب، الاشتراك اللفظي، احتمال اللفظ لمعنى قريب ولآخر بعيد، اختلاف وجوه الإعراب، احتمال الإحكام أو النسخ... وغير ذلك. [١]

ومن ذلك : اختلاف الفقهاء في معنى (القرء) المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[البقرة٢٢٨] فقيل : القرء الحيض روي ذلك عن عمر وعلي وابن عباس رضي الله عنهم جميعاً والثوري والأوزاعي ورواية للإمام أحمد..وقيل: القرء الطهر وهو قول زيد وابن عمر وعائشة رضي الله عنهم جميعاً والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ومالك والشافعي[٢].

ومنشأ الخلاف الاشتراك اللفظي في لفظ (قرء) وعند الرجوع إلى التفسير النبوي للقرء فإنه ﷺ فسر القرء بالحيض كما في حديث فاطمة بنت أبي حبيش أنها سألت رسول الله ﷺ وفيه: إنما ذلك عرق فانظري إذا أتى قرؤك فلا تصلي..الحديث[٣] قال الجصاص [٣٧٠هـ] (لغة النبي ﷺ أن

(١) ينظر: كتب أصول التفسير، واختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق للباحث: محمد صالح محمد سليمان، وهو في الأصل رسالة علمية.

(٢) ينظر:الكافي في فقه أهل المدينة (٢/ ٢١٩)، الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ٤٢)وما بعدها.

(٣) رواه أبو داود كتاب: الطهار، باب: في المرأة تستحاض ومن قال تدع الصلاة في عدة =

القرء الحيض، فوجب أن لا يكون معنى الآية إلا محمولاً عليه؛ لأن القرآن لا محالة نزل بلغته ﷺ وهو المبين عن الله عز وجل مراد الألفاظ المحتملة للمعاني، ولم ترد لغته بالطهر فكان حمله على الحيض أولى منه على الطهر).[1]

٤- العلم بقواعد التفسير، كي يستطيع الفقيه وغيره استنباط معاني القرآن وفهمها على الوجه الصحيح، وفي هذا السياق يقول الإمام الزركشي [٧٩٤هـ]:

(ومعلوم أن تفسيره - أي القرآن الكريم- يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة، وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه، ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعول في تفسيره عليه، ويرجع في تفسيره إليه، من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها، وسياقه، وظاهره وباطنه، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم ويدق عنه الفهم..).[2]

= الأيام التي كانت تحيض ح[٢٨٠]، والنسائي كتاب : الطهارة باب: ذكر الإقراء ح[٢١٢] وابن ماجه في كتاب: الطهارة وسننها، باب: ما جاء في المستحاضة التي قد عدت أيام أقرائها قبل أن يستمر به الدم، ح[٦٢٠]، والإمام أحمد في مسنده (٤٥/ ٣٥٠) ح[٢٧٣٦٠] قال ابن الملقن في البدر المنير (٣/ ١٢٦)رجاله ثقات. وقد علق النسائي على الحديث بقوله: هذا دليل على أن الإقراء حيض (السنن ٢٩).

(١) أحكام القرآن (١/ ٤٤١).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٣٠)، ومن مظان هذا الموضوع : قواعد التفسير لـ د.خالد السبت، وهو في الأصل رسالة علمية.

ومن ذلك: القواعد المتعلقة بتفسير السلف ومنزلة أقوالهم في التفسير، والقواعد المتعلقة بتفسير القرآن بلغة العرب[(١)] وغيرها.

ومثال ذلك: قاعدة: كل معنى مستنبط من القرآن غير جارٍ على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء[(٢)]، فقد ردَّ العلماء على من أحلَّ شحم الخنزير وجلده بحجة أن الذي جاء به النص هو (اللحم) في قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾[البقرة ١٧٣] وبينوا أن إطلاق اسم اللحم ليشمل جملته من الشحم والجلد وغير ذلك، قال القرطبي [٦٧١هـ] (خص الله تعالى ذكر اللحم من الخنزير ليدل على تحريم عينه ذكي أو لم يذك، وليعم الشحم وما هنالك من الغضاريف وغيرها...وأجمعت الأمة على تحريم شحم الخنزير)[(٣)].

وقال ابن قدامة [٦٨٢هـ] (إطلاق اللحم في الحيوان يراد به جملته لأنه أكثر ما فيه، ولذلك لما حرم الله تعالى لحم الخنزير كان تحريماً لجملته).[(٤)]

---

(١) ينظر: قواعد التفسير (١/ ٢٠٠) وما بعدها، و(١/ ٢١٣) وما بعدها.

(٢) تفسير القاسمي (١/ ٤٦)، وينظر: قواعد التفسير (١/ ٢٢٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٣١).

(٤) المغني (١/ ٢١٦).

المطلب الثاني: التفسير

وماهيته: كشف معاني القرآن وبيان المراد[1].

ولا يمكن أن يستغني الفقيه عن علم التفسير لأوجه كثيرة منها:

١- حاجته إلى فهم كتاب الله تعالى ومعرفة معانيه وفهم دلالاته، حتى يخلص إلى الاستدلال الصحيح بالآية أو الآيات ويصح منه الدليل على المسائل العلمية العملية المختلفة سواء بدلالة ظاهرة أو إشارة خفية، والسبيل إلى ذلك التأمل في كتاب الله تعالى والنظر فيما دونه المفسرون في كتب التفسير من بيان معاني القرآن الكريم وإيراد لأقوال الأئمة.

فالقرآن الكريم إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي ﷺ في الأكثر كقصة عدي بن حاتم رضي الله عنه في الخيط الأبيض والأسود...ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم ؛فنحن أشد الناس احتياجاً إلى التفسير.. [2]

٢- بالنظر في أقوال السلف وتأويلهم لآي الكتاب تتفتق المدارك العقلية وتتوسع المعاني القرآنية التي حواها هذا الكتاب العزيز الذي لا تنقضي عجائبه، فالقرآن الكريم حمال ذو وجوه[3]، قال أبو الدرداء رضي الله

---

(١) وهو تعريف الكافيجي في التيسير في قواعد علم التفسير (٣٦).

(٢) ينظر: البرهان للزركشي (١/ ١٠٧-١٠٨).

(٣) حيث روي ذلك عن علي رضي الله عنه حين أرسل ابن عباس إلى الخوارج، قال: اذهب =

عنه: (لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة) [١]، ولذا تعددت أقوال السلف في الآية وتنوعت وهي في مجموعها تفسر الآية أو الآيات، قال شيخ الإسلام [٧٣٧هـ] (وجمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جداً، فإن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين) [٢].

٣- أن معظم آي القرآن الكريم لا يخلو من أحكام مشتملة على آداب حسنة وأخلاق جميلة، فمن الآيات ما صرح فيها بالحكم ومنها ما يؤخذ بطريق الاستنباط وإن لم تكن الآية في سياق بيان حكم شرعي، إما من خلال الآية نفسها، كاستنباط صحة أنكحة الكفار بقوله تعالى ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ ﴾ [المسد].

وإما بضم آية أخرى كاستنباط أن أقل الحمل ستة أشهر من قوله تعالى ﴿ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا ﴾ [الأحقاف:١٥] مع قوله تعالى ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان] [٣].

جاء في المقنع: (وأقل مدة الحمل ستة أشهر، وغالبها تسعة وأكثرها أربع سنين) قال صاحب الشرح الكبير: إنما كان أقل مدة الحمل ستة أشهر

= إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة)أورده السيوطي في الإتقان (٣/ ٩٧٧) وعزاه إلى ابن سعد في الطبقات .

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٣٥٧).

(٢) مقدمة في أصول التفسير (٣٣).

(٣) مقتبس من كلام للإمام عز الدين بن عبد السلام في كتاب: الإمام في بيان أدلة الأحكام (٣٥).

لما روى الأثرم بإسناده عن أبي الأسود أنه رفع إلى عمر أن امرأة ولدت لستة أشهر فهمَّ عمر برجمها، فقال له علي: ليس لك ذلك، قال الله تعالى ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾ وقال الله تعالى ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ ﴾ فحولان وستة أشهر ثلاثون شهراً لا رجم عليها فخلى عمر سبيلها، وولدت مرة أخرى لذلك الحد. [1]

وقد تستقى الأحكام من القصص القرآني والأمثلة القرآنية وغيرها، فـ (أحكام الشرع كما تستنبط من الأوامر والنواهي كذلك تستنبط من الأقاصيص والمواعظ ونحوها، فقلَّ أن يوجد في القرآن آية إلا ويستنبط منها شيء من الأحكام) [2]والسبيل إلى العلم بذلك والدراية بها الرجوع إلى كتب التفسير المختلفة بمناهجها المتعددة ومشاربها المختلفة .

٤- أن الفهم قد يشطح والعلم قد يعزب عند النظر للآية ودلالاتها بادئ الأمر مما يستدعي معه الرجوع إلى تفسير الآية حتى يتبين المعنى وتظهر الدلالة ويصح الاستدلال، والميزان في ذلك فهم السلف للآية، (فالعلم بالمراد مستنبط بأمارات ودلائل، والحكمة فيه أن الله أراد أن يتفكر عباده في كتابه، فلم يأمر نبيه ﷺ بالتنصيص على المراد في جميع آياته)[3].

---

(١) المقنع والشرح الكبير (مجموعا) (٢٤/ ٢٢)، والأثر أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٣٤٩) وغيره.

(٢) قاله الطوفي في شرح مختصر الروضة (٣/ ٥٧٧-٥٧٨).

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٦/ ٢٢٦٨) نقله عن الخويي.

المبحث السابع: حاجة الفقيه إلى علم الاستنباط

القرآن الكريم نزل لحكم بالغة وأهداف سامية كامنة في كونه كلام الله تعالى ومتمثلة بحفظ الله تعالى له حتى آخر الزمان، ومن أهداف نزوله ما أبانته آية (ص) ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾

يقول ابن سعدي [١٣٧٦هـ]: (فيه خير كثير وعلم غزير فيه كل هدى من ضلالة، وشفاء من داء، ونور يستضاء به في الظلمات، وكل حكم يحتاج إليه المكلفون، وفيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب ما كان به أجل كتاب طرق العالم منذ أنشأه الله ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أي هذه الحكمة من إنزاله ليتدبر الناس آياته فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها..).(١)

فما زال سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ينهلون العلم ويستنبطون الأحكام بورودهم على كتاب الله تعالى وصدورهم عنه، عبادة لله واستجابة لأمره وطلباً للفلاح الدنيوي ورغبة في النجاح الأخروي.

ويمكن تقسيم هذا العلم على مطلبين، الأول: الاستنباط. الثاني: الاستشهاد.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٧٩).

المطلب الأول: الاستنباط

وحقيقته: استخراج ما خفي المراد به من اللفظ. [1]

وللاستنباط شروط تضبطه وطرق تقيده، تتعلق بالمستنبِط والمعنى المستنبَط، وليس كل من ادعاه قبلت دعواه ومن قال به سمع منه، تنظر في مظانها وتراجع في الكتب المتخصصة، إلا أن من المتقرر أنه لا يمكن الاستنباط من الآية أو الآيات إلا بعد العلم بالتفسير الصحيح لها وإلا وقع في الخطأ، قال القرطبي [٦٧١هـ] (فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي، والنقل والسماع لا بد له منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط) [2].

وتبرز حاجة الفقيه إلى علم الاستنباط من خلال:

١- معرفة طرق الاستنباط وأدواته التي من خلالها يتمكن الفقيه من استنباط الدلالات والأحكام الشرعية العملية من الآيات القرآنية، وإن كان جل الطرق مصدرها مباحث دلالات الألفاظ التي هي باب من أبواب علم أصول الفقه المستلزمة للتكوين العلمي للفقيه ابتداء، كالاستنباط بدلالة الإشارة[3] ومثاله:

---

(١) وهو تعريف الإمام النووي وعزاه إلى العلماء، ينظر: تهذيب الأسماء واللغات (اللغات٤٦٤) وهناك تعريفات أخرى مقاربة.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٥٩).

(٣) وتعريفها: دلالة اللفظ على حكم غير مقصود، ولا سيق له النص، ولكنه لازم للحكم الذي سيق لإفادته الكلام. ينظر: مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي (٣٦٩).

قال الشنقيطي [١٣٩٣هـ] : (كدلالة ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ [البقرة ١٨٧] الآية على صحة صوم من أصبح جنباً ؛لأن إباحة الجماع في الجزء الأخير من الليل الذي ليس بعده ما يتسع للاغتسال من الليل يلزم إصباحه جنباً). [١]

والاستنباط بدلالة الاقتران[٢]، ومثاله:

الاستدلال على عدم وجوب الزكاة في الخيل بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[النحل].

قال الزركشي [٧٩٤هـ] : (وقيل: إن مالكاً احتج في سقوط الزكاة عن الخيل بقوله تعالى﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [النحل]، فقرن في الذكر بين الخيل والبغال والحمير، والبغال والحمير لا زكاة فيهما إجماعاً، فكذلك الخيل). [٣]

---

(١) المرجع السابق. ومثله: تحديد مدة أقل الحمل وهي ستة أشهر بإجماع العلماء..ي نظر:الملخص الفقهي (٢/ ٢٣٠).

(٢) وماهية الاقتران: أن يقرن الشارع بين لفظين فيقتضي التسوية بينهما حكما، وهو تعريف ابن النجار. ينظر: شرح الكوكب المنير(٣/ ٢٥٩)، ودلالتها تتفاوت قوة وضعفاً وهي على ثلاث مراتب..ينظر: بدائع الفوائد (٤/ ١٦٢٧).

(٣) البحر المحيط (٨/ ١٠٩). ومن الأمثلة كذلك: استنباط وجوب العمرة لاقترانها بالحج في آية (وأتموا الحج والعمرة لله)، والحج واجب فتكون العمرة واجبة قال ابن قدامة: (ولنا –أي على الوجوب- قوله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله) ومقتضى الأمر الوجوب، ثم عطفها على الحج، والأصل التساوي بين المعطوف والمعطوف عليه) المغني(٣/ ١٧٤).

ويضاف إليها الاستنباط بعادات القرآن الأسلوبية قال الشاطبي [٧٩٠هـ] [(١)] في هذا السياق: (والحاصل أن القرآن احتوى من هذا النوع من الفوائد والمحاسن التي تقتضيها القواعد الشرعية على كثير يشهد بها شاهد الاعتبار، ويصححها نصوص الآيات والأخبار) [(٢)] وعليه يجب اعتبار عادات القرآن والعمل بها، قال الآمدي [٦٣١هـ] [(٣)]: (يجب تنزيل كلام الشارع على عرفه، إذ الغالب منه أنه إنما يناطقنا فيما له فيه عرف بعرفه) [(٤)]، ومثاله:

قال ابن كثير [٧٧٤هـ]: (كثيراً ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والإنفاق من الأموال، فإن الصلاة حق الله وعبادته، وهي مشتملة على توحيده والثناء عليه...والإنفاق هو الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم، وأولى الناس بذلك القرابات والأهلون والمماليك ثم الأجانب، فكل النفقات الواجبة والزكاة المفروضة داخل في قوله تعالى (ومما رزقناهم ينفقون)). [(٥)]

---

(١) هو الإمام الفقيه إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، صاحب المصنفات العديدة، توفي سنة: ٧٩٠هـ. ينظر: الأعلام (١/ ٧٥).

(٢) الموافقات (٤/ ٢٠٤).

(٣) هو علي بن أبي علي بن محمد التغلبي العلامة المصنف فارس الكلام الآمدي الحنبلي ثم الشافعي، صنف التصانيف الكثيرة ومنها: منتهى السول في الأصول، أبكار الأفكار، وغيرها بلغت عشرين مصنفاً توفي سنة ٦٣١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٦٤).

(٤) الإحكام (٣/ ٢٠).

(٥) تفسير ابن كثير (١/ ١٧٠).

حيث إن لكل علم أدواته التي من خلالها يستطيع طالب العلم حال توافرها وإجادتها من الولوج إليه والاستفادة منه.

٢- أن الاستنباط من القرآن قد يكون من ذات النص الواحد، أو من خلال الربط بين نصين أو أكثر لاستنباط حكم أو أحكام شرعية، قال الزركشي [٧٩٤هـ] (ما يؤخذ بطريق الاستنباط ثم هو على قسمين: أحدهما ما يستنبط من غير ضميمة إلى آية أخرى، كاستنباط الشافعي تحريم الاستمناء باليد من قوله تعالى ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ ﴾ [المؤمنون] إلى قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ [المؤمنون]...والثاني: ما يستنبط مع ضميمة آية أخرى..) [١].

٣- العلم بالشروط التي يجب أن تتوفر في المستنبط وأهليته كسلامة الاعتقاد وصحة مصادر التلقي ومعرفة التفسير الصحيح قال القرطبي [٦٧١هـ] (فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي، والنقل والسماع لا بد له منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط) [٢]، والعلم باللغة العربية قال الشاطبي [٧٩٠هـ] (الاجتهاد إن تعلق بالاستنباط

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٣٠-١٣١)، ويمثل للنوع الثاني ما سبق ذكره في تحديد أقل مدة الحمل.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٥٩).

من النصوص فلا بد من اشتراط العلم بالعربية) [1].

فليس كل من ادعى الاستنباط واستخراج الدلالات من الآيات قبلت دعواه وصح استنباطه، بل لا بد من شروط تتوفر في المستنبط والمستنبط[2].

التحقق من وجود الشروط المتعلقة في المعنى المستنبط، كسلامته من المعارضة الشرعية إما آية أخرى أو سنة نبوية، ووجود الارتباط الصحيح بين الدليل والاستنباط دون تكلف ولي للنصوص، قال شيخ الإسلام [٧٢٨هـ] (كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء يفسرون القرآن بمعان صحيحة في نفسها، لكن القرآن لا يدل عليها) [3]، وكون الاستنباط مما للرأي فيه مجال فالقرآن جمع (علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم به ثم رسوله ﷺ خلا ما استأثر الله به سبحانه). [4]

٤- أن تكرار النظر والتأمل في استدلالات الأئمة واستنباطات العلماء ومطالعة الكتب المتخصصة في ذلك[5] يوجد الملكة ويقويها وذلك بعد استحضار طرق الاستنباط وتوافر الشروط، حتى يكون للباحث والفقيه دربة على استخراج الدلالات الخفية من الآيات القرآنية.

---

(١) الموافقات (٥/ ١٢٤).

(٢) ينظر: منهج الاستنباط من القرآن الكريم فقد جمع فأوعى وأجاد فأفاد (١٩٩-٢٧٦).

(٣) مقدمة في أصول التفسير (٥٤).

(٤) الإكليل (١٣) نقله من قول المرسي.

(٥) كالأكليل في استنباط التنزيل لجلال الدين السيوطي، وفوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام لابن سعدي وغيرها.

المطلب الثاني: الاستشهاد

وحقيقته: طلب الدليل والحجة والبرهان على الدعوى. (١)

حيث إن كل كلام خبري يحتمل الصدق والكذب -حاشا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة- وكل مدع حكماً أو قولاً إن لم يدعم كلامه بدليل يصدقه ويقويه، يكون عرضة للتشكيك أو التكذيب، ومما سار عليه علماء الشريعة عموماً والفقه خصوصاً الاستشهاد على الأحكام والأقوال بآيات من كتاب الله تعالى، سواء ظاهرة الدلالة وهو الاستشهاد، أو خفية الاستدلال وهو الاستنباط – السابق ذكره-.

وتبرز حاجة الفقيه إلى معرفة صحة الاستشهاد من خلال:

١- العلم بطرق الاستنباط وشروطه ؛إذ الاستنباط نوع من أنواع الاستشهاد.

٢- معرفة حال الآية المستشهد بها من حيث العموم والخصوص والناسخ والمنسوخ، والإطلاق والتقييد، وصحة الفهم واستقامته، من خلال تفسير النبي ﷺ وتفسير سلف الأمة، فالفهم قد يقصر، والدلالة قد تخفى، عَنْ عَدِىِّ بْنِ حَاتِمٍ – رضى الله عنه – قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) قَالَ لَهُ عَدِىُّ بْنُ حَاتِمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى أَجْعَلُ تَحْتَ وِسَادَتِى عِقَالَيْنِ عِقَالاً أَبْيَضَ وَعِقَالاً أَسْوَدَ أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ وِسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ إِنَّمَا

(١) ينظر: لسان العرب (٥/ ٢١٤)مادة (شهد)، المعجم الوسيط(٤٩٧) مادة [شهد] .

هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ ».[1]

ومن الأمثلة على ذلك: اختلاف الفقهاء في صوم الشيخ الكبير والعجوز، جاء في الشرح الكبير (الشيخ الكبير والعجوز إذا كان الصوم يجهدهما ويشق عليهما مشقة شديدة فلهما أن يفطرا ويطعما لكل يوم مسكيناً وهذا قول علي وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم وبه قال سعيد بن جبير وأبو حنيفة والثوري..وقال مالك: لا يجب عليه شيء لأنه ترك الصوم لعجزه فلم يجب فدية كما لو تركه لمرض اتصل به الموت، وللشافعي قولان كالمذهبين، ولنا الآية قال ابن عباس في تفسيرها : نزلت رخصة للشيخ الكبير) [2]، وهذا الأثر رواه البخاري في صحيحه[3] عن عطاء أنه سمع ا بن عباس رضي الله عنهما يقول: (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قال ابن عباس: ليست منسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعمان مكان كل يوم مسكيناً) .

ومن قال: إن الآية منسوخة فيحتمل أنه أراد النسخ بمعنى التخصيص فكثيراً ما يطلق المتقدمون النسخ بمعناه[4].

٣- معرفة حدود الاستشهاد وضوابطه، ومتى يقبل أو يرد، فقد يستشهد

---

(١) رواه البخاري في كتاب:التفسير باب: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود..)الآية ح[٤٥٠٩]، ومسلم في كتاب:الصيام ح[٢٥٣٣] واللفظ له.

(٢) الشرح الكبير (٧/ ٣٦٥).

(٣) رواه البخاري في كتاب:التفسير باب: قوله تعالى (أياماً معدودات)الآية ح[٤٥٠٥].

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٤٧).

بآية في غير سياقها ويصح الاستدلال، كاستدلال النبي ﷺ بآية ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الكهف] على رد علي وفاطمة رضي الله عنهما عندما أمرهما بقيام الليل(١) الحديث . وقول معاذ بن جبل رضي الله عنه لابنه عبد الرحمن لما أصابه الطاعون كيف تجدك؟ قال: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[البقرة]، قال معاذ: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الكهف]. (٢)

يقول شيخ الإسلام : (إن تلا الآية عند الحكم الذي أنزلت له أو ما يناسبه من الأحكام فحسن، ومن هذا الباب ما بينه الفقهاء من الأحكام الثابتة بالقياس، وما يتكلم به المشايخ والوعاظ، فلو دعي الرجل إلى معصية قد تاب منها فقال: ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ ﴾ [الأعراف] وكذا لو قال عند همه وحزنه ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يوسف] ونحو ذلك لكان حسناً). (٣)

وقد يكون الاستشهاد بالآية في سياقها لكن يُرَدُّ الاستشهاد لكون الآية مخصوصة أو منسوخة أو مقيدة...وقد يكون الاستشهاد بآية بما

---

(١) رواه البخاري في كتاب:التهجد، باب:تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب ح[١١٢٧]، ومسلم في كتاب:الصلاة ح[١٨١٨].

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥٨).

(٣) مختصر الفتاوى المصرية (٥٧٨).

يناسبها من أحكام كاستدلال الفقهاء بآية ﴿ وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ ﴾ [الجمعة:١١] على سنية قيام الخطيب أثناء الخطبة، ففي المغني: (قال الأثرم: سمعت أبا عبد الله يسأل عن الخطبة قاعداً أو يقعد في إحدى الخطبتين فلم يعجبه وقال: قال الله تعالى ﴿ وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ ﴾ [الجمعة:١١].[١]

(١) المغني (٢/ ١٥٠). وهناك بحث ماتع معنون بـ:الآيات القرآنية التي استشهد بها النبي ﷺ ودلالات استشهاده بها (أحاديث الصحيحين) لـ د.عصام الحميدان ضمن مجلة معهد الشاطبي العدد السادس، وقد ضمنها أغراضاً كثيرة لأوجه الاستشهاد النبوي.

المبحث الثامن: حاجة الفقيه إلى علم الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد

وهذه العلوم من العلوم المشتركة بين علوم القرآن وعلم أصول الفقه، وأصول الفقه للفقيه هي كمثابة الأصل للفرع فهي السبيل لعلم الفقه والطريق لفهم الأدلة والاستدلال بها والاستنباط منها، فماهية أصول الفقه: (معرفة دلائل الفقه إجمالا، وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد).[(١)]

فلا يمكن لفقيه يشتغل بالفقه ويستدل لمسائله ويستنبط الأحكام بغير علم بآلته ولا فهم لأصوله، ومن أبواب أصول الفقه الأبواب المتعلقة بكيفية الاستفادة منها وهي: علم الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين... وغيرها التي هي من صميم الفقه وأصوله قبل أن تكون من علوم القرآن.

إلا أن الفقيه يستفيد من رجوعه إلى تلك العلوم في علم علوم القرآن الاستفادة من الأمثلة القرآنية والتطبيقات العملية على المسائل الأصولية التي اعتنى بها علماء أصول الفقه من التنظير وضبط المسائل وإن لم يوجد لها مثال واقعي حيث إن الأصل عندهم هو بناء القاعدة ومن ثم التمثيل لها، واكتفاؤهم -غالباً- بالتطبيق على السنة النبوية...أما علماء علوم القرآن

(١) شرح الكوكب المنير (١/ ٤٤).

فاهتمامهم بجانب التطبيق أكثر من جانب التنظير والتأصيل، فهم يعتنون بالأمثلة والاستدلال على المسائل بآيات القرآن الكريم . [1]

(١) ينظر: المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه وأثرها في التفسير لـ د.فهد الوهبي وهي رسالة علمية نال بها الباحث درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خير البرية وأزكى البشرية محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.. أما بعد:

فبعد هذا التطواف على أهم علوم القرآن التي يحتاجها الفقيه ولا يمكن أن يستغنى عنها في دراسته الفقهية واستنباطاته العلمية واستدلالاته الفقهية، مع ذكر أبرز الأوجه التي يحتاجها الفقيه من تلك العلوم، خلص الباحث إلى نتائج عدة منها:

١- أن مجموع العلوم الشرعية تتكاتف وتتعاضد في بيان الأحكام الشرعية والمسائل الاعتقادية والنوازل العصرية ولا تتنافر أو تتعارض، ولا يمكن الاستغناء بعلم على حساب علم آخر.

٢- إن كان العلم الشرعي رحم بين أهله فإن علم علوم القرآن رحم بين العلوم الشرعية كلها ؛فهو يتعلق بالمصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي موئل الأحكام الشرعية وأصل العلوم الشرعية.

٣- أن أهم العلوم التي يحتاجها الفقيه من علوم القرآن الكثيرة هي:علم القراءات القرآنية، وعلم أسباب النزول، والاستنباط، ومشكل القرآن، وفضائل القرآن، وخواص القرآن، وأصول التفسير، والتفسير.

٤- أهمية دراسة علوم القرآن والاستفادة منها وتضمينها الخطط الدراسية للأقسام العلمية في سائر الكليات الشرعية، خاصة العلوم

الناشئة منه والمتعلقة به تعلقاً مباشراً كعلم نزول القرآن وأسباب النزول والحروف السبعة والقراءات وفضائل القرآن ..وغيرها، التي لا يمكن دراستها إلا من خلال دراسة هذا العلم، أما سائر العلوم الأخرى كعلم الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد.. فهي ترتبط بعلوم القرآن وبغيرها كعلم الحديث وعلم الفقه وأصوله وقد تكون متعلقة بعلوم اللغة المتنوعة فيمكن العلم بها والاستفادة منها من خلال دراسة علوم القرآن أو العلوم المشتركة معها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد..

المراجع والمصادر

- الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، ط٣، المكتبة الفيصلية.
- إتحاف البررة في القراءات والرسم والآي والتجويد، جمع وترتيب :علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٥٤هـ.
- إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر، عبد الكريم النملة، ط١(الرياض:دار العاصمة، ١٤١٧هـ).
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ).
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق:مركز الدراسات القرآنية (المدينة المنورة:مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤٢٦هـ).
- أحكام القرآن، علي بن محمد المعروف بالكيا الهراسي، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ).
- أحكام القرآن، أحمد بن علي الجصاص، تحقيق: عبد السلام محمد الشاهين، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله أبو بكر العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣ (بيروت: الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).

- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، تعليق: عبد الرزاق العفيفي، ط٢ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ).
- اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق، محمد صالح سليمان، ط١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٣٠هـ).
- الآداب الشرعية، محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، ط٢(بيروت:مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ).
- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق:محمد سعيد البدري، ط١ (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ).
- الاستذكار، ابن عبد البر الأندلسي، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي، ط١ (القاهرة: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ).
- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، ط١٥ (دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).
- اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، ط١ (الرياض: دار الفضيلة، ١٤٢٤هـ).
- الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: سيف الدين الكاتب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ).
- الإمام في بيان أدلة الأحكام، عز الدين بن عبد السلام، تحقيق:رضوان مختار، ط١ (بيروت:دار البشائر، ١٤٠٧هـ).
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علي بن سليمان المرداوي، تحقيق:د.عبد الله التركي، ط٢(الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٦هـ).

- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، ط١، دار الكتبي، ١٤١٤هـ.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد بن رشد، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٥هـ.
- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي العمران، ط٢ (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٧هـ).
- البدر الطالع لمحاسن ما بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د.حسين بن عبد الله العمري، ط١ (دمشق:دار الفكر، ١٤١٩هـ).
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن سراج الدين، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وياسر كمال، ط١ (الرياض: دار الهجرة، ١٤٢٥هـ).
- البرهان في أصول الفقه، عبد الملك الجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب، ط٤ (مصر:دار الوفاء، ١٤١٨هـ).
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: يوسف المرعشلي، جمال الذهبي، إبراهيم الكردي، ط٢ (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٥هـ).
- البناية شرح الهداية، محمد بن أحمد المعروف ببدر الدين العيني، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ).
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، محمد بن أحمد بن رشد، تحقيق: محمد حجي وأخرون، ط٢ (بيروت: دار

الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ).

- التحدث بنعمة الله، جلال الدين السيوطي، تحقيق:د.اليزابيث ماري، مصر:المطبعة العربية الحديثة.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس:دار سحنون.
- تحفة المحتاج في شرح المنهاج، أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي، تحقيق: لجنة من العلماء، مصر : المكتبة التجارية، ١٣٥٧هـ.
- تصحيح الفروع، علي بن سليمان المرداوي، تحقيق: د.عبد الله التركي، ط١(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ).
- التعريفات، علي محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ).
- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، عبد الرحيم الإسنوي، تحقيق:محمد هيتور، ط٣ (بيروت:مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ).
- تهذيب الأسماء واللغات، يحيى بن شرف النووي، تحقيق:عادل مرشد، عامر غضبان، ط١ (سوريا: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ).
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: عبد الرحمن اللويحق، ط٣ (الرياض: دار الصميعي، ١٤٢١هـ).
- التيسير في قواعد علم التفسير، محمد بن سليمان الكافيجي، تحقيق:أنور محمود، ط١ (مصر:دار الصحابة، ١٤٢٨هـ).
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد

الله التركي، ط١ (القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ).
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ).
- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط ٨، ١٤١٩هـ.
- حجة القراءات، عبد الرحمن بن حمد ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
- خواص القرآن، تركي الهويمل، ط١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٣٠هـ).
- دراسات في علوم القرآن، أ.د. فهد الرومي، ط١١، ١٤٢٣هـ .
- ذيل طبقات الحفاظ، جلال الدين السيوطي، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- روضة الناظر وجنة المناظر، عبد الله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: عبد الكريم النملة، ط٥ (الرياض:مكتبة الرشد، ١٤١٧هـ).
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق:شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، ط١ (بيروت:مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ).
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، محمد بن أحمد بن عقيلة المكي، مجموعة رسائل علمية، ط١ (الشارقة: مركز البحوث والدراسات،

١٤٢٧هـ).
- السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢ (مصر: دار المعارف، ١٤٠٠هـ).
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، إشراف ومتابعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط١ (الرياض: دار السلام، ١٤٢٠هـ).
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، إشراف ومتابعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط١(الرياض: دار السلام، ١٤٢٠هـ).
- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، حققه وأخرج أحاديثه:محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط١(المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤١٠هـ).
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العكري، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط١ (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ).
- الشرح الكبير، عبد الرحمن بن محمد ابن قدامة، تحقيق: د.عبد الله التركي، ط٢(الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٦هـ).
- شرح الكوكب المنير، محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، تحقيق:محمد الزحيلي ونزيه حماد (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ).
- الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، ط١

(الدمام:دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ).
- شرح صحيح البخاري، علي بن خلف ابن بطال، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط٢، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ.
- شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: عبد الله التركي، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ).
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، اهتمام: عبد المالك مجاهد، ط١ (الرياض: دار السلام، ١٤١٧هـ).
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، اهتمام: عبد المالك مجاهد، ط٢ (الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ).
- الصلاة وأحكام تاركها، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المدينة المنورة:مكتبة الثقافة.
- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، ط١ (الرياض:دار العاصمة، ١٤٠٨هـ).
- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الداودي، تحقيق: سليمان الخزي، ط١ (الرياض: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ).
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ).
- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المؤيد.
- علم القراءات، نبيل ال إسماعيل، ط١ (الرياض: مكتبة التوبة،

١٤٢١هـ).

- علوم القرآن بين البرهان والإتقان، حازم حيدر، ط٢ (المدينة المنورة:مكتبة دار الزمان، ١٤٢٧هـ).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي ابن حجر، ط١ (الرياض: دار السلام، ١٤١٨هـ).
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق:د.عبد الرحمن عميرة، ط٣ (مصر: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ).
- فصول في أصول التفسير، مساعد الطيار، ط٣ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٠هـ).
- القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، أبو بكر بن العربي، تحقيق: محمد ولد كريم، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م).
- القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية، علاء الدين بن محمد البعلي المعروف بابن اللحام، ط١ (بيروت:دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ).
- الكافي في فقه أهل المدينة، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: محمد محمد أحيد، ط٢، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠٠هـ.
- الكافي، عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله التركي، ط١ (مصر: دار هجر، ١٤١٨هـ).
- كتاب الفروع، محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق:د.عبد الله التركي،

ط١(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ).

- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، (مصر:دار الحديث، ١٤٢٣هـ).
- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، جمع وترتيب:عبد الرحمن ابن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤١٦هـ.
- المحلى بالآثار، علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: أحمد شاكر، ط١(مصر:المطبعة المنيرية، ١٣٤٧هـ).
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد المعروف بـ[القاسمي]، تحقيق: محمد باسل السود، (بيروت:دار الكتب العلمية).
- مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، بدر الدين محمد بن علي البعلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ).
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ.
- المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو شهبة، ط١ (القاهرة:مكتبة السنة، ١٤١٢هـ).
- مدخل إلى علوم القرآن والتفسير، فاروق حمادة، ط١ (الرباط: مكتبة المعارف، ١٣٩٩هـ).

- مذكرة في أصول الفقه على روضة الناظر، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، إشراف: بكر أبو زيد، ط١ (الرياض:دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ).
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، تحقيق:طيار آلتي قولاج، ط٢ (تركيا: دار وقف الديانة التركي، ١٤٠٦هـ).
- المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه وأثرها في التفسير، فهد الوهبي، رسالة دكتوراه مقدمة في قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، المشرف: سليمان البيرة، ١٤٣٠هـ.
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني، إشراف: عبد الله التركي، ط٢(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٩هـ).
- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، تحقيق: حاتم الضامن، ط٢(بيروت:مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ).
- مشكل القرآن الكريم، عبد الله المنصور، ط١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ).
- المصنف، عبدالرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢ (بيروت:المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ).
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، اعتناء:إبراهيم مصطفى وآخرون، ط١ (تركيا: المكتبة الإسلامية).
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد الذهبي،

تحقيق: بشار عواد، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ).

- المغني، عبد الله بن أحمد بن قدامة، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ.
- مقدمة جامع التفاسير، الراغب الأصفهاني، تحقيق: أحمد فرحات، ط١(الكويت:دار الدعوة، ١٤٠٥هـ).
- مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، تحقيق: أحمد حسن فرحات، ط١، دار الدعوة، ١٤٠٥.
- المقنع، عبد الله بن أحمد ابن قدامة، تحقيق:د.عبد الله التركي، ط٢(الرياض:دار عالم الكتب، ١٤٢٦هـ).
- الملخص الفقهي، صالح بن فوزان الفوزان، ط٢(الدمام:دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ).
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد الزرقاني، خرج أحاديثه: أحمد شمس الدين، (بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ).
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن محمد ابن الجزري، تحقيق: علي العمران، ط١ (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤١٩هـ).
- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى شرف الدين النووي، تحقيق: مجموعة من الأساتذة بإشراف أبو الخير، ط٣ (بيروت:دار الخير، ١٤١٦هـ).
- منهج الاستنباط من القرآن الكريم، فهد الوهبي، ط١ (جدة: مركز

الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي، ١٤٢٨هـ).

- الموافقات، إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي، تحقيق:مشهور حسن، ط١(الدمام: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ).
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، محمد بن محمد الطرابلس، ط٣ دار الفكر، ١٤١٢هـ.
- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الدمشقي المشهور بابن الجزري، تحقيق: زكريا عميرات، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة).